

أَحْسَنُ تَفْسِيرٍ لِلْقُرْآنِ بِفَيْضٍ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ

التَّضَادُّ بَيْنَ الْقُرْآنِ وَالْإِرْهَابِ

مَجْلَدُ الْمَلَكِ لَا يَمُوتُ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ

الجزء الخامس والتسعون بعد المائة

المرجع الديني للمسلمين

الشيخ صالح آل صالح

أسواق الفقه والأصول والتفسير والأخلاق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على رسوله الأمين محمد وآله الطيبين إذ تفضل الله وأذهب عنه وعنهم الرجس وطهرهم تطهيراً .
الحمد لله الذي لا تنقطع نعمه ، ولا يخيب سائله وسبق فضله السؤال ، فعندما يسأل العبد حاجة يكون الله عز وجل قد أنجز له قبل أن يسأل ما لا يحصى من الحاجات ، وهو من مصاديق بيان فضل الله وإقامته الحجة يوم القيامة على الناس كما في قوله تعالى ﴿ فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴾^(١).

الحمد لله الذي يرجو نائله منه الكثير ، فتأتيه الأضعاف وقال الشاعر .
(الحمد لله حمداً دائماً أبداً ... في كل حال هو المسترزق الوزر
فليس ما يجمع المثرى بحيلته ... وليس بالعجز من لم يثر يفتقر
إن المقاسم أرزاقاً مقدرة ... بين العباد فمحروم ومدخر
فما رزقت فإن الله جالبه ... وما حرمت فما يجري به القدر)^(٢).
ولكن حرمان العبد من الشيء ليس دائماً بل هو مؤقت ، إذ ينسخه الدعاء لقوله تعالى ﴿ يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾^(٣) ليثبت الله

(١) سورة ق ٢٢.

(٢) أمالي القالي ٢٣٦/١.

(٣) سورة الرعد ٣٩.

الرزق ويمحو الحرمان ، ولبقاء باب الدعاء مفتوحا ، وثماره حاضرة ومتدلية ، قال تعالى ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾^(١) .

وتقديره بلحاظ العجز الأخير من الشعر أعلاه : وما حرمت يأتي بالدعاء كالنهر ، وفي التنزيل ﴿وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ (٢) .

الحمد لله ولا حول ولا قوة إلا به سبحانه ، قال سبحانه ﴿أَنْ أَلْقُوهُ إِلَى الْيَمِّ فَأَكُلَتْ طَوَافُ الْمِحْرَابِ﴾^(٣) فليس من نافع أو ضار إلا هو سبحانه واللام في الآية أعلاه للإختصاص فلا يشذ فرد من القوة ، فالقوة على نحو الإطلاق ، وفي الدنيا والآخرة لله وحده ، ترى ما هي النسبة بين القوة والمملك .

المختار هو العموم والخصوص المطلق ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ (٤) ومن معاني القوة القدرة والمنعة ، فمن رحمة الله أن لا يشرك في قوته أو في ملكه أحدا ، كيلا يحجب فضله ورزقه أحد ، ولا يقدر على هذا الفضل إلا هو بينما تفضل على النبي صلى الله عليه وآله وسلم والمؤمنين بأن وهبهم من رشحات عزته في تحدي المنافقين وإبطال مكرهم ، إذ قال تعالى ﴿فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ (٥) ، وقال سبحانه ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (٦).

الحمد لله الذي حمد نفسه إذ نزل القرآن بالحمد لله ، ليتأدب المسلمون بأداب القرآن ويقتدون بالنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم

(۱) سورة غافر ۶۰.

(۲) سورة الروم ۱۸.

(٣) سورة البقرة ١٦٥.

(٤) سورة آل عمران ١٨٩.

(۵) سورة فاطر ۱۰.

(٦) سورة المنافقون ٨.

الذي هو إمام الحامدين ، ورزقهم الله عز وجل يوم القيامة حمل لواء الحمد ، لبيان أن الأولوية التي كان يحملها في كتابه هي من أجل إشاعة وتثبيت ﴿الحمد لله﴾ في الأرض .

(عن سهل بن سعد الساعدي قال: بينا نحن نقرأ إذ خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: "الحمد لله كتاب الله واحد وفيكم الأخيار وفيكم الأحمر والأسود اقرءوا ﴿القرآن﴾ قبل أن يأتي أقوام يقرءونه، يقيمون حروفه كما يقام السهم لا يجاوز تراقيهم، يتعجلون آخره ولا يتأجلونه" ^(١)).

الحمد لله الذي نزه المسلمين عن مفاهيم الشرك والضلالة والظلم ، وهو سبحانه الذي ينجيهم من الإرهاب ومفاهيمه وأضراره ويجعلهم دعاة للخير ، ونشر مبادئ السلامة والرفقة وفق التنزيل ، قال تعالى ﴿قُلْ مَنْ يُنْجِيكُمْ مِنَ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنْجَانَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ ^(٢).

وعنوان هذا الجزء (التضاد بين القرآن والإرهاب) وهو إصطلاح بكر، وإن كان حقا في كل زمان يحتاج إلى الترجمة ، إلى اللغات العالمية للموعظة والنفع العام ، وتجلي مرآة نقية لمنهاج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وصبره في تحمل أذى المشركين، وعدم مبادرتهم بالهجوم أو القتال ، قال تعالى ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ ^(٣).

(١) تفسير البغوي ٢٥١/٨.

(٢) سورة الأنعام الأنعام ٦٣.

(٣) سورة الكهف ٢٨.

وَالْبُكَرُ بِالضَّمِّ وَالْبُكَرُ بِالْفَتْحِ : وَلَدُ النَّاقَةِ فَلَمْ يُحَدَّ وَلَا وَقْتُ أَوِ الْفَتْيِ
منها فَمَنْزِلَتُهُ مِنَ الْإِبِلِ مَنْزِلَةُ الْفَتْيِ مِنَ النَّاسِ وَالْبُكَرَةُ بِمَنْزِلَةِ الْفَتَاةِ وَالْقُلُوصُ
بِمَنْزِلَةِ الْجَارِيَةِ وَالْبَعِيرُ بِمَنْزِلَةِ الْإِنْسَانِ وَالْجَمَلُ بِمَنْزِلَةِ الرَّجُلِ وَالنَّاقَةُ بِمَنْزِلَةِ
الْمَرْأَةِ^(١).

وقد تقدم البيان منا أن التشبيه أسنان الإبل بأعمار الناس قد لا يكون ملائماً في المقام.

وهناك خلاف وتباعد وتنافر بين الضدين بخلاف المثليين اللذين بينهما تشابه ، ولكن ليس من إجتماع واتحاد بينهما ، إذ يدل لفظ المثليين على التعدد، وفي لغة العرب في الأسماء تسمية المتضادين باسم واحد مثل : ولكن يعرف المعنى بالقرائن.

يقال (وَأَمْرٌ جَلَلٌ : عَظِيمٌ ، وَصَغِيرٌ . وهو من الأضداد.
وَأَجَلٌ فَلَانٌ : أَي ضَعْفٌ ، وَأَجَلٌ : قَوِيٌّ . وهو من الأضداد.
وفي المثل : جَلَّتِ الْهَاجِنُ عَنِ الْوَلَدِ ، أَي صَغُرَتْ عَنْ أَنْ تَلِدَ^(٢) .
والصرير من الأضداد ومعناه الصبح ، والليل ، قال تعالى ﴿فَأَصْبَحَتْ

كَالصَّرِيرِ﴾^(٣).

وَالْجَلَلُ : الْأَمْرُ الْعَظِيمُ . قَالَ وَعَلَةُ بْنُ الْحَارِثِ :
قَوْمِي هُمْ قَتَلُوا أَمِيمَ أَخِي ... فَإِذَا رَمَيْتُ يُصَيِّئِي سَهْمِي
فَلَتْنِ عَفَوْتُ لِأَعْفُونَ جَلَلًا ... وَلَتْنِ سَطَوْتُ لَوْهِنِ عَظْمِي
وَالْجَلَلُ أَيْضًا : الْهَيْنُ ، وَهُوَ مِنَ الْأَضْدَادِ . قَالَ أَمْرُ الْقَيْسِ لَمَّا قَتَلَ أَبُوهُ :
أَلَا كُلُّ شَيْءٍ سِوَاهُ جَلَلٌ . أَي هَيْنٌ يَسِيرٌ .
وَالْجَلِيلُ : الْعَظِيمُ^(١).

(١) تاج العروس ٢٥٣٦/١ .

(٢) المحيط في اللغة ٨٠/٢ .

(٣) سورة ن ٢٠ .

وقد يتفق اللفظان ولكن المعنى متحد مثل حسب وظن ، وكما في قوله تعالى ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (٢) (٣).

ولكن التدقيق اللغوي في معنى الكلمتين يظهر فرقاً في المعنى ، وهو من الإعجاز في القرآن وتثبيته لعلوم اللغة العربية ، والمختار أن النسبة بين الظن والحسبان هي العموم والخصوص المطلق ، فالظن أعم في كثرة أبوابه وسعة مراتبه .

لقد تضمن هذا السفر المبارك قانوناً مستحدثاً في اسمه وهو التضاد بين القرآن والإرهاب ، وقد صدرت ثلاثة أجزاء في ذات الموضوع وهي :

الأول : الجزء الرابع والثمانون بعد المائة .

الثاني : الجزء الخامس والثمانون بعد المائة .

الثالث : الجزء الثامن والثمانون بعد المائة .

ويأتي هذا الجزء في ذات الموضوع مع الإختلاف في القوانين والمضامين القدسية التي يحتويها بما يؤكد صدق هذا القانون ، ويمنع من اللبس في المقام ، ويزيح الفهم الخاطئ عن سيرة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم السلمية التي تقوم بالدعوة إلى الله ﴿بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ (٤).

ويدل عليه تفاخر الناس بانتسابهم إلى الإسلام وتعاهدتهم للفرائض العبادية مع ما فيها من التكليف بأداء الصلاة خمس مرات في اليوم ،

(١) الصحاح في اللغة ٩٧/١ .

(٢) سورة آل عمران ١٨١ .

(٣) أنظر الجزء (١٨٧) الذي جاء خاصا بتفسير هذه الآية .

(٤) سورة النحل ١٢٥ .

وصيام شهر رمضان ، وأخراج الزكاة والخمس وأداء حج بيت الله الحرام ، ويتصف هذا الأداء بأمور :

الأول : الواجب منه مرة واحدة في العمر .

الثاني : لا يجب الحج إلا عند الإستطاعة والقدرة عليه ، قال تعالى

﴿وَلِلّٰهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾^(١).

الثالث : لزوم أداء المناسك في وقت محدود والإتيان بأفعال مخصوصة ،

إذ يعتمر الحاج ويحل إحرامه ثم يحرم مرة أخرى للحج .

لقد بعث الله عز وجل الأنبياء لهداية الناس وليتغشى النعيم أهل

الأرض ، إذ يأتي التنزيل بالغنى العام والتصديق الإجمالي بالنبوة ، وقد

تفضل الله وجعل القرآن بياناً وتبياناً ، قال سبحانه ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا

لِكُلِّ شَيْءٍ﴾^(٢).

وهل يختص التبيان للأشياء والوقائع وغيرها بذات القرآن فيكون

تقدير الآية : ونزلنا عليك آيات القرآن وهي تبيان لكل شئ ، أم يشمل

التبيان التفسير والتأويل ويكون تقدير الآية : ونزلنا عليك الكتاب ليكون

هو وتفسيره وتأويله تبياناً لكل شئ.

الصحيح هو الأول فذات آيات القرآن هي البيان والتبيين فان قلت

إذن ماذا يكون التفسير والتأويل ، وهل هما من ﴿كُلِّ شَيْءٍ﴾ الذي

تذكره الآية أعلاه أم أنه من رشحات آيات القرآن ، وخارج بالتخصيص

عن موضوع التبيان الذي تذكره الآية ، الجواب هو الأول .

وقد صدرت أجزاء من هذا السفر المبارك في تفسير آية واحدة فمثلاً :

(١) سورة آل عمران ٩٧.

(٢) سورة النحل ٨٩.

الأول : صدرت أربعة أجزاء في تفسير قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (١) (٢).

الثاني : صدور ثلاثة أجزاء في تفسير قوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (٣) (٤).

الثالث : صدور خمسة أجزاء في تفسير قوله تعالى ﴿هَذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ (٥) (٦).

الرابع : صدور خمسة أجزاء في صلة قوله تعالى ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (٧)، بالآيات المجاورة (٨).

الخامس : صدور ثلاثة أجزاء في تفسير قوله تعالى ﴿إِذْ تَصْعَدُونَ وَلَا تُلُونُ عَلَىٰ أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أَخْرَاكُمْ فَأَتَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍ لَّكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَىٰ

(١) سورة آل عمران ١٣٠.

(٢) أنظر الأجزاء ٨٩-٩٠-٩١-٩٢ من هذا التفسير.

(٣) سورة آل عمران ١٣٥.

(٤) أنظر الأجزاء ٩٦-٩٧-٩٨ من هذا التفسير.

(٥) سورة آل عمران ١٣٨.

(٦) أنظر الأجزاء ١٠١-١٠٢-١٠٣-١٠٤-١٠٥ من هذا التفسير.

(٧) سورة آل عمران ١١٠.

(٨) أنظر الأجزاء ٨٤-٨٥-٨٦-٨٧-٨٨.

مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ وَاللَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١﴾ (٢)، إلى جانب ورود القوانين والمباحث العديدة بخصوص مضامين هذه الآية في الأجزاء الخاصة بقانون (لم يغز النبي (ص) أحداً).

السادس : صدور ثلاثة أجزاء في تفسير قوله تعالى ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَدْدِ الْقَمِ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَى طَافِئَةً مِنْكُمْ وَطَافِئَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنْ الْأَمْرُ كُلُّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٣﴾ (٤).

السابع : صدور جزئين وهما (١٣٥) و (١٣٦) في نفي نسخ آية السيف لعدد من آيات السلم والموادعة منها آية ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنْ أَنتَهُوا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ (٥)، ومنها ﴿فَإِنْ أَنتَهُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٦)، ومنها ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قَاتَلٍ فِيهِ قُلْ قَالَ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ

(١) سورة آل عمران ١٥٣.

(٢) أنظر الأجزاء ١٢٢-١٢٣-١٢٤.

(٣) سورة آل عمران ١٥٤.

(٤) أنظر الأجزاء ١٢٥-١٢٦-١٢٧.

(٥) سورة البقرة ١٩٣.

(٦) سورة البقرة ١٩٢.

أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ بِكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ
إِنْ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ
فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١﴾ .

ومنها ﴿قُلْ أَتَحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ﴾ (٢)، ومنها ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (٣) .

ومنها ﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ (٤)، ومنها ﴿لَا يَتَّخِذُ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ الْمَصِيرُ﴾ (٥)، ومنها ﴿لَنْ يَضُرَّوكُمْ إِلَّا أَذًى وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُبْلِكُوكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾ (٦) .

ليبان عدم نسخ آية السيف لآيات من آيات السلم والمواذعة.

(١) سورة البقرة ٢١٧.

(٢) سورة البقرة ١٣٩.

(٣) سورة البقرة ٢٥٦.

(٤) سورة آل عمران ٢٠.

(٥) سورة آل عمران ٢٨.

(٦) سورة آل عمران ١١١.

الثامن: صدور أربعة أجزاء بعنوان مفاهيم قرآنية^(١).

التاسع: صدور جزئين في تفسير قوله تعالى ﴿إِن يُمْسَسْكُمُ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَّأُولُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلَيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾^{(٢)(٣)}.

العاشر: صدور جزئين في تفسير قوله تعالى ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قَتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾^{(٤)(٥)}.
الحادي عشر: صدور تسعة عشر جزءاً في قانون (لم يغز النبي (ص) أحداً)^(٦).

الثاني عشر: صدور أربعة أجزاء في قانون (التضاد بين القرآن والإرهاب)^(٧).

وأسال الله عز وجل دوام فضله وإحسانه ولطفه بتوالي الأجزاء بالكيف والمضامين التي يحب ويرضي قال تعالى ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾^(٨).

(١) أنظر الأجزاء ٥-٦-١٩-٢٠ من هذا التفسير.

(٢) سورة آل عمران ١٤٠.

(٣) أنظر الأجزاء ١٠٧-١٠٨.

(٤) سورة آل عمران ١٦٩.

(٥) أنظر الأجزاء ١٥٢-١٥٣ من هذا التفسير.

(٦) أنظر الأجزاء ١٥٩-١٦٠-١٦١-١٦٣-١٦٤-١٦٥-١٦٦-١٦٧-١٦٩-١٧١-١٧٢-١٧٣-

١٧٥-١٧٦-١٧٧-١٧٨-١٨٢-١٨٥-١٨٨.

(٧) أنظر الأجزاء ١٧٩-١٨٠-١٨٣-١٩٠.

(٨) سورة الانسان ٣٠.

وجاءت أجزاء متعددة من هذا التفسير ، كل جزء بالصلة بين آية وآية أخرى مجاورة لها كما في الأجزاء ، وهي :

الأول : الجزء الخامس العشرون بعد المائة الذي يختص بصلة الآية (١٥٣) بالآية التي قبلها.

الثاني : الجزء التاسع والعشرون بعد المائة ويتضمن الصلة بين شطر من الآية (١٥٤) بشطر من الآية (١٥٣).

الثالث : الجزء الواحد والخمسون بعد المائة ويختص بالصلة بين شطر من الآية (١٦١) بشطر من الآية (١٦٤).

الرابع : الجزء الواحد والتسعون بعد المائة ويختص بالصلة بين الآية (١٨٠) والآية (١٨١) من سورة آل عمران.

وتقييد الصلة بالآية المجاورة لبيان امكان تنجز هذا العلم في الصلة بين عموم آيات القرآن ، وأنه لا ينحصر باختيار وانتقاء بعض الآيات والصلة بينها لوحدة الموضوع أو الحكم.

وعن عائشة (قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ستة لعنتهم وكل نبي مجاب . الزائد في كتاب الله ، والمكذب بقدر الله ، والمتسلط بالجبروت ليدل من أعز الله ويعز من أذل الله ، والتارك لسنتي ، والمستحل من عترتي ما حرم الله عليه ، والمستحل لحرم الله) (١).

ليبان إن الإرهاب وسفك الدماء بغير حق مخالف لأحكام وسنن القرآن وأن الذي يؤمن بقدر الله لا يلجأ إلى الإرهاب وما في التفجير العشوائي من الإضرار بالذات والغير ، وهو كالتسلط بالعنف والقوة على الناس الآمنين في الأسواق والطرقات والبيوت والمؤسسات العامة ، وهو خلاف سنة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالرفقة والرحمة بالناس جميعاً وجهاده لضبط الأمن العام في المدن والطرق بينها وتيسير تنقل

الناس بأمان وحسن الجوار بل كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم رحيماً ورفيقاً حتى بالحيوانات كما في قصة (الجمل الذي رآه صلى الله عليه وآله وسلم حين دخل بستاناً لرجل من الأنصار، فإذا فيه جمل فما إن رأى النبي صلى الله عليه وآله وسلم حتى حنّ وذرفت عيناه فأتاه الرسول الكريم فمسح ذفره فسكت .

فقال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم : من رب هذا الجمل ، فقال فتى من الأنصار : أنا يا رسول الله ، فقال له : ألا تتقي الله في هذه البهيمة التي أملكك الله إياها ، فإنه شكا إلي أنك تجيئه وتدبّه) .
ومن أيجديات التقوى ترك ما حرم الله .

الحمد لله الذي أغنانا بالقرآن ، وجعله دستوراً يهدي إلى الصلاح ونبذ العنف والتعدي ، وتفضل على الناس بتوالي النعم ليذكروه بالعبادة وحسن الخلق ونشر مفاهيم المودة والإحسان .

(وقال أعرابي: الحمد لله الذي أغنانا باللبن عما سواه)^(١) .

الحمد لله الذي جعل الحمد سور الموجبة الكلية الذي يجمع الناس والخلائق في سبل الهدى ، إذ تلتقي جميعاً بالحمد والشكر لله ليصاحب هذا العموم للحمد الحياة الدنيا ، ويكون سبباً لتوالي الرزق وصرف البلاء بقضاء الله سبحانه ، فلا هبة وموهبة إلا منه سبحانه ، ولا مفزع وملجأ إلا إليه ، وقد تفضل الله عز وجل وأمر كل مسلم ومسلمة بالقول سبع عشرة مرة ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾^(٢) .

ومن الصراط الثبات على سنن الإيمان والابتعاد عن العنف والشدة ، وقد أثنى الله عز وجل على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم على

(١) الأمتاع والمؤانسة ١/ ١٣٧ .

(٢) سورة الفاتحة ٦ .

منهاج اللين والرحمة مع المسلمين وشهد له برقة القلب ، قال تعالى ﴿وَكُنتُمْ أَفْضَاغًا مَتَرًا فَذُكِّرْتُمْ﴾ (١) لبيان كراهية الفظاظ والقساوة .
وفي الآية أعلاه شاهد على أن الله يعلم النوايا ، وما يضمه كل إنسان في نفسه ، ويعلم الله بكل ما في قلب الإنسان في كل لحظة من لحظات وساعات حياته ، وتخطر الخاطرة على قلب الإنسان ثم ينساها ، ولكنها مكتوبة وباقية عند الله عز وجل ، وقد يتلى الله حسب نواياه ويحقق له أمانه بالدعاء والعمل الصالح فكل ما يطرأ على قلب الإنسان لا يخفى على الله .

وهل يعلم الملائكة أو الأنبياء ما في قلوب الناس ، الجواب لا ، فهو من علم الغيب الذي اختصه الله لنفسه إلا أن يشاء الله في بعض الوقائع فيطلع الملك أو الرسول على ما في قلب الإنسان ، وهذا الإختصاص من مصاديق قوله تعالى ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ (٢) ، وتبقى هذه الحال إلى يوم القيامة ، والله سبحانه يعلم بها قبل أن يخلق آدم وذريته .
وهل يمكن تسمية الحياة الدنيا دار الأمان ونبد الإرهاب ، الجواب نعم ، وسيأتي بعنوان وقانون مستقل ، فقد هبط آدم وحواء إلى الأرض بصفة الخلافة وإعمارها بالذكر ، وهبط معهما إبليس ليكون سبباً للفتنة والإرهاب ، وقد حذر الله عز وجل الناس جميعاً من إبليس وإغوائه وشروره ، والأصل هو إمتناع الناس جميعاً عن الإصغاء لإبليس في وسوسته .
ومن خصائص القرآن أن كل آية منه برزخ دون اتباع خطوات إبليس ، وهو من الإعجاز الغيري للقرآن ، إن التوقي من الإرهاب قهر لإبليس وغم وإخراص لجنوده ، وكذا التوبة والإنابة ، وعن عطاء بن خالد قال :

(١) سورة آل عمران ١٥٩ .

(٢) سورة البقرة ٣٠ .

بلغني أنه لما نزل قوله ﴿وَمَنْ يُغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا﴾^(١)، صاح إبليس بجنوده ، وحثا على رأسه التراب ، ودعا بالويل والثبور حتى جاءته جنوده من كل بر وبحر . فقالوا : ما لك يا سيدنا . قال : آية نزلت في كتاب الله لا يضر بعدها أحداً من بني آدم ذنب . قالوا : ما هي ، فاخبرهم .

قالوا : نفتح لهم باب الأهواء فلا يتوبون ولا يستغفرون ولا يرون إلا أنهم على الحق ، فرضي منهم ذلك^(٢) .

لقد أنعم الله عز وجل على الناس بالنبوة والتنزيل ، وكل فرد منهما تذكير بوجوب التوبة ، وترغيب وجذب إليها ، ومن خصائص خلافة الإنسان في الأرض أن الغفلة أمر عرضي وليست مستقرة عند الإنسان ، قال تعالى ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرَّعًا وَخَيْفَةً وَذُنُوبَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾^(٣) .

وعن ابن عباس قال : كنت ذات يوم رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ألا أعلمك خصالاً ينفعك الله بهن ، قلت : بلى . قال : عليك بالعلم فإن العلم خليل المؤمن ، والحلم وزيره ، والعقل دليله ، والعمل قيمه ، والرفق أبوه ، واللين أخوه ، والصبر أمير جنوده^(٤) .

والحديث من جوامع الكلم ، فمع قلة كلماته فهو مدرسة في العلم والتحصيل والسعي والكسب والأخلاق الحميدة ، فقد ذكر النبي صلى الله عليه وآله وسلم العلم وكأنه هو الإيمان من المتضايقان^(٥) ، ثم ذكر ست

(١) سورة آل عمران ١٣٥ .

(٢) الدر المنثور ٤٣٩/٢ .

(٣) سورة الأعراف ٢٠٥ .

(٤) الدر المنثور ١٠٧/١ .

(٥) أنظر البحث المنطقي وأقسام المتقابلان في هذا الجزء ص ٢٠ .

خصال وفضائل حميدة مصاحبة له ، تعضده ، وتجعل المؤمن ينتفع منها بواسطتها الإنتفاع الأمثل .

ويزجر العلم وهذه الخصال الست عن الإرهاب والعنف والقتل العشوائي ، واستعمال السلاح لإخافة الناس وإصابتهم بالرعب رجالاً ونساء وصبياناً ، إذ تبث هذه الخصال السكينة في النفس والرضا بما قسم الله .

الحمد لله الذي جعل أبواب العلم مشرعة وخزائن القرآن لا تنفذ ، يعتقد المتبحر فيه أنه جاء بمجديد في علم التفسير والتأويل ، سواء على نحو القضية الشخصية أي لنفسه أو لدويرته أو يدونها بالقلم والكتابة ، وهو من لطف الله عز وجل بأهل القرآن ، علماء ومتعلمين على سبيل النجاة ، لبيان قانون وهو أن علوم القرآن من اللامتناهي ، وهو معين لا ينضب ، ليغرف الناس من بحور التنزيل بفضل جود إلهي ، ومدد رباني فتفضل القوانين على قلوبهم ، وتقبح بصائرهم في غايات حميدة ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾^(١).

(عن أبي مالك الأشعري؛ أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: "الطَّهْرُ شَطْرُ الْإِيمَانِ، والحمد لله تَمْلَأُ الْمِيزَانَ، وسبحان الله والحمد لله تَمْلَأُ ما بين السماء والأرض، والصلاة نور، والصدقة بُرْهَان، والصبر ضياء، والقرآن حُجَّةٌ لك أو عليك، كل الناس يغدو، فبائع نفسه فَمعتَقُها، أو مَوْبِقُها")^(٢).

الحمد لله على نعمة تلاوة القرآن وجوباً في الصلاة وتطوعاً خارجها لتسخر حاسة البصر واللسان والسمع والعقل بالتلاوة والتدبر في الآيات

(١) سورة طه ١١٤.

(٢) تفسير ابن كثير ٦١/٣.

(عن جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ما من عبد ينعم الله عليه بنعمة إلا كان { الحمد { أفضل منها) ^(١).

وفي خطبة للإمام علي عليه السلام : وإن الله سبحانه لم يعط أحدا ^(٢) بفرقة خيرا ممن مضى ولا ممن بقي يا أيها الناس طوبى لمن شغله عييه عن عيوب الناس ، وطوبى لمن لزم بيته ، وأكل قوته ، واشتغل بطاعة ربه ، وبكى على خطيئته ، فكان من نفسه في شغل ، والناس منه في راحة ^(٣).

لقد جاء هذا الجزء في قراءة قرآنية بما يبعث النفرة من الإرهاب ، ولا بد من التذكير بعالم الآخرة ، والوقوف بين يدي الله عز وجل للحساب وأنه سبحانه يثيب على الصبر والتقوى ، ويؤاخذ على الإضرار بالناس وعلى قتل الأبرياء.

ومن فضل الله عز وجل أقوم بمفردي بتأليف أجزاء هذا السفر المبارك ومن الجزء الأول وكذا أقوم بمراجعة وتصحيح ، وكذا كتبي الفقهية والأصولية من غير إعانة إلا من عند الله عز وجل ﴿أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمُ نِعَمَ الْمَوْلَى وَنِعَمَ النَّصِيرِ﴾ ^(٤).

وبين استعراض وقائع الأمم السالفة ، وتأريخ النبوة قانوناً وهو أن الإرهاب لا يصلح أن يكون بلغة لتحقيق أهداف حميدة ، ويمتنع بالتفكر وإدراك العقل عن كونه غاية.

(١) الدر المنثور ٢/١.

(٢) أي أن الإفتراق والفرقة لا تجلب الخير والنفع لذا قال عليه السلام : والزموا السواد الأعظم فإن يد الله مع الجماعة واياكم والفرقة فإن الشاذ من الناس للشيطان كما ان الشاذ من الغنم للذئب.

(٣) نهج البلاغة ٧١/٢.

(٤) سورة الأنفال ٤٠.

وقد جعل الله عز وجل الشواهد الكونية ، وعلامات الحياة البشرية دلائل على لزوم نشر ثقافة السلام ، وبيان كثرة الأضرار التي تصاحب الإرهاب ، وعلى الغنى عنه .

ويمكن تصنيف معجزات النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بتقسيم استقرائي متعدد بلحاظ وجوه :

الأول : ذات المعجزة .

الثاني : زمان المعجزة .

الثالث : قانون الحاجة إلى المعجزة.

الرابع : قانون مقدمات المعجزة .

الخامس : قانون إقرار وتسليم الناس بالمعجزة .

السادس : قانون منافع المعجزة العامة .

السابع : قانون صيرورة المعجزة واقية من إستعمال السيف.

الثامن : قانون المعجزة رحمة وحجة .

التاسع : قانون توالي المعجزات.

العاشر : قانون شكر النبي صلى الله عليه وآله وسلم والمسلمين لله عز

وجل على المعجزة.

الحادي عشر : قانون دلالة المعجزة على صدق المعجزة الأخرى.

الثاني عشر : قانون تعضيد المعجزة للآية القرآنية ، وبالعكس.

الثالث عشر : قانون المعجزة فضل وهبة من عند الله.

الرابع عشر : قانون تعدد المعجزات كفاية وغنى عن الإرهاب .

حرر في السابع عشر من شهر ربيع الأول ١٤٤١

٢٠١٩-١١-١٥

بحث منطقي

من مصطلحات علم المنطق (المتقابلان) وهما الشيئان اللذان يتمتع
تعلقهما بموضوع واحد يتصف بهما أو ينسبان إليه من جهة مخصوصة .
وقد يكون بين شيئين تقارب واتحاد في السنخية فاذا وجد أحدهما
وجد الآخر كالأب والابن ، والراعي والشاة ، والقلم والدواة .
أو يكون بينهما تنافر وإذا حل أحدهما غاب الآخر طوعاً وانطباعاً
وقهراً ، كالإيمان والكفر ، والخصب والجذب ، والصيام والإفطار ،
واللون الأبيض والأسود .
والتقابل على أقسام :

الأول : التضاييف : وهو ذكر أو وجود الشيء علة لتصور فرد آخر غيره
، فلا يجتمعان في فرد واحد ، ولا يكون بينهما تناف ، ومن المتضاييف الأب
والابن ، فذكر الشخص بعنوان أنه أب مناسبة لتصور الابن ، والفوق
والتحت .

والوحي والنبى ، فاذا ذكر الوحي تبادر إلى الذهن النبى وأنه هو
الذي ينزل عليه الوحي ، فان قلت قد جاء الوحي للنحل كما في قوله
تعالى ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ
الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴾ ^(١) .

والجواب المراد ألهمها ، والمعنى الحقيقي للوحي هو وحي النبوة
والتنزيل ، وقد يطلق الوحي على الإشارة وهو أمر شائع ، وفي زكريا
وقومه قال تعالى ﴿ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَنِ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾ ^(٢) ، ويأتي الوحي
بمعنى الكتاب والمكتوب .

(١) سورة النحل ٦٨ .

(٢) سورة مريم ١١ .

(فَمَدَّعُ الرِّيَّانِ عُرَى رَسْمَهَا ... خَلَقًا كَمَا ضَمِنَ الْوَحْيُ سِلَامَهَا)^(١).
 وإذا ذكر النبي يستحضر في الوجود الذهني الوحي لقانون الملازمة بينهما ، وما من نبي إلا وقد أوحى الله إليه ، ومن الآيات التسالم بأن الذي يقدر على الإيحاء هو الله عز وجل بيده الوحي يوجهه لمن يشاء بواسطة الملائكة ، وليس لملك أن يبادر من تلقاء نفسه بالوحي إلى بعض الناس ، ولا الإمتناع عن الوحي حيث أمره الله عز وجل ، سواء كان الملك جبرئيل أو غيره.

وقد كانت ﴿قُرَّةٌ مِنَ الرُّسُلِ﴾^(٢) بين عيسى عليه السلام والنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم نحو ستمائة سنة ليس فيها نبي ووحى ، فلا غنى عن الوحي في تصور النبوة لأنه الوساطة الملكوتية في تبليغ الأحكام من عند الله إلى عامة الناس بما فيه صلاحهم.

الثاني : التضاد ، وهو جزء من عنوان هذا الجزء وثلاثة أجزاء سابقة^(٣).

كالسواد والبياض ، فاذا كان لون الجدار أسود فليس من بياض فيه ، وكذا العكس ، أما إذا كان لونه أصفر ، فهما لا يوجدان معاً ، كما في قوله تعالى ﴿صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّازِلِينَ﴾^(٤) ، فلم يذهب بنو اسرائيل للبحث عن بقرة فيها بياض أو سواد .

ويدرك العقل استحالة اجتماع الضدين كالحركة والسكون ، وكذا عدم اجتماع المتناقضين كالوجود والعدم فهما لا يجتمعان في شئ واحد في

(١) تاج العروس ٥٢٠٨/١.

(٢) سورة المائدة ١٩.

(٣) أنظر الأجزاء ١٧٩-١٨٠-١٨٣.

(٤) سورة المائدة ١٩.

وقت واحد من جهة واحدة ، وكذا بالنسبة إلى الحياة والموت ، والإثبات والنفي .

ومن خصائص المتضادين أن وجود أحدهما لا يوجب الآخر بخلاف المتضايفين ، فالصحة ضد المرض ، وكون الإنسان معافى طيلة أيام السنة لا يعني أنه يمرض في العام القادم بخلاف المتضايفان فان وجود أحدهما يوجب وجود الآخر كالأب والابن .

الثالث : الإيجاب والسلب ، وهو من المتقابلان إذ لا يجتمعان سواء في الموضوع أو المحمول فقد يتعاقبان فيهما ، ومعنى الإيجاب ثبوت وجود شئ أو حكمه ، أما السلب فهو عدم ثبوت حكم .

وقد يكون الإيجاب دائماً في أفراد الزمان الطولية وحيث لا زمان كقولنا الله واحد ، وأنه سبحانه هو القوي والغني عن العالمين ، وأنه سبحانه على كل شئ قدير ، أو أنه أمر ما دائمي كالتنفس للإنسان ما دام حياً ، وقيل كل شئ إما يصدق عليه الإيجاب أو السلب .

الرابع : الملكة وعدمها ، فليس من واسطة بين الملكة والعدم ، وقيل لا انتقال من العدم إلى الملكة وبالعكس ، ولكن هذا القول ليس مطلقاً .

ويحتمل التضاد بين القرآن والإرهاب وجوهاً :

الأول : الإطلاق الزمني إذ يتجلى التضاد بين القرآن والإرهاب في كل زمان .

الثاني : الإطلاق المكاني إذ يحضر التضاد بين القرآن والإرهاب في كل قرية وبلد ، وتبعث تلاوة القرآن النفرة في النفوس من الإرهاب .

الثالث : التقيد الزمني وأن هذا التضاد يختص بزمان دون آخر .

الرابع : الحصر المكاني .

والصحيح هو الأول والثاني ، وهو من الإعجاز في ملائمة القرآن لكل زمان وإلى يوم القيامة .

قانون إختيار النبي الصلح بعث للنفرة من الإرهاب

لقد كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يحب الصلح ويميل إليه ، ويجتهد ويتواضع من أجل المودعة ودفع القتال والقتل .

وكلما ازداد الإسلام قوة وكثر عدد المسلمين أظهر النبي سعيه للصلح والسلم ، إذ نزلت أكثر آيات القرآن وتجلى للناس إعجاز التنزيل ، ودعوته للإيمان ، فكل آية من القرآن داعية إلى الله ، وفيها شد لعضد النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في تبليغ الرسالة ، وقد قال تعالى في خطاب إلى موسى عليه السلام ﴿سَتَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَجَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا﴾^(١)

وقد شدّ الله عز وجل عضد النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بآيات القرآن وأهل البيت والصحابة ، فلم يكن يخشى من الصلح ، إنما هو باب لتدبر الناس في آيات القرآن ، ورؤية أداء المسلمين الفرائض العبادية وما فيها من الحسن الذاتي والنفع العظيم .

(عن الزهري قال : صالح رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل أذرح على مئة دينار في كل رجب .

وصالح أهل الجرباء على الجزية وكتب لهم كتابا .

وصالح أهل منا على ربع عروكهم والعروك خشب يصطاد عليه وربع كراعهم وحلقهم وعلى ربع ثمارهم ، وكانوا يهودا .

وأخبرني بعض أهل مصر أنه رأى كتابهم بعينه في جلد أحمر دارس الخط ، فنسخه وأملى على نسخته .

" بسم الله الرحمن الرحيم .

من محمد رسول الله إلى بنى حبيبة وأهل مقنا .

سلم أنتم .

فإنه أنزل على أنكم راجعون إلى قريبتكم، فإذا جاءكم كتابي هذا فإنكم آمنون، ولكم ذمة الله وذمة رسوله.

وإن رسول الله قد غفر لكم ذنوبكم وكل دم أتبعتم به، لا شريك لكم في قريبتكم إلا رسول الله أو رسول رسول الله، وإنه لا ظلم عليكم ولا عدوان.

وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم يجيركم مما يجير منه نفسه، فإن لرسول الله بزتكم ورقيقكم والكراع والحلقة إلا ما عفا عنه رسول الله أو رسول رسول الله.

وإن عليكم بعد ذلك ربع ما أخرجت نخيلكم، وربع ما صادت عرككم، وربع ما اعتزلت نساؤكم.

وإنكم قد برئتم بعد ذلكم ورفعكم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كل جزية وسخرة.

فإن سمعتم وأطعتم فعلى رسول الله أن يكرم كريمكم ويعفو عن مسيئكم، ومن ائتمر في بنى حبيبة وأهل مقنا من المسلمين خيراً فهو خير له، ومن أطلعهم بشر فهو شر له.

وليس عليكم أمير إلا من أنفسكم أو من أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم. وكتب علي بن أبو طالب في سنة تسع^(١).

لقد كان النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم يبادر إلى الصلح حتى في السنوات الأخيرة من أيامه في الدنيا مع مضاعفة أعداد المسلمين، وأزدياد قوتهم، وفتح مكة وأثره ونفعه على القرى والبلدان، وهو من مصاديق تسميتها في القرآن ﴿أَمْ أَلْقَى الْقُرْآنَ﴾^(٢)، فكل وفد يأتي للمدينة يطلب الصلح يمضيه له رسول

(١) البلاذري / فتوح البلدان ٧١/١.

(٢) سورة الأنعام ٩٢.

الله صلى الله عليه وآله وسلم ويكتب له كتاباً وقيامه بالكتابة لهم شاهد على أن السلطان والحكم له بفضل ورحمة من الله عز وجل.

وفيه شاهد على أن معارك الإسلام الأولى كانت بتدبير ومكر وإبتداء من المشركين ، وكان النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في حال دفاع واضطرار ولما قويت شوكة الإسلام لم يقم النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالغزوات أو الهجوم على المدن ، إنما كان منشغلاً بتثيت أحكام الشريعة والذكر .

وهل هذا النهج إجتهد من النبي صلى الله عليه وآله وسلم الجواب لا ، إنما هو قرآن أي أنه أظهر وأبين من الوحي والإيحاء إذ نزل قوله تعالى ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ * وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْ لَهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ (١) .

ولا يتعارض مع ما يصاحبه ويتقدم ويتأخر عليه من الوحي بهذا الخصوص ، وحتى في بدايات الهجرة ، وخروج النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الكتائب والسرايا فقد كان يجري الصلح والمواصلة مع أهل القرى ، كما أجراها مع يهود المدينة ، قال تعالى ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (٢) .

ترى ما هي النسبة بين الصلح والإرهاب ، تحتل وجوهاً :
الأول : نسبة العموم والخصوص من وجه ، وهناك مادة للإلتقاء وأخرى للإفتراق .

(١) سورة النصر ١-٣ .

(٢) سورة الأنفال ٦١ .

الثاني : نسبة التنافي والإختلاف.

الثالث : نسبة العموم والخصوص المطلق ، وأن أحدهما فرع الآخر.
والصحيح هو الثاني ، إذ ينافي ويضاد الصلح والإرهاب ، والصلح قاطع للإرهاب ، ومانع منه .

وهل يمكن القول أن الحياة الدنيا (دار الصلح) الجواب نعم ، لذا اذا تم الصلح بعد نزاع وخصومة وقتال يتهيج الناس ، وتنشط الأسواق ، وتتعالى الأصوات بالشكر لله عز وجل ومع أن الصلح ليس دائماً مرضياً للطرفين إلا أن الله عز وجل قال ﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾^(١) ، لبيان أنه خير وأفضل وأفضل حتى للذي لا يرضى به ، إذ أن منافع الصلح لا تختص بأوانه وبنوده ، كما أنه دافع للعنف والشدة والقسوة والكدورة بين الأفراد والجماعات والطوائف وأراد الله عز وجل للحياة الدنيا أن تكون دار الخلافة والرفعة والخير العام.

وعندما جاء خالد بن الوليد بأكيدر صاحب دومة الجندل إلى المدينة أقره النبي صلى الله عليه وآله وسلم عليها وأجازه وأعادته إلى أهله .

(وكتب له ولأهل دومة كتاباً وهو بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب محمد رسول الله لأكيدر حين أجاب إلى الإسلام وخلع الأنداد والأصنام ولأهل دومة إن لنا الضاحية^(٢) من الضحل^(٣))

(١) سورة النساء ١٢٨.

(٢) الضاحية : ما ظهر من البلاد.

(٣) الضحل : القليل من الماء.

والبور^(١) والمعامي^(٢) وأغفال الأرض والحلقة^(٣) والسلاح^(٤) والحافر^(٥) والحصن^(٦) ولكم الضامنة من النخل^(٧) والمعين^(٨) من المعمور لا تُعدّل سارحتكم^(٩) ولا تعدّ فاردتكم^(١٠) ولا يحظر عليكم^(١١) النبات^(١٢).

تقيمون الصلاة وتؤتون الزكاة لحقها عليكم بذلك عهد الله والميثاق ولكم به الصدق والوفاء شهد الله ومن حضر من المسلمين.

(١) البور : الأرض التي تترك سنة لتزرع في السنة التالية ، أو أنها متروكة أو غير صالحة صالحة للزراعة فلا يضر أهلها إذا قام المسلمون بإحيائها..

(٢) المعامي من الأرضين التي ليس بها أثر عمارة ولا معلم يدل على إحيائها وزراعتها ، وتسمى أيضاً الأغفال والأعماء (قال رؤية :
وَبَلَدٍ عَامِيَةٍ أَعْمَاؤُهُ كَأَن لَّوْنُ أَرْضِهِ سَمَآؤُهُ.

(٣) الحلقة : الدروع.

(٤) الحافر : المراد الخيل ، أي عند الحاجة.

(٥) الحصن : البناء الحصين الذي لا يصل الإنسان إلى داخله بسهولة والمراد حصن دومة الجندل واسمه المارد .

(٦) الضامنة من النخل : النخيل الذي يكون داخل البلدة أو القرية والبساتين والحيطان التي حولها.

(٧) المعين : الظاهر الجاري.

(٨) أي لا تمتنع أنعامكم من المرعى ، ولا يصدقها المصدق إلا في مراعيها لمنع الضرر.

(٩) الفاردة الشاة أو البقرة أو الناقة المنفردة في المرعى فإنها لا تضم مع غيرها في الصدقة والزكاة ، فلا يجمع المصدق بين المتفرق من الأنعام تخفيفاً عن الناس في فرائض الزكاة.

(١٠) كلمة (عليكم) ساقطة سهواً من الأصل.

(١١) سور أي لا تمتنعون من الحرث والزراعة والرعي..

ثم عاد أكيدر إلى دومة فلما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم منع أكيدر الصدقة وخرج من دومة الجندل ولحق بنوحي الحيرة وابتنى قرب عين التمر بناءً وسماه دومة. وأسلم حريث بن عبد الملك أخوه على ما في يده فسلم له ذلك. فقال سويد بن الكلبي.

فلا يَأْمَنَنَّ قوم زَوَالَ جدودهم ... كما زال عن خبت ظعائن أكدرا
وقيل إن خالدًا لما انصرف من العراق إلى الشام مر بدومة الجندل التي غزاها أولاً بعينها وفتحها وقتل أكيدر. قال: وقد روي أن أكيدر كان منزله أولاً بدومة الحيرة وهي كانت منازلهم كانوا يزورون أخوالهم من كلب وإنه لمعهم وقد خرجوا للصيد إذ رفعت لهم مدينة متهدمة لم يبق إلا حيطانها وهي مبنية بالجندل فأعادوا بناءها وعرسوا فيها الزيتون وسموها دومة الجندل تفرقة بينها وبين دومة الحيرة وكان أكيدر يتردد بينها وبين دومة الحيرة فهذا يُزيل الاختلاف.

وقد ذهب بعض الرواة إلى أن التحكيم بين علي ومعاوية كان بدومة الجندل وأكثر الرواة على أنه كان بأذرح وقد أكثر الشعراء في ذكر أذرح وأن التحكيم كان بها^(١).

ومكة وأذرح ودومة الجندل والبحرين وهجر (الإحساء) وبصرى وأبلة من البلدان التي افتتحت صلحاً لبيان قانون وهو ميل الناس العام للإسلام ، ولا يتحصل هذا الميل إلا بادراك المعجزة والتسليم بصدق نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم ليلحق الذين حاربوه من قريش الخزري والحخية ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿يَقْطَعُ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَ

يَكْبِتُہُمْ فَيَنقَلِبُواْ خَائِبِينَ﴾^(٢).

(١) معجم البلدان ٢/ ٢٥٤.

(٢) سورة آل عمران ١٢٧.

بحث لغوي

عنوان هذا الجزء من التفسير هو (التضاد بين القرآن والإرهاب) وهو عنوان بكر حتى أنه طلبناه في (كوكل) لأكثر من مرة فلم نجده فيه .

والبُكَرَةُ بالضم : الغُدُوَّةُ قال سِيَوِيَّة : مِنَ الْعَرَبِ مَنْ يَقُولُ : أَتَيْتَكَ بُكَرَةً نَكِرَةً مُنَوَّنًا وَهُوَ يُرِيدُ فِي يَوْمِهِ أَوْغَدَهُ . وَفِي التَّهْذِيبِ : الْبُكَرَةُ مِنَ الْغَدِ وَيُجْمَعُ بُكَرًا وَأَبْكَارًا وَقَوْلُهُ تَعَالَى ﴿وَلَقَدْ صَبَّحَهُمُ بُكَرَةٌ عَذَابٌ مُسْتَقَرٌّ﴾^(١) ، بُكَرَةٌ وَغُدُوَّةٌ إِذَا كَانَتَا نَكِرَتَيْنِ نُوتْنَا وَصَرَفْنَا وَإِذَا أَرَادُوا بِهَا بُكَرَةً يَوْمِكَ وَغُدَاةَ يَوْمِكَ لَمْ تَصْرِفْهُمَا فَبُكَرَةٌ هُنَا نَكِرَةٌ كَالْبُكَرَةِ مُحَرَّكَةٌ

وَفِي الصَّحَاحِ : سِيرَ عَلَى فَرَسِكَ بُكَرَةً وَبُكَرًا كَمَا تَقُولُ : سَحَرًا وَالبُكَرُ : الْبُكَرَةُ . وَاسْمُهَا الْإِبْكَارُ كَالْإِصْبَاحِ قَالَ سِيَوِيَّة : هَذَا قَوْلُ أَهْلِ اللُّغَةِ وَعِنْدِي أَنَّهُ مُصَدَّرُ أَبْكَرَ

وَفِي التَّهْذِيبِ : وَالبُكُورُ وَالتَّبْكِيرُ : الْخُرُوجُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ . وَالْإِبْكَارُ : الدُّخُولُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ

الْبُكَرَةُ بِالْفَتْحِ : اسْمٌ لِلَّتِي يُسْتَقَى عَلَيْهَا وَهِيَ خَشَبَةٌ مُسْتَدِيرَةٌ فِي وَسْطِهَا مَحْزٌ لِلْجَبَلِ وَفِي جَوْفِهَا مَخَوْرٌ تَدُورُ عَلَيْهِ يُسْتَقَى عَلَيْهَا أَوْ هِيَ الْمَحَالَّةُ السَّرِيعَةُ وَيُحْرَكُ وَهَذِهِ عَنِ الصَّغَانِيِّ وَهَكَذَا لِابْنِ سَيِّدِهِ فِي الْمَحْكَمِ وَهُوَ تَابِعٌ لَهُ فِي أَكْثَرِ السِّيَاقِ .

بُكَرٌ بِالتَّحْرِيكِ وَهُوَ مِنْ شَوَاذِ الْجَمْعِ لِأَنَّهُ فَعْلَةٌ لَا تُجْمَعُ عَلَى فَعَلٍ إِلَّا أَحْرَفًا مِثْلُ : حَلَقَةٍ وَحَلَقٍ وَحِمَاةٍ وَحِمَاٍ وَبُكَرَةٍ وَبُكَرٍ كَمَا فِي الصَّحَاحِ أَوْ هُوَ اسْمُ جِنْسٍ جَمْعِي كَشَجَرَةٍ وَشَجَرٍ قَالَهُ شَيْخُنَا وَبُكَرَاتٍ أَيْضًا قَالَ الرَّاجِزُ : وَالبُكَرَاتُ شَرْهَنُ الصَّائِمَةِ . يَعْنِي الَّتِي لَا تَدُورُ الْبُكَرَةُ : الْجَمَاعَةُ . وَالفِتْيَةُ مِنَ الْإِبِلِ .

قال الجوهري : وج البكر بكار كفرخ وفراخ . وبكر عليه وإليه وفيه
يُنْكَرُ بُكْرُوا بِالضَّمِّ وَبَكَرَ تَبْكِيراً وَابْتَكَرَ وَأَبْكَرَ إِبْكَاراً.

وباكِرُه : أتاَه بَكْرَةً كُلُّهُ بِمَعْنَى أَيِّ بَاكِراً فَإِنْ أُرِدَتْ بِهِ بَكْرَةٌ يَوْمَ بَعِينِهِ
قُلْتُ : أَتَيْتُهُ بَكْرَةً غَيْرَ مَصْرُوفٍ وَهِيَ مِنَ الظُّرُوفِ الَّتِي لَا تَتِمَّكُنْ.

وَكُلُّ مَنْ بَادَرَ إِلَى شَيْءٍ فَقَدْ أَبْكَرَ إِلَيْهِ وَعَلَيْهِ وَبَكَرَ فِي أَيِّ وَقْتٍ كَانَ
بَكْرَةً أَوْ عَشِيَّةً يُقَالُ : بَكَرُوا بِصَلَاةِ الْمَغْرِبِ أَيِّ صَلُّوْهَا عِنْدَ سُقُوطِ الْقُرْصِ
رَجُلٌ بَكَرَ فِي حَاجَتِهِ كَنُدْسٍ وَبَكَرَ كَحَذَرٍ وَبَكِيرٌ كَأَمِيرٍ : قَوِيٌّ عَلَى الْبُكُورِ
وَبَكَرٌ وَبَكِيرٌ كِلَاهُمَا عَلَى النَّسَبِ إِذَا لَا فَعْلَ لَهُ ثَلَاثِيًّا بَسِيطاً

فِي الْمُحْكَمِ : وَبَكَرَهُ عَلَى أَصْحَابِهِ تَبْكِيراً وَأَبْكَرَهُ عَلَيْهِمْ : جَعَلَهُ يُبْكَرُ
عَلَيْهِمْ . وَأَبْكَرَ الْوَرْدَ وَالْغَدَاءَ : عَاجَلَهُمَا وَقَالَ أَبُو زَيْدٍ : أَبْكَرْتُ عَلَى
الْوَرْدِ إِبْكَاراً وَكَذَلِكَ أَبْكَرْتُ الْغَدَاءَ

وَقَالَ غَيْرُهُ : يُقَالُ : بَاكَرْتُ الشَّيْءَ إِذَا بَكَرْتُ لَهُ قَالَ لَيْدٌ :
بَاكَرْتُ حَاجَتَهَا الدَّجَاجَ بِسُحْرَةٍ . مَعْنَاهُ بَادَرْتُ صَقِيعَ الدِّيكِ سَحْراً
إِلَى حَاجَتِي وَتَمَامَ بَيْتِ الشَّعْرِ :

بَاكَرْتُ حَاجَتَهَا الدَّجَاجَ بِسُحْرَةٍ ... لِأَعْلَ مِنْهَا حِينَ هَبَّ نِيَامُهَا^(١).
وَيُقَالُ : أَتَيْتُهُ بَاكِراً فَمَنْ جَعَلَ الْبَاكِراً نَعْتاً قَالَ لِلْأَثْنَى : بَاكِرَةٌ وَلَا يُقَالُ :
بَكَرٌ وَلَا بَكَرٌ إِذَا بَكَرَ

وَبَكَرَ تَبْكِيراً وَأَبْكَرَ وَتَبْكَرَ : تَقَدَّمَ وَهُوَ مَجَازٌ . وَفِي حَدِيثِ الْجُمُعَةِ : "
مَنْ بَكَرَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَابْتَكَرَ فَلَهُ كَذَا وَكَذَا " قَالُوا : بَكَرَ : أَسْرَعَ وَخَرَجَ إِلَى
الْمَسْجِدِ بَاكِراً وَأَتَى الصَّلَاةَ فِي أَوَّلِ وَقْتِهَا وَهُوَ مَجَازٌ.

تَمَامُ الْحَدِيثِ عَنْ أَوْسَ بْنِ أَوْسٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ :
قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : مَنْ غَسَلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ

واغتسل ثم بكر وابتكر ومشى ولم يركب ودنا من الامام واستمع ولم يلغ كان له بكل خطوة عمل سنة اجر صيامها وقيامها^(١).

وقال أبو سعيد : معناه من بكر إلى الجمعة قبل الأذان وإن لم يأتها باكراً فقد بكر : وأما ابتكارها فهو أن يدرك أول وقتها وقيل : معنى اللفظين واحد مثل فعل واقتعل وإنما كرر للمبالغة والتوكيد كما قالوا : جاد مجد

بكر إلى الشيء كفرح : عجل . قاله ابن سيده ومن المجاز : غيث بكر وبكور البكور والباكور من المطر : ما جاء في أول الوسمي كالبكر من أبكر والبكور كصبور ويقال أيضاً : هو الساري في آخر الليل وأول النهار وأنشد :

جرر السيل بها عشونه ... وتهادتها مداليج بكر^(٢).

وفي الأساس : سحابة مدلاج بكور . البكور : المعجل المجيء والإدراك من كل شيء وبهاء الأنثى أي الباكورة . باكورة الثمرة منه ومن المجاز : ابتكر الفاكهة : أكل باكورتها وهي أول ما يدرك منها وكذا ابتكر الرجل : أكل باكورة الفاكهة

من المجاز : الباكورة : النخل التي تدرك أولاً كالبكير والمبكار والبكور كصبور . جمعه أي البكور بكر بضمّتين قال المتنخل الهذلي : ذلك ما دينك إذ جنبت ... أحمالها كالبكر المبتل^(٣).

قال ابن سيده : وصف الجمع بالواحد كأنه أراد المبتلة فحذف لأن البناء قد انتهى ويجوز أن يكون المبتل جمع مبتلة وإن قل نظيره ولا يجوز

(١) البيهقي / السنن الكبرى ٢٢٩/٣.

(٢) العين ٤٤٢/١.

(٣) جمهرة اللغة ١٠٠/١.

أَنْ يَغْنِيَ بِالْبَكْرِ هَذَا الْوَاحِدَةَ لِأَنَّهُ إِنَّمَا نَعَتْ حُدُوجاً كَثِيراً فَشَبَّهَهَا بِنَخِيلٍ
كثيرة . وقول الشاعر :

إِذَا وَلَدَتْ قَرَائِبُ أُمِّ نَبِيلٍ فَذَاكَ اللَّؤْمُ وَاللَّقْحُ الْبَكُورُ^(١) .
أَيَّ إِنَّمَا عَجَلَتْ بِجَمْعِ اللَّؤْمِ كَمَا تَعَجَّلُ النَّخْلَةُ وَالسَّحَابَةُ . وفي
الْأَسَاسِ : وَمِنَ الْمَجَازِ : نَخْلَةٌ بَاكِرٌ وَبَكُورٌ : تُبَكِّرُ بِحَمْلِهَا . وَأَرْضٌ مَبْكَارٌ :
سَرِيعَةُ الْإِنْبَاتِ . وَسَحَابَةٌ مَبْكَارٌ : مَدْلَاجٌ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ
وَالْبَكْرِ بِالْكَسْرِ : الْعَذْرَاءُ وَهِيَ الَّتِي لَمْ تُفْتَضْ . وَمِنَ الرِّجَالِ : الَّذِي
لَمْ يَقْرُبْ امْرَأَةً بَعْدُ . ج أَبْكَارٌ وَالْمَصْدَرُ الْبَكَارَةُ : بِالْفَتْحِ
الْبَكْرُ : الْمَرْأَةُ وَالنَّاقَةُ إِذَا وَلَدَتَا بَطْنًا وَاحِدًا وَالذَّكَرُ وَالْأُنْثَى فِيهِمَا سَوَاءٌ
وَقَالَ أَبُو الْهَيْثَمِ : وَالْعَرَبُ تُسَمِّي الَّتِي وَلَدَتْ بَطْنًا وَاحِدًا بِكَرًا : بِوَلَدِهَا
الَّذِي تَبْتَكِرُ بِهِ وَيُقَالُ لَهَا أَيْضًا : بِكَرٍ مَا لَمْ تَلِدْ وَنَحْوُ ذَلِكَ .
قَالَ الْأَصْمَعِيُّ : إِذَا كَانَ أَوَّلُ وَلَدٍ وَلَدَتْهُ النَّاقَةُ فَهِيَ بِكَرٍ وَالْجَمْعُ أَبْكَارٌ
وَبِكَارٍ قَالَ أَبُو ذُوَيْبٍ الْهَذَلِيُّ :

وَإِنْ حَدِيثًا مِنْكَ لَوْ تَبَدَّلَيْنِي ... جَنَى النَّحْلُ فِي أَلْبَانٍ عُوذَ مَطَافِلِ
مَطَافِلِ أَبْكَارٍ حَدِيثٌ نَتَاجُهَا ... تُشَابُ بِمَاءٍ مِثْلَ مَاءِ الْمَفَاصِلِ
الْبَكْرُ : أَوَّلُ كُلِّ شَيْءٍ ، وَمِنْهُ عُنْوَانُ هَذَا الْجُزْءِ مِنَ التَّفْسِيرِ فَلَمْ يَرِدْ
كِعُنْوَانٍ أَوْ مَقُولَةٍ مَعَ أَنَّهُ حَقٌّ ، وَالْبَكْرُ : كُلُّ فَعْلَةٍ لَمْ يَتَقَدَّمْهَا مِثْلُهَا . الْبَكْرُ :
بَقْرَةٌ لَمْ تَحْمِلْ أَوْ هِيَ الْفَتِيَّةُ وَكِلَاهُمَا وَاحِدٌ ، فَلَوْ قَالَ : فَتِيَّةٌ لَمْ تَحْمِلْ لَكَانَ
أَوْلَى كَمَا فِي غَيْرِهِ مِنَ الْأَصُولِ ، وَفِي التَّنْزِيلِ ﴿لَا فَاِرِضُ وَلَا بَكْرُ﴾^(٢) ، أَيْ
لَيْسَتْ بِكَبِيرَةٍ وَلَا صَغِيرَةٍ

(١) تاج العروس ٢٥٣٧/١ .

(٢) سورة البقرة ٦٨ .

من المَجَاز : البِكرُ : السَّحَابَةُ الغَزِيرَةُ شُبِّهَتْ بالبِكرِ مِنَ النِّسَاءِ . قلتُ : قال ثعلبٌ : لأن دَمَهَا أَكْثَرُ مِنْ دَمِ الثَّيْبِ وَرَبِّمَا قِيلَ : سَحَابٌ بِكَرٍّ أَنْشَدَ ثعلبٌ :

ولقد نَظَرْتُ إِلَى أَغْرَ مُشَهَّرٍ ... بِكَرٍّ تَوَسَّنَ فِي الخَمِيلَةِ عَوْنًا .
البِكرُ : أَوَّلُ وَلَدِ الأبوينِ غُلَامًا كَانَ أَوْ جَارِيَةً وَهَذَا بِكَرٍّ أَبَوَيْهِ أَيْ أَوَّلُ وَلَدٍ يُوَلَّدُ لِهَما وَكَذَلِكَ الجَارِيَةُ بغيرِ هاءٍ وَجَمَعَهُما جَمِيعًا أَبْكَارًا وَفِي الْحَدِيثِ : " لَا تَعْلَمُوا أَبْكَارَ أَوْلَادِكُمْ كَتَبَ النُّصَارِيُّ " يَعْنِي أَحْدَانَكُمْ . وَقَدْ يَكُونُ البِكرُ مِنَ الأَوْلَادِ فِي غَيْرِ النَّاسِ كَقَوْلِهِمْ : بِكَرٍّ الحَيَّةُ
وَمِنَ المَجَازِ قَوْلُهُمْ : أَشَدُّ النَّاسِ بِكَرٍّ بَنُ بَكَرَيْنِ وَفِي المَحْكَمِ : بِكَرٍّ بِكَرَيْنِ قَالَ :

يَا بِكَرٍ بِكَرَيْنِ وَيَا خَلْبَ الكَيْدِ ... أَصْبَحْتَ مِنِّي كَذِرَاعٍ مِنْ عَضُدٍ^(١) .
مِنَ المَجَازِ : البِكرُ : الكَرَمُ الَّذِي حَمَلَ أَوَّلَ مَرَّةٍ جَمْعَهُ أَبْكَارًا قَالَ الفَرَزْدَقُ :

إِذَا هُنَّ سَاقَطْنَ الْحَدِيثَ كَأَنَّهُ ... جَنَى النَّحْلِ أَوْ أَبْكَارُ كَرَمٍ تُقَطِّفُ^(٢) .
مِنَ المَجَازِ : الضَّرْبَةُ .

البِكرُ : هِيَ القَاطِعَةُ القَاتِلَةُ وَفِي بَعْضِ النُّسخِ : الفَاتِكَةُ وَضَرْبَةُ بِكَرٍّ : لَا تُشَّى .

وَفِي الْحَدِيثِ : كَانَتْ ضَرْبَاتُ عَلِيٍّ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ أَبْكَارًا إِذَا اعْتَلَى قَدًّا وَإِذَا اعْتَرَضَ قَطًّا^(٣) ، وَفِي رِوَايَةٍ : كَانَتْ ضَرْبَاتُ عَلِيٍّ مُبْتَكِرَاتٍ لَا عَوْنًا " أَيْ أَنَّ ضَرْبَتَهُ كَانَتْ بِكَرًّا تَقْتُلُ بَواحِدَةً مِنْهَا لَا يَحْتَاجُ أَنْ يُعِيدَ الضَّرْبَةَ ثَانِيًا وَالمَرَادُ بِالْعَوْنِ المُثَنَّاةُ .

(١) بيت الشعر لحميد بن ثور يذكر سحاباً .

(٢) جمهرة اللغة ١/١٢٤ .

(٣) القهر القطع طولاً ، والقط القطع عرضاً .

وفي رواية (كان إذا تطاول قَدْ وإذا تقاصر قَطْ أي قطع طويلاً وقطع عرضاً)^(١)، وكانت ضربات عليه السلام دفاعاً عن الإسلام وبيضته ، ولم يقم بغزو أو هجوم على المشركين ، ولكن المشركين كانوا يغزون ويصرون على القتال.

قانون الإعجاز في مقدمات بعثة النبي محمد ص

لقد أنعم الله على الناس بعمارة الأرض وملاً الأكوان بالآيات التي تدل على وجوده سبحانه وهو الخالق ، وسخر لهم النعم والتي يعجزون عن إحصائها .

ومن الآيات أن كل نعمة دعوة للتوحيد وأن العجز عن إحصائها مناسبة للشكر لله عز وجل ونبد الشرك ، كما يدل عليه قوله تعالى ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾^(٢).

وبعث الله عز وجل الأنبياء للتذكير والتدبر بهذه الآيات ، ودعوة الناس لإستحضارها في الوجود الذهني ، والشكر له سبحانه على هذه النعم ، ومع عظمة كل واحدة منها فقد جمعها الله في بضع كلمات وهو سبحانه القوي الغني عن العالمين^(٣).

وهل قول المسلم في الصلاة ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(٣)، من الشكر لله عز وجل على هذه النعم ، الجواب نعم ، وهل يجزي هذا الحمد أم يجب التوجه إلى الله عز وجل بالشكر والحمد لله على كل نعمة .

(١) لسان العرب ٣/ ٣٤٣ .

(٢) سورة البقرة ٢٢.

(٣) سورة الفاتحة ٢.

المختار هو الأول إن التدبر في هذه الآيات والشكر لله عز وجل عليها حصن من الإرهاب ، وصرف للنفس عنه ، ومنع من الغير للإضرار بالمؤمنين.

وأُنزل الله الكتب السماوية وسلّح الأنبياء بالوحي ليصدقهم الناس ، ويحرصون على إتباعهم ، ولكن شطراً من الناس إختاروا الكفر والجحود ، ولم يسلموا لهم بالنبوة ليس لعدم إقامة الحجة عليهم ، وكفاية البرهان والآية.

ولكن لغلبة القوة الشهوية والغضبية عليهم ، قال تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا﴾^(١).
وأخبرت الآية أعلاه عن صدّ الذين كفروا عن سبيل الله ، وليس من حصر لطرفي الآية أعلاه:

الأول : مصاديق سبيل الله .

الثاني : الصدّ عن سبيل الله.

وتبين الآية التضاد بين الأحكام الشرعية وبين المنع منها ، مما يدل على أن بعثة الأنبياء ليس فيها إرهاب أو عنف إنما هي دعوة إلى سبيل الله ، بالحجة والدليل ، قال تعالى ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾^(٢).
وقد ورد لفظ يصدون في القرآن إحدى عشرة مرة كما وردت مادة (صدّ) بلفظ (يصدنك) كما في قوله تعالى ﴿فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَرَّدَى﴾^(٣).

وتبين سُنخية صدّ الذين كفروا عن الواجبات منها :

(١) سورة النساء ١٦٧.

(٢) سورة النحل ١٢٥.

(٣) سورة طه ١٦.

الأول : الصد والإمتناع عن عبادة الله.

الثاني : الجحود بالنبوة .

الثالث : منع الناس من الإيمان .

الرابع : الإستهزاء والسخرية بالوحي والتزليل ، قال تعالى ﴿يَا حَسْرَةً

عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾^(١).

الخامس : امتناع المنافقين عن الإمثال للأوامر الإلهية وعنادهم

وإعراضهم عن سبل الإستغفار التي تجلب لهم ولأهل الأرض الخير

والبركة ، قال تعالى ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوُوا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ

يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾^(٢).

السادس : ضرب الحصار على أهل بيت النبوة كما في حصار شعب

أبي طالب الذي استمر ثلاث سنوات (من ليلة هلال المحرم سنة سبع من

حين نبي رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان خروجهم في السنة العاشرة

وقيل مكثوا في الشعب ستين)^(٣).

السابع : منع الناس من أداء مناسك الحج والعمرة ، ومنه منع

المسلمين الأوائل من المهاجرين والأنصار ، قال تعالى ﴿وَصَدُّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ

وَكُفْرُ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ

يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ

(١) سورة يس ٣٠.

(٢) سورة المنافقون ٥.

(٣) عيون الأثر ١/١٦٨.

دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١﴾

الثامن : انفاق الأموال لمنع الناس من دخول الإسلام.

التاسع : بذل الأموال الطائلة لتجهيز الجيوش لمحاربة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه.

العاشر : قيام المشركين وعلى نحو متكرر بمحاولة قتل النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ولولا فضل الله بنجاته ، وهل هذه النجاة معجزة حسية للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

الجواب نعم ، فمن هذه المحاولات ما أبرمت ونسجت خيوطها بدقة فيكشفها الله ، وأحياناً يكون هذا الكشف بالوحي ، ويتألم كل مسلم وعامة الناس من هذه المحاولات ، وهي من الإرهاب ، وفيه دعوة للناس لإجتنب الإغتيال والغدر بالقتل المفاجئ ، وهو من الفساد وسفك الدماء الذي حذرت منه الملائكة يوم أخبرهم الله عز وجل بخلافة الإنسان في الأرض ، كما ورد في التنزيل ﴿قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٢).

الحادي عشر : تلقي المشركين الدعوة إلى الإيمان بالمكر والكيد .

الثاني عشر : وجود طائفة تتصف بالنفاق ، تصد ومن داخل مجتمع المؤمنين عن الإيمان ، وعن الدفاع عن النبوة والتنزيل .

الثالث عشر : تعدي المشركين على الأمنين ، والذين لم يقفوا إلى جانبهم في حربهم على النبوة والتنزيل .

(١) سورة البقرة ٢١٧.

(٢) سورة البقرة ٣٠.

الرابع عشر : إكراه الناس خاصة المستضعفين والعييد على قتال النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه .

ومن الآيات أن هؤلاء المستضعفين يعلمون أن النبوة خير محض ، وأنهم أكثر المستفيدين من بعثة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم لما فيها من تحريم القهر والاذلال .

وكان المشركون يتكثرون عليهم في الأعمال ويقدمونهم في ميادين القتال مما يحدث تضاداً عندهم بين إختيار الإيمان وفيه استدامة الحياة والعز والأمن في النشأتين ، وبين البقاء على الكفر وفيه خسارة الدنيا والآخرة ، فلا بد أنهم يختارون الأول.

ليبان قانون وهو إصابة الذين كفروا بالوهن والضعف بعد كل معركة لهم مع النبي وأصحابه ، وهذا الوهن والضعف في إطراد وإزدياد . ولا تختص هذه الزيادة بحال الحرب والقتال فحتى في الفترة والمدة بين كل معركتين ، يحدث تدني في عزائم المشركين ، وتتجلى بعض مصاديقه بتوبة طائفة منهم ودخولها الإسلام .

وسبق أن أسسنا علماً جديداً بعنوان (مقدمات بعثة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم) ولا تختص بموضوع أو أمر معين ، بل تشمل وجوهاً كثيرة ، وكل واحد منها له مصاديق متعددة منها :

المصداق الأول : بشارة الأنبياء ببعثة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وصحيح أنها تذكر في باب البشارات بالنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم كما ورد حكاية عن عيسى في التنزيل ﴿وَمُبَشِّرًا بِرُسُولِيَّاتِي﴾

مِنْ بُعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ» ^(١) وقوله تعالى ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ﴾ ^(٢) .

وأول من بشر بالنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم هو آدم عليه السلام ، إذ علم آدم وهو في الجنة برسالة خاتم النبيين من ذريته وهو محمد صلى الله عليه وآله وسلم لبيان المواساة المتقدمة مكاناً وزماناً لآدم عند نزوله إلى الأرض ، فلا يخالطه شك بهذا القانون .
إن بشارة الأنبياء بالنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم من أعظم المقدمات ، إذ أنها دعوة للناس للتصديق بنبوته .

وعن عمر بن الخطاب (قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما اقترف آدم الخطيئة قال يا رب بحق محمد لما غفرت لي قال وكيف عرفت محمداً قال لأنك لما خلقتني بيدك ونفخت في من روحك رفعت رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوباً لا إله إلا الله محمد رسول الله فعلمت أنك لم تضيف إلى اسمك إلا أحب الخلق إليك قال صدقت يا آدم ولولا محمد ما خلقتك) ^(٣) .

المصداق الثاني : تهيئة الأنبياء السابقين مقدمات لبعثة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وهذه التهيئة بالوحي ليكون من قوانين النبوة ومصاديق قوله تعالى ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ ^(٤) قيام الرسول بتبليغ النبي الذي يأتي بعده ويكون على ذات شريعته بالبشارة بالرسول الذي يأتي فيما بعد بشريعة جديدة ، بالإضافة إلى البشارات التي تأتي

(١) سورة الصف ٦ .

(٢) سورة الأعراف ١٥٧ .

(٣) الخصائص الكبرى ١٠/١ .

(٤) سورة البقرة ٣٠ .

لذات الأنبياء بالوحي ، فلا تختص البشارات بالرسول اللاحق بالرسول السابق ، إنما تأتي للأنبياء أيضاً لموضوعية هذه البشارة والغايات العظيمة منها ، ليكون معنى البشارة في قوله تعالى ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ﴾^(١) أعم من البشارة بالجنة لمن أطاع الله والإنذار بالنار لمن عصاه ، فيأتي الرسول أيضاً بالبشارة بالرسول اللاحق وبخاتم النبيين .

فكان الرسل يوصون بالتصديق بالنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم منهم إبراهيم عليه السلام الذي جاهد بخصوص نبوة محمد ، والتوسط لها من جهات :

الأولى : إجتهد إبراهيم بالدعاء للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، ومن الشواهد على هذا الإجتهد ذكر القرآن لسؤال الهداية لذريته وتوالي الرزق الكريم على أهله .

(عن خالد بن معدان الكلاعي: أن نفرا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قالوا: يا رسول الله، أخبرنا عن نفسك. قال: نعم، أنا دعوة أبي إبراهيم، وبشرى عيسى)^(٢).

الثانية : قيام إبراهيم عليه السلام بنقل إقامة إسماعيل وأمه عند البيت الحرام مع عدم وجود ومياه وزراعات ، وهل كان إبراهيم يعلم أن خاتم النبيين سيولد من صلب وذرية إسماعيل عليه السلام ، الجواب نعم .

الثالثة : توجه الخطاب التكليفي من الله عز وجل لإبراهيم عليه السلام بدعوة الناس إلى الحج ، قال تعالى ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ * لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ

(١) سورة البقرة ٢١٣.

(٢) تفسير الطبري ٨٢/٣.

فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقْنَاهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَاكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا أَمْرَ الْفَقِيرِ ﴿١﴾ .

وهل هذه الدعوة على نحو الوجوب أم الإستحباب من جهتين :

الأولى : شروع إبراهيم بالإذن والإعلام .

الثانية : قيام الناس بالحج .

المختار هو الوجوب في الجهتين ، ومن المنافع في المقام تلمس مفاهيم سنن التوحيد والخيفية لإبراهيم ، وتلقي البشارة ببعثة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

وفي أوان تحريم مكة وجوه :

الأول : حرمة مكة من يوم خلق الله الأرض ، ودحوها من تحت الكعبة.

الثاني : تحريم مكة من أيام الأنبياء السابقين لإبراهيم ، خاصة وأنه ليس من نبي إلا وقد حج البيت الحرام .

الثالث : تحريم إبراهيم عليه السلام لمكة ، ولم تكن قبله حراماً ، وأستدل بما ورد (عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم " إن إبراهيم حرم بيت الله وأمنه ، وإنني حرمت المدينة ما بين لابتيها ، عضاهها وصيدها ، ولا تقطع عضاهها) (٢) .

والمختار هو الأول ، ويدل عليه قوله تعالى ﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ

ذُرِّيَّتِي بَادِيَ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾ (٣) ، ويدل عليه قوله تعالى

(١) سورة الحج ٢٧-٢٨ .

(٢) تفسير الطبري ٤٨/٢ .

(٣) سورة إبراهيم ٣٧ .

﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾^(١) في مفهومه على حرمة مكة من حين خلق الله الأرض ، لأن الله وضع البيت لعموم الناس ، وللبركة وأسباب الهداية فيه .

ولما ورد (عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، لمكة حين افتتحها: " هذه حرم حرمه الله يوم خلق السموات والأرض، وخلق الشمس والقمر، ووضع هذين الأخشين، لم تحل لأحد قبلي، ولا تحل لأحد بعدي، أحلت لي ساعة من نهار)^(٢).

ولا يتعارض معه حديث جابر إذ أنه في طوله يؤكد إبراهيم عليه السلام حرمة البيت الحرام ، كما أكدها النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

أما ما ورد في قوله تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبُئْسَ الْمَصِيرُ﴾^(٣) فإن الحرمة أعم من الأمن وأراد إبراهيم تهية مقدمات بعثة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بحيث يأمن من القتل ، وهذا الأمن من مصاديق دعوة إبراهيم التي ذكرها النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في الحديث أعلاه فيكون من معناه وجوه :

الأول : انا دعوة أبي إبراهيم في تحقق بعثتي .

(١) سورة آل عمران ٩٦ .

(٢) تفسير الطبري ٤٦/٢ .

(٣) سورة البقرة ١٢٦ .

الثاني : أنا دعوة أبي إبراهيم في تطهير البيت ﴿لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾^(١).

الثالث : أنا دعوة أبي إبراهيم في تثبيت كلمة التوحيد .

الرابع : أنا دعوة أبي إبراهيم في سلامتي من الإغتيال .

الخامس : أنا دعوة أبي إبراهيم في منع الوأد ، وفي الحرب على الإرهاب .

السادس : أنا دعوة أبي إبراهيم لإستئصال الشرك .

لقد كانت دعوة إبراهيم هذه حاضرة ليلة المبيت والهجرة إذ عزم المشركون على قتل النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في فراشه ، ليستجيب الله عز وجل لدعوة إبراهيم مع مضي نحو ألفي سنة عليها ، وينزل جبرئيل ويأمر النبي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم بالهجرة ومبيت الإمام عليه السلام في فراشه .

وهل صاحبت دعوة إبراهيم النبي صلى الله عليه وآله وسلم في طريق الهجرة يحتمل وجوهاً :

أولاً : الدعوة خاصة بمكة وحدودها كبلدة .

ثانياً : شمول الدعوة أرض الحرم ، وهو المتبادر من مفهوم البلد في الآية القرآنية ، وفيه إعجاز بتوسعة مكة واتساع محلاتها ودورها ، وتكاد البيوت تصل في هذا الزمان إلى التنعيم الذي هو حدّ الحرم من جهة المدينة من جهة الشمال .

وستتسع أحياء ومحلات مكة بفضل من الله ، لتكون نحو عشرين ضعفاً لما هي عليه الآن ، ليكون التنعيم داخل أحياء مكة .

ثالثاً : إن قوله تعالى ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا﴾ ^(١) شاهد على قدسية البيت ، وأداء الناس لمناسك الحج والعمرة ، وهو سبب لجذب الناس من الآفاق إلى جوار البيت ، والأمن المذكور في الآية شامل لذات البيت الحرام وبلدة مكة والحرم والذين يفدون إليها ويتغشاهم الأمن من حين توجههم إليها إلى أوان رجوعهم لبلدانهم .

والمختار هو الأخير ، قال تعالى ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ﴾ ^(٢) .

المصدق الثالث : مجئ التوراة بالبشارة ببعثة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم والإخبار عن حج البيت الحرام ، وبركات السكن بجواره ، إذ ورد في سفر المزامير :

٨٤: ٤ طوبى للساكنين في بيتك ابدا يسبحونك سلاه

٨٤: ٥ طوبى لاناك عزهم بك طرق بيتك في قلوبهم

٨٤: ٦ عابرين في وادي البكاء ^(٣) يصيرونه ينبوعا ايضا ببركات يغطون

مورة

٨٤: ٧ يذهبون من قوة الى قوة يرون قدام الله في صهيون

٨٤: ٨ يا رب اله الجنود اسمع صلاتي واصنع يا اله يعقوب سلاه

٨٤: ٩ يا مجتنا انظر يا الله والتفت الى وجه مسيحك ^(٤) .

(١) سورة إبراهيم ٣٥ .

(٢) سورة سبأ ١٨ .

(٣) ذكر أن الترجمة للنص الإنكليزي للكتاب المقدس هو (في وادي بكة) وليس في وادي البكاء .

(٤) موسوعة الكتاب المقدس / سفر المزامير ٤١٦/٢ .

الرابع : بناء إبراهيم وإسماعيل للبيت الحرام ورفعهما قواعده ، كما ورد في التنزيل ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾^(١) .

ولا يعلم منافع مجئ الناس من القبائل والبلدات رجالاً ونساءً لحج البيت الحرام في تحقق مصاديق تبليغ النبي صلى الله عليه وآله وسلم لرسالته إلا الله عز وجل ، ليكون من معاني الآية أعلاه وجوه :

أولاً : ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ﴾^(٢) ، ليجتمع الناس في الحرم وينصتوا للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

ثانياً : ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ﴾ مقدمة لبعثة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

ثالثاً : ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ﴾ ليتوارث الناس عقيدة التوحيد ، ويتعاهدوا حنيفة إبراهيم عليه السلام .

رابعاً : (وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل لدعوة الناس للإيمان ، وإقامة الحجة على الذين كفروا ، قال تعالى ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ لَّا يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ^(٣) .

خامساً : وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل (طاعة وقربة إلى الله عز وجل ، وفيه فضح وخزي للذين نصبوا الأصنام في البيت .

(١) سورة البقرة ١٢٧ .

(٢) سورة البقرة ١٢٧ .

(٣) سورة النساء ١٦٥ .

سادساً : (وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل) لتكون ولاية البيت بيد أولياء الله ، لذا تبرء الله عز وجل من المشركين عندما استحوذوا على شؤون ولايته .

فتكون آية القواعد هذه سبباً لبعث النفرة في نفوس الناس من ولاية المشركين له ، ومناسبة وحجة للتصديق بالقرآن عندما نزل بنفي ولايتهم له ، إذ قال تعالى ﴿ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَائُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾^(١).

وحتى وسط وآخر آية ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾^(٢).

يشمل النبي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم ورسالته ، إذ ورد قوله تعالى ﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا ﴾^(٣) بصيغة الجمع مع أنهما مثني .

وصحيح أن الاثنين أقل الجمع على قول ، وأستدل عليه بقوله تعالى ﴿ هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ﴾^(٤) ولكن هذا الإستدلال غير تام في المقام من وجوه :

أولاً : وجود قرينة تدل على التثنية بقوله تعالى ﴿ خَصْمَانِ ﴾.

(١) سورة الأنفال ٣٤

(٢) سورة البقرة ١٢٧ .

(٣) سورة البقرة ١٢٧ .

(٤) سورة الحج ١٩ .

ثانياً : المراد من قوله تعالى ﴿اخْتَصِمُوا﴾ التعدد في كل طرف ، وبيان أن موضوع الآية لا ينحصر باثنين لذا ورد في تفسير الآية (عن أبي ذر : أنه كان يقسم قسماً إن هذه الآية {هذان خصمان اختصموا في ربهم . . .} ^(١) إلى قوله ﴿إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ ^(٢) نزلت في الثلاثة والثلاثة الذين تبارزوا يوم بدر وهم : حمزة بن عبد المطلب ، وعبيدة بن الحارث ، وعلي بن أبي طالب ، وعتبة وشيبة ابنا ربيعة ، والوليد بن عتبة ^(٣) .

ثالثاً : قد يرد صيغة الجمع للثنين ، وبخصوص إضافة الجمع إلى ضمير التثنية كما في وجوههما ، قال سيوبه (سألت الخليل رحمه الله عن: ما أحسن وجوههما؟ فقال: لأن الإثنين جميعٌ، وهذا بمنزلة قول الإثنين: نحن فعلنا ذاك، ولكنهم أرادوا أن يفرقوا بين ما يكون منفرداً وبين ما يكون شيئاً من شيء. وقد جعلوا المفردين أيضاً جميعاً، قال الله جل ثناؤه ﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَضُمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ * إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصِمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ﴾ ^(٤) .

وقد يشون ما يكون بعضاً لشيء. زعم يونس أن رؤية كان يقول: ما أحسن رأسيهما ^(٥) .

لقد أضاعت جنابات مكة ليلة ولادة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ومعها بدأ إنقراض وزوال عبادة الأصنام ، ولم تكن ولادته أمراً

(١) سورة الحج ١٩ .

(٢) سورة الحج ١٤ .

(٣) الدر المنثور ١٢٨/٧ .

(٤) سورة ص ٢١-٢٢ .

(٥) الكتاب ١٠٠/١ .

خاصاً بأهل مكة ومن يفد عليها من القبائل ، إذ أن رسالته للناس جميعاً ، قال تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ﴾^(١) .

وشاء الله أن تكون هناك علامات ودلالات تبشر بسطوع ضياء نبوته ، وتدعو الناس للإعطاء وتلقيها بالقبول والرضا ، ومن هذه العلامات كما ورد (عن مخزوم بن هاني المخزومي عن أبيه وأتت له مائة وخمسون سنة قال لما كانت الليلة التي ولد فيها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ارتجس إيوان كسرى وسقطت منه أربعة عشرة شرفة وخمدت نار فارس ولم تخمد قبل ذلك ألف عام وغاضت بحيرة ساوة)^(٢) .

إذ حدثت آيات ليلة ولادة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم منها : العلامة الأولى : ارتجاس واهتزاز واضطراب إيوان كسرى مع متانة بنائه ، وليس من زلزال عام في المنطقة المحيطة به ، إذ ذات العرش وحده اهتز ، ليكون إنذاراً لحكام فارس بلزوم الإيمان .

فان قلت لماذا لم يهتز عرش قيصر وهرقل ، والجواب من جهات : الأولى : إن اهتزاز أحد العروش أمانة وإنذار للملوك كلهم . الثانية : أن قيصراً وهرقل كانا على دين النصرانية ، وهما من أهل الكتاب .

الثالثة : عندما بعث النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بعد صلح الحديبية كتاباً إلى عظيم بصرى^(٣) ليدفعه إلى قيصر يدعوه إلى الإسلام بيد

(١) عيون الأثر ١/٤١

(٢) الخصائص الكبرى ١/٨٨ .

(٣) بصرى : مدينة هي قصبة وعاصمة حوران ، فتحت صلحاً قبل دمشق ، فجاء صاحب أذرعات (درعا) فطلب الصلح على ما صولح عليه أهل بصرى (وقال أبو ذؤيت الهذلي :

فما فضلة من أذرعات هَوَتْ بها ... مذكرة عنى كهازنة الضحل
سُلَافَةُ راح ضَمَّتْهَا إِدَاوَةٌ مقبرة ردف لمؤخرة الرحل

دحية الكلبي أخرج هرقل سफطاً فيه صور الأنبياء ومنهم صورة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

وعندما توجه النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم إلى تبوك في السنة التاسعة للهجرة ووصل إليها كتب كتاباً إلى قيصر يدعوه مرة أخرى إلى الإسلام .

وهو من الإعجاز في نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم أن تحل الدعوة السلمية إلى الله بدل الحرب والقتال ، ويبدو أن قيصراً كان حكيماً فلم يمزق كتاب النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وبعث رسولا إلى المدينة ، وطلب منه أن يلحظ علامات ثلاثة عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهي :

الأولى : هل يذكر النبي صلى الله عليه وآله وسلم الصحيفة التي كتبها إلى قيصر أي بعد صلح الحديبية .

الثانية : إذا قرأ النبي صلى الله عليه وآله وسلم كتاب قيصر هل يذكر الليل ، ولا بد أن هذا الذكر علامة متوارثة عند القياصرة وعلمائهم عن نبي آخر الزمان .

الثالثة : قال قيصر للرسول (أنظر في ظهره هل به شئ يريبك) ^(١) .
لقد وصل الرسول إلى النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وهو لا يزال في تبوك فسأل جماعة من المهاجرين والأنصار : أين صاحبكم ؟
أي أنه لم يقل أين رسول الله لأن هذا القول شاهد على تصديقه برسائله ، ولم يقل أين محمد ؟ لأنه لم يقصد النبي بشخصه المجرد واسمه ، إنما جاءه ، كجزء من الرد على كتابه إلى قيصر ودعوته له للإسلام .

تزودها من أهل بَصْرَى وغزة ... على جَسْرَة مرفوعة الذيل والكِفْل) معجم البلدان . ٢٨٦/٢ .

(١) ابن كثير / السيرة النبوية ٢٨/٤ .

فاجابوه : ها هو ذا.

أي ليس من عرش أو حماية وحاشية ، فاقبل الرسول يمشي حتى جلس بين يدي النبي صلى الله عليه وآله وسلم فناوله كتاب قيصر ، فوضعه في حجره أي أنه لم يفتحه في الحال ، وسأله النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

(قال : ممن أنت " فقلت أنا أخو تنوخ :

قال : هل لك إلى الاسلام الحنيفة ملة أبيك إبراهيم ؟ " قلت : إني رسول قوم وعلى دين قوم لا أرجع عنه حتى أرجع إليهم.)^(١) .

وتنوخ اتحاد قبائل عربية كانت تسكن جنوب سوريا ، وفي الأردن وكانت لهم مملكة في القرن الثالث الميلادي ، وهم حلفاء الرومان ومنهم بنو لخم ومنهم ملوك الحيرة ، فتبسم النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وتلا قوله تعالى ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾^(٢) .

وفيه شاهد بأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا يكره أحداً على دخول الإسلام ، وعندما يرى النبي صلى الله عليه وآله وسلم أحداً يرد دعوته بدخول الإسلام لا يفعل ولا يغضب مع إحاطة أصحابه من المهاجرين والأنصار به ، وحينما دعا النبي صلى الله عليه وآله وسلم رسول قيصر لدخول الإسلام لم يسأله هذا الرسول عن مبادئ وأحكام الإسلام ، ولم يطلب منه أن يتلو عليه بعضاً مما نزل عليه من القرآن إنما بادر للإعتذار وأظهر الإمتناع فتلى عليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم

(١) السيرة النبوية لابن كثير ٢٨/٤ .

(٢) سورة القصص ٥٦ .

آية قرآنية تبين التباين بين دخول الإسلام والإكراه ، وتعطيه رسالة وهي أن الناس الذين دخلوا الإسلام لم يدخلوه إلا طواعية وبالتسليم .
وتدل تلاوة النبي صلى الله عليه وآله وسلم لها بالدلالة التضمنية على أنه كان يجب دخول هذا الشخص الإسلام ، وأنه لو دخل يعود بأعظم جائزة ، وليس من تعارض بين قيامه بنقل رسالة قيصر وإخلاصه وأمانته في النقل وبين دخول الإسلام.

لقد كانت تلاوة النبي صلى الله عليه وآله وسلم لهذه الآية تأديباً للمسلمين بلزوم إجتتاب حمل الناس على دخول الإسلام ، ووجوب الإمتناع عن الإرهاب فان الهداية أمر بيد الله عز وجل ، قال سبحانه ﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلْ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَنْ يَهْدِيَ إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُسَبِّحَ أَتَنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يَهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾^(١).

وتنفرد الآية أعلاه بورود لفظ ﴿يَهْدِي﴾ أربع مرات ، ويهdy مرة واحدة ، وذكر لفظ ﴿الْحَقِّ﴾ ثلاث مرات ، لبيان لزوم اتباع التنزيل ، وتأكد قانون وهو أن الهداية بالحجة والبرهان وليس بالتخويف والترهيب والبطش ، فان قلت قد جاء القرآن بالإنذار من النار .

الجواب هذا صحيح ، وهو إخبار عما هو حق في الآخرة وليس فيه إرهاب ، أما الإرهاب المنهي عنه فهو في الدنيا وفي الواقع اليومي .
ثم صار النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم يتحدث مع هذا الرسول واستعرض معه أمر رسائله التي بعثها للملوك والأمراء وردهم

عليه ، إذ قال : يا أخا تنوخ اني كتبت بكتاب إلى كسرى ومزقه والله ممزقه وممزق ملكه ، وكتبت إلى النجاشي فخرقها والله مخرقه ومخرق ملكه ^(١).

ثم قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم (وكتبت إلى صاحبك بصحيفة فأمسكها ، فلن يزال الناس يجدون منه بأساً ما دام في العيش خير) ^(٢).

فلما سمع موفد قيصر كلام النبي صلى الله عليه وآله وسلم تحققت واحدة مما أوصاه به قيصر ، وهي ذكر النبي صلى الله عليه وآله وسلم لكتابته إلى قيصر ومن غير أن يبادر موفد قيصر إلى ذكره أو الإشارة إليه أو تذكير النبي صلى الله عليه وآله وسلم به ، موفد قيصر الرسول عنده ، وقال في نفسه (هذه إحدى الثلاث التي أوصاني بها صاحبي).

ثم ناول النبي صلى الله عليه وآله وسلم الصحيفة رجلاً إلى يساره ، وقال له اقرأ كتاب قيصر (تدعوني إلى جنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين فأين النار.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : سبحان الله ، أين الليل إذا جاء النهار) ^(٣).

ولما فرغ النبي صلى الله عليه وآله وسلم من قراءة الكتاب ، قال للموفد : ان لك حقاً وانك لرسول ، وأنا في سفر مرملون ^(٤) ، وذكر أن عثمان اهداه حلة صفورية ، ومرملون أي فني زادنا يقال (أرمل القوم: فني زادهم؛ فهم مرملون. والأرمل: الفقير الذي لا زاد له) ^(٥).

(١) المشهور بخلافة ، ولعل المقصود هنا غير نجاشي الحبشة الذي آوى المهاجرين الأوائل جعفر الطيار وأصحابه .

(٢) البداية والنهاية ١٦/٥ .

(٣) السيرة النبوية لابن كثير ٣٨/٤ .

(٤) المحيط في اللغة ٤٣١/٢ .

(٥) السيرة النبوية لابن كثير ٣٨/٤ .

ومن يأتي رسولاً إلى جيش أو قوم أعداء له يوجس في نفسه خيفة ويكون في حال خشية وحذر ، ويحتمل القتل أو الأسر وتلقي الأذى ، وإذا يرى رسول قيصر اللطف والرحمة والإعتذار له من قبل النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم لعدم منحه جائزة لاثقة بشأنه ، فيبادر أحد الصحابة باعطائه هدية .

ثم قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأصحابه : من يستضيفه . فقال فتى من الأنصار : أنا وقام الأنصاري ، ولما غادر الوفد المجلس معه ناداه النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن ارجع فرجع فحل النبي صلى الله عليه وآله وسلم عليه وآله وسلم جبوته عن ظهره ، وقال (ها هنا امض لما أمرت به ، فجلت في ظهره فإذا أنا بخاتم في موضع غضون الكتف ، مثل الحمحمه الضخمة) ^(١) .

لقد نسي رسول قيصر الوصية الثالثة فيما يخص ظهر النبي صلى الله عليه وآله وسلم أو هالته هيئته وتواضعه وإحاطة أصحابه به ، وخشي أن يسأل عن العلامة الثالثة بخصوص ظهر النبي صلى الله عليه وآله وسلم أو أنساه الله لإقامة الحجة عليه ، فاستدعاه النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأمره أن ينظر إلى ظهره ويرى علامة النبوة ، فادرك أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم علم بالوحي بما أوصاه قيصر ، ولكنه لم يدخل الإسلام ، وهذا البيان من النبي صلى الله عليه وآله وسلم وكشف ظهره لدفع القتال بين المسلمين والروم ، فاذا كان هناك أمر وجودي وواقعي يصرف القتال والتحام الصنفين ، فلماذا لا يبينها ذكر النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومنها ذات الصفات الثلاثة التي سألها هرقل . (قال محمد بن عمر: فانصرف الرجل إلى هرقل فذكر ذلك له .

فدعا قومه إلى التصديق بالنبي - صلى الله عليه وآله وسلم فأبوا حتى خافهم على ملكه، وهو في موضعه بجمص لم يتحرك ولم يزحف، وكان الذي خبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم من تعبئة أصحابه ودنوه إلى وادي الشام لم يرد ذلك ولا هم به.

وذكر السهيلي رحمه الله تعالى: أن هرقل أهدى لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم - هدية - فقبل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هديته وفرقها على المسلمين.^(١)

العلامة الثانية : سقوط أربع عشرة شرفة من إيوان كسرى ، وإيوان كسرى دار شامخة مسقفة ، يضرب بها المثل في البناء الرفيع والبديع ، ويتصف بالحصانة ووثاقة بنائه ، بناه كسرى في المدائن جنوب بغداد ، واستغرق بناؤه عشرين سنة ونيف .

ولا زالت معالمه باقية إلى هذا الزمان ، ويسمى محلياً إيوان المدائن ، وطاق كسرى ، وتسمى البلدة الصغيرة هناك باسم (سلمان باك) نسبة إلى الصحابة الجليل سلمان الفارسي ، ويقع على بعد أربعين كيلو متراً جنوب بغداد .

وكان ملوك فارس ينقلون عاصمة ملكهم حسب الحال والأنصار والقرب من الثغور (حتى ملك أنوشروان بن قباد، فنزل المدائن من أرض العراق، فصارت دار الملك، وأجمع العلماء من المنجمين والمتطبين أنه ليس في المملكة بلد أصح، ولا أفضل، ولا أعدل من تلك البقعة، وما قرب منها من إقليم بابل)^(٢).

(١) سبل الهدى ٤٥٩/٥.

(٢) تاريخ يعقوبي ٦٩/١.

وشيد أنوشروان قصره والطاق سنة ٥٤٠ م ، ويرتفع القوس ٣٧ م
من دون ان تكون له دعامات أو تسليح ، ودخله المسلمون سنة ٦٣٧
ميلادية.

وتغنى الشعراء الفرس والعرب بآيوان كسرى ، وذكره ابن البحري .
(وقال ابن الحاجب يذكر الإيوان ومسائل الإعطاء منه :
يا من بناء بشاهق البنيان ... أنسيت صنع الدهر بالإيوان
هذي المصانع والديساكر والبنا ... وقصور كسرى أنوشروان
كتب الليالي في ذراها أسطراً ... بيد البلى وأنامل الحدثان
إن الحوادث والخطوب إذا سطت ... أودت بكل موثق الأركان
وقيل من أحسن ما قيل في الإيوان، قول أبي عبادة البحري:
حضرت رحلي الهموم فوجه ... ت إلى أبيض المدائن عني
أتسلى عن الحظوظ وآسي ... لمحل من آل ساسان درس
ذكرتهم الخطوب التوالي ... ولقد تذكر الخطوب وتنسي
وهم خافضون في ظل عال ... مشرف يحسر العيون ويخسي
مغلق بابه على جبل القب ... ق إلى دارتي خلاط ومكس
حلل لم تكن كالأطلال سعدى ... في قفار من البسابس^(١) ملس
ومساع لولا المحابات مني ... لم يطقها مسعاة عنس وعبس
نقل الدهر عهدهن عن ... الجدة حتى رجعن أنضاء لبس
فكان الحرمان من عدم ال ... أنس وأخلى به بنية رمس
لو تراه علمت أن الليالي ... جعلت فيه مأتماً بعد عرس
وهو ينيك عن عجائب قوم ... ولا يشاب البيان فيهم لبس
فإذا ما رأيت صورة أنطا ... كية أرتعت بين روم وفرس^(٢)).

(١) البسابس : القفار ذكرها للتأكيد .

(٢) معجم البلدان ٢٠٤/١ .

لم تقع شرفات إيوان كسرى ليلة ولادة النبي صلى الله عليه وآله وسلم من بناء قديم أو متهالك ، إنما سقطت من إيوان كسرى ذي البناء المتماسك المهيب للإنذار ، ولييان أن الله عز وجل هو القهار الذي يجعل الإنذار ينفذ إلى قصور الملوك قبل أن يحل بها الخراب ، ليكون هذا الإيوان من مصاديق قوله تعالى ﴿ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ﴾ ^(١).

وأخذ المسلمون إيوان كسرى مسجداً لبيان أنهم لم يأتوا ليحل ملك محل ملك آخر ، أو يأتي بأمير للبلدة ، وقد كانت ولاية الصحابي سلمان مثلاً في المدائن من مآثر الإسلام ، إذ أظهر الزهد والتقوى ، وأبى أن يسكن في دار مبنية من المدر واللبن ، إنما اكتفى بكوخ يستره ، ولا يزيد على علو رأسه بذراع .

وأراد أبو جعفر المنصور عندما بنى مدينته المدورة بغداد الإنتفاع من طابوق وأجر قصر كسرى ، ولكنه عجز عن الإستمرار بهذا العمل لتماسك البناء وتداخل الأجر ، وأكتفى بهدم جزء منه ، ونسب هذا العمل إلى هارون الرشيد ، ولم يكن سقوط أربع عشرة شرفة من الإيوان بالحلم والمنام ، إنما كان في اليقظة ، وبمرآى ومسمع من الناس ، ولم يعلموا أنه ولد في تلك الليلة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعلى بعد أكثر من ألف كيلو متر عن الإيوان ، ولكن المسافات تطوى في نشر مفاهيم التوحيد وقهر الإستبداد والضلالة.

ومن خصائص الإنذار الإلهي دعوة الناس للإنزجار عن الضلالة ولجلبهم إلى سبل الإيمان من غير حرب أو قتال ومنه منع القوى الكبرى من نصرة مشركي قريش في حربهم على النبوة والتنزيل .

العلامة الثالثة : خمود نار فارس^(١) ، مع أنه مرّت عليها ألف سنة يوم ولد النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولم تحمد لوجود خدام متعددين يتعاهدون هذه النار ، ولتوالي زيارة الناس لها والتعبد بها .
ليبان أن خمودها هذا أمر قهري له دلالات في علم الزجر والأسباب والعواقب .

إذ يقدر المجوس النار، ويحرصون على ألا تطفئ في معابدهم أبداً ، مما جعل بعضهم يظن أنهم يعبدون النار ، إنما هم يقولون بوجود إلهين إله للخير وإله للشر أو مبدأ النور والظلمة ، وهما في صراع دائم ، إلى أن ينتصر إله الخير ، الذي له ستة مساعدون يساعدونه على إله الشر .
وقد أخبر القرآن والكتب السماوية بأنه ليس من إله إلا الله وهو سبحانه ﴿غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾^(٢) ، ويؤمنون بتناسخ الأرواح قبل بعثة عيسى النبي محمد عليهما السلام ، وقيل أنها ترجع إلى القرن السادس قبل الميلاد .

لقد كان لخمود نار فارس على نحو مفاجئ ليلة ولادة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم شأن عند المجوس ، وأدركوا أن أمراً كونياً قاهراً قد حصل .

فقد جعلوا رجالاً يتولون أيقادها على نحو مستمر في الليل والنهار داخل المعبد ، ويفد إليها الناس للتقديس وطلب البركة ، فكانما اندفع إليها الماء ليطفئها ، وفيه إنذار بانقطاع هذه الديانة وظهور ديانة جديدة تأتي على الرمز في ديانتهم .

وفي هذا الزمان يتوجه الفاتحون والثوار إلى ما هو رمز عند الطرف الآخر فينقضون عليه ويتلفونه لإعلان إنتهاء حقبة وابتداء أخرى ، وهل

(١) البداية والنهاية ٢٦٦/٦ .

(٢) سورة آل عمران ٩٧ .

علامة إنطفاء نار المجوس من مصاديق قوله تعالى ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ﴾^(١) الجواب لا ، ولكنه من مقدماتها .

العلامة الرابعة : رؤيا الموبدان في المنام أن (إبلا صعبا تقود خيلا عربا قد قطعت دجلة وانتشرت في بلادهم) ^(٢) أي إبلا لم تتركب ومعها خيول أصيلة تقطع نهر دجلة وجاءت من جهة جزيرة العرب .

وهذه الرؤيا ليلة ولادة النبي صلى الله عليه وآله وسلم أي قبل أن يبعث كتاباً إلى كسرى يدعو إلى الإسلام فمزق كتاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقال الربيع عن (الشافعي قال : حفظنا أن قيصر أكرم كتاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، ووضع في مسك . فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : " ثبت ملكه " .

قال الشافعي: وقطع الله الأكاسرة عن العراق وفارس ، وقطع قيصر ومن قام بالأمر بعده عن الشام . وقال في كسرى : مزق ملكه ، فلم يبق للأكاسرة ملك ، وقال في قيصر " ثبت ملكه " فثبت له ملك بلاد الروم إلى اليوم^(٣) .

ومعنى الموبدان الفقيه أو قاضي القضاة أي أن رؤياه ستصل إلى كسرى فليس بينهما حجاب ، لتكون إنذاراً آخر ، ولا يخشى قاضي القضاة على نفسه حينما يقص رؤياه على كسرى ، ولا يعزف عنها كسرى ويقول أضغاث أحلام ، وقد ورد في رؤيا الملك أيام يوسف عليه السلام في التنزيل ﴿إِنِّي أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعُ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخْرَىٰ سَايَئًا يَأْكُلْنَ الْمَلَاقُتُونَ﴾ في رؤياي إن كنتم للرؤيا

(١) سورة الأنفال ١٧ .

(٢) السيرة النبوية لابن كثير ٢١٥/١ .

(٣) تاريخ الإسلام للذهبي ٣٠٣/١ .

تَعْبُرُونَ ﴿قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالَمِينَ﴾ ^(١) إذ أنهم بعد أن خففوا وطأة الرؤيا عن الملك بادعاء أنها أضغاث وأخلاق ، استدركوا وقالوا انا نجهل تأويل وتعبير الرؤيا فهو علم مستقل له أهله لذا فلا بد أن تكون للملك دائماً حاشية أمينة ، ومستشارون يسعون في جلب المصلحة ودفع المفسدة ، وليس لأجل تحقيق منافعهم الخاصة ، وإرضاء رغبات الملك أو الرئيس ، ويحجبون عنه حال العامة خاصة عندما يملأ السخط قلوبهم .

العلامة الخامسة : غور ماء بحيرة ساوة ^(٢) .

وكانت تركب فيها السفن ويأتيها الناس من المدن القريبة والبعيدة ، وكانت مساحتها أكثر من ستة فراسخ ، فأصبحت ليلة مولد النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وقد أصابها الجفاف ، فأصاب الفزع الملك وحاشيته .

وملك الفرس (الذي ولد النبي صلى الله عليه وآله وسلم في زمانه: أنوشروان بن قباد بن يزدجرد بن بهرام جور .

والذي كتب إليه الكتاب ومزقه: أبرويز بن هرمز أو شروان .

والذي قتل في زمن عثمان وأخذ منه المسلمون البلاد: يزدجرد بن شهريار ^(٣) .

وقد ولد النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم عام الفيل في يوم الإثنين لاثنتي عشرة ليلة منه أو لسبع عشرة منه ، وحملت به أمه في أيام التشريق في شعب أبي طالب .

(١) سورة يوسف ٤٣-٤٤ .

(٢) الروض الأنف ١/٥٧ .

(٣) سبل الهدى ١/٣٥٦ .

(عن خالد بن معدان ، عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنهم قالوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَخْبِرْنَا عَنْ نَفْسِكَ . فقال : أَنَا دَعْوَةُ أَبِي إِبْرَاهِيمَ وَبَشْرَى عِيسَى صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ وَرَأَتْ أُمِّي رُؤْيَاهَا حِينَ حَمَلَتْ بِي أَنَّهُ خَرَجَ مِنْهَا نُورٌ أَضَاءَتْ لَهُ قُصُورُ بَصْرَى فِي أَرْضِ الشَّامِ)^(١).

(عن عائشة قالت: كان يهودي قد سكن مكة يتجر بها، فلما كانت الليلة التي ولد فيها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال في مجلس قريش: يا معشر قريش هل ولد فيكم الليلة مولود ؟ فقال القوم: والله ما نعلمه.

فقال الله أكبر، أما إذا أخطاكم فلا بأس، انظروا واحفظوا ما أقول لكم: ولد هذه الليلة نبي هذه الأمة الأخيرة، بين كتفيه علامة فيها شعرات متواترات كأنهن عرف فرس^(٢)، لا يرضع ليلتين، وذلك أن عفريتاً من الجن أدخل أصبعه في فمه فمنعه الرضاع.

فتصدع القوم من مجلسهم وهم يتعجبون ؟ ؟ من قوله وحديثه، فلما صاروا إلى منازلهم أخبر كل إنسان منهم أهله فقالوا: قد والله ولد لعبد الله بن عبد المطلب غلام سموه محمداً.

فالتقى القوم فقالوا: هل سمعتم حديث اليهودي وهل بلغكم مولد هذا الغلام ؟ فانطلقوا حتى جاءوا اليهودي فأخبروه الخبر. قال فاذهبوا معي حتى أنظر إليه.

فخرجوا به حتى أدخلوه على آمنة فقالوا: أخرجي إلينا ابنك. فأخرجته وكشفوا له عن ظهره.

(١) بحر العلوم للسمرقندي ٢٨٠/٤.

(٢) إشارة إلى علامة خاتم النبوة ، وهو من الشواهد على وجوده من حين ولادة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وفيه نوع تحد بحفظه بفضل من الله عز وجل ، وفي التنزيل ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ يوسف ٦٤.

فرأى تلك الشامة، فوقع اليهودي مغشياً عليه، فلما أفاق قالوا له: مالك ويلك؟ قال: قد ذهبت والله النبوة من بنى إسرائيل، فرحتم بها يا معشر قريش؟ والله ليسطون بكم سطوة يخرج خبرها من المشرق والمغرب.

وقال محمد بن إسحاق: حدثني صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف عن يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن بن سعد بن زرارة قال: حدثني من شئت من رجال قومي ﴿مَنْ لَا أَتُهُمْ﴾ عن حسان بن ثابت. قال: إني لغلام يفعة^(١) ابن سبع سنين - أو ثمان، أعقل ما رأيت وسمعت إذا يهودي في يثرب يصرخ ذات غداة: يا معشر يهود. فاجتمعوا إليه - وأنا أسمع - فقالوا ويلك مالك؟ قال: قد طلع نجم أحمد الذي يولد به في هذه الليلة.^(٢)

ولما ارتجف إيوان كسرى مع متانة بنائه وسقطت منه أربع عشرة شرفة، ولم يتعرض ما حوله إلى هزة أرضية أو زلزال أو جس كسرى الخشية في نفسه خاصة وأنهم كانوا في حال شبه حرب مع دولة الروم، وأن الممالك آنذاك بعضها يغزو بعضاً، وكان الملوك يرجعون إلى علم النجوم والسحرة، ويدرسون تاريخ الأمم والأخبار العامة، ولهم عيون في البلدان الأخرى، منهم الذين يفدون بصفة تجار، فتصبر وتريث الملك في الأمر، ثم لبس تاجه وجلس على كرسي الملك.

وبعث على مراتبه والقادة حتى إذا اجتمعوا عنده قال: تدرون فيما بعثت إليكم.

(١) يقال (وغلام يَفْع ويافع وَيَفَعَة، وقد أَيْفَع يُوَفَع إيفاعاً، إذا تحرَّك وشبَّ، والجمع أَيْفَاع. واليَفَاع: القطعة من الجبل أو من الغِلَظ العالية ترتفع عما حولها. قال:

ولكن بهذا الْيَفَاع فأوقدي ... بِجَزَلٍ إذا أوقدتِ لا بضرامٍ (جمهرة اللغة ٢٦/٢).

(٢) السيرة لابن كثير ٢١٣/١.

قالوا : لا : إلا أن يخبرنا الملك ، أي ليس عندنا من علم الغيب شئ ، ولم نعلم بماذا تأمرنا ؟ وتجنبوا الإشارة إلى ارتجاج إيوان الملك خشية منه ومداراة له ، فذكر لهم مسألة إرتجاج الإيوان وأنه أمر كوني ، وهل له من دلالات .

وبينما هم في حديث اهتزاز الإيوان إذ ورد عليهم كتاب بمخمود نار المجوس من غير علة ظاهرة فازداد غم الملك .

فقام الموبذان بقص رؤياه في الإبل الصعاب والخيل العراب ، ولان الموبذان هو الفقيه عندهم ، فقد تلقى الملك رؤياه بالقبول ، كما سألته عن تأويلها فهو قاضي القضاة وصاحب الرؤيا .

قال الموبذان : حدث يكون في ناحية العرب ، وخشي الموبذان من الطيرة ، واجتنب بعث الخوف في نفس الملك وأصحابه ، وخاف على نفسه ، فقد كان الملوك أحياناً إذا أخبرهم المنجمون بأمر يسوؤهم يميلون إلى قتلهم لدفع الشؤم والأذى ، فكيف وقد كان الذي رآه الموبذان رؤيا منام . فبادر كسرى إلى كتابة كتاب إلى ملك الحيرة من ملك الملوك كسرى إلى النعمان بن المنذر (أما بعد فوجه إلي برجل عالم بما أريد أن أسأله عنه فوجه إليه بعبد المسيح بن عمرو ابن حسان الغساني .

فلما ورد عليه قال له الملك كسرى ألك علم بما أريد أن أسألك عنه قال ليخبرني الملك فان كان عندي منه علم وإلا أخبرته بمن يعلمه) (١).

أي أظهر عبد المسيح الإعتداد بعلمه ، ولكنه أقر بأنه لا يعلم كل شئ ، كما أنه يجهل الغيب ، وفي التنزيل ﴿وَوَقَّ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ (٢) ولكن عبد المسيح طمأن الملك بأن قال له إن لم أعلم بالأمر والشأن الذي من أجله أرسلت إلي فان هناك من هو يعلمه واستطيع الوصول إليه .

(١) الخصائص الكبرى ٨٨/١ .

(٢) سورة يوسف ٧٦ .

وكأنه قال أنا تلميذ وهناك أستاذ أرفع مني .

فرضي كسرى بما قاله عبد المسيح إذ أبلغه بتنجز الإجابة وتحقيق رغبة الملك أما في الحال أو عند الرجوع إلى الأستاذ والأكثر علماً ، فأخبره كسرى بارتجاج إيوانه الشامخ وخمود نار المجوس ، ونضوب ماء بحيرة ساوة .

فأدرك عبد المسيح أن الخطب جسيم وأنه بحضرة الملك لا يقدر على الإفتاء من غير تثبيت من الأمر فقال : عندي خال يسكن مشارف الشام يقال له سطيح وتحدث له عن علمه الغزير ، وتأويل الرؤيا والوقائع وعلم الزجر .

فرضي كسرى بالأمر ، وقال إذهب إليه فأسله وارجع لي بالجواب وفيه شاهد على شأن المسألة عند الملك وأنه لم يتجاهلها ، نعم لم يظهر الملك اللفظة في التعجل لمعرفة تأويل الرؤيا ، لأنه يعلم بان الإنذارات في المقام متقدمة زماناً على وقوع مصداقها .

ويتجلى قانون (التضاد بين السنة النبوية والإرهاب) وقانون (لم يغز النبي (ص) أحداً) في قيام النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ببعث رسائل إلى ملوك عصره بعد إزدياد قوة المسلمين ، فهو لم يجهز الجيوش لغزوهم ولم يقف على حدود ممالكهم وإماراتهم ويخبرهم بين دخول الإسلام والقتال ، إنما بعث لكل واحد منهم شخصاً واحداً من الصحابة ليس معه سلاح ، ويعرف لغة القوم وسبق وأن زار بلداتهم ليتلو عليهم القرآن ، ويعرض عليهم دخول الإسلام ، وعندما أبوا ، رفع النبي صلى الله عليه وآله وسلم يد الضراعة إلى الله وسأله ، أن يمزق ملك خصوص من مزق كتابه .

وهل من صلة بين دعاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم عشية وصبيحة معركة بدر وبين دعائه على الملك الذي مزق كتابه ، الجواب نعم ، ففي كل منهما بشارة الإستجابة والنصر بسلاح الدعاء .

وقد ذكرت في كتابي الموسوم (علم الرؤيا في الإسلام) والصادر قبل نحو سبع وعشرين سنة ، موضوعية الدعاء في محور رؤيا الإنذار في صرف البلاء ، ولكن الإنذارات النبوية أمر آخر فهي رحمة للناس ، نعم بالدعاء يهتدي الإنسان للإنقاذ منها ، وتلقيها بالقبول بما يحول دون ضرره الخاص منها .

فقد انتفع ملك مصر من رؤياه ، كما ورد في التنزيل ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلْنَ سَبْعَ عِجَافٍ وَسَبْعَ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِن كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ﴾^(١). إذ قام الملك باخراج يوسف عليه السلام من السجن ، ورد له الاعتبار بكشف نقاء جيبه وطهارته وعصمته من الفحشاء ، ثم ولاء الوزارة من غير أن يخشى انتقامه وثأره للبه في السجن سبع سنوات من غير حق ، أنه الحلم الذي يصاحب الأنبياء في أيام حياتهم ولقانون في المقام وهي الإنتفاع العام من وجود النبي بين ظهرائي الناس ، ودعوة الأنبياء إلى الهدى والصلاح من غير إرهاب .

وهل بعث كسرى شخصاً أو وفداً مع عبد المسيح أم أكتفى بذهابه بمفرده في البراري والصحاري ، أم أن عبد المسيح كان يذهب مع البريد والقوافل المؤمنة في الطريق بين المسالخ والبلدات .

المختار هو الأخير ، فلما وصل عبد المسيح إلى خاله سطيح وجده مسجى على فراش الموت ، فسلم عليه ، فلم يرد عليه الجواب فأراد عبد المسيح أن يهزه ويذكره ، فأنشأ يحرّضه بشعر إذ قال :

(أَصَمَّ أُمَّ يَسْمَعُ غَطْرِيفُ الْيَمَنِ ... أُمَّ فَادَ فَازَلَمَ بِهِ شَاؤُ الْعَنَّ
يَا فَاصِلَ الْخُطَّةِ أَعْيَتْ مَنْ وَمَنْ ... أَتَاكَ شَيْخُ الْحَيِّ مِنْ آلِ سَنَنْ
وَأُمُّهُ مِنْ آلِ ذَنْبِ بْنِ حَجَنْ ... أَيْبَضُ فَضْفَاضُ الرِّدَاءِ وَالْبَدَنْ
رَسُولُ قَيْلٍ^(١) الْعَجَمُ يَسْرِي لِلْوَسَنِ ... لَا يَرْهَبُ الرَّعْدَ وَلَا رَبِّبَ
الزَّمَنِ

تَجُوبُ بِي الْأَرْضُ عَلَنَدَاةً شَزَنْ ... تَرْفَعُنِي وَجَنَّا وَتَهْوِي بِي وَجَنْ
حَتَّى أَتَى عَارِي الْجَاجِي وَالْقَطَنْ ... تَلْفَهُ فِي الرِّيحِ بَوْغَاءُ^(٢) الدَّمَنْ
كَأَنَّمَا حُثِّثَ مِنْ حَضْنِي ثُكَنْ^(٣) ^(٤).

عندئذ رفع سطيح رأسه لبيان أنه يتحدث بكامل قواه العقلية ، وقال (عبد المسيح أتى إلى سطيح على جمل مُشيع^(٥) وقد أوفى على الضريح بعثك ملك بني ساسان لارتجاس الإيوان وخمود النيران ورؤيا الموبدان رأى إبلا صعبا تقود خيلا عرابا قد قطعت دجلة وانتشرت في بلادها عبد المسيح إذا كثرت التلاوة وظهر صاحب الهراوة وفاض وادي السماوة وغاضت بحيرة ساوة ، وخمدت نار فارس فليس الشام لسطيح شاما يملك منهم ملوك وملكات على عدد الشرفات وكل ما هو آت آت.

(١) القيل : لفظ يطلق على الملك من ملوك حمير ، وهو دون الملك الأعظم /
الصحيح في اللغة ١٠١/٢.

(٢) البوغاء : التراب الناعم ، الدمن : جمع دمنة أي ما تجمع وتلبد .

(٣) ثكن اسم جبل في البادية ، والثكن والثكنة : مركز الأجناد على رايتهم ، وفي الحديث : يحشر الناس على ثكناتهم أي على ما دفنوا عليه من الخير والشر .

(٤) الروض الأنف ٥٧/١.

(٥) المُشيع : الجاد المسرع .

تري لماذا أطلق سطح لقب صاحب الهراوة على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم الجواب لبيان مسائل :

الأولى : يرفع النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم لواء الإنذار وليس السيف .

الثانية : بعث الطمأنينة في نفس ملك فارس وحاشية ومرازبته بأن جيش الرسالة لا يدخلون لهم بالسيف والقتل العامة ، إنما بعضا التحذير والإنذار .

الثالثة : دعوة ملوك وحكماء فارس إلى عدم محاربة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وتجهيز الجيوش لقتال المسلمين ، لأن الهزيمة تصاحب هذه الجيوش ، وهو الذي حصل في معركة القادسية .

ثم قضى سطیح مكانه فلما قدم عبد المسيح على كسرى أخبره بمقالة سطیح فقال إلى أن يملك منا أربعة عشر ملكا قد كانت أمور^(١) .

وكان الذي يتولى الملك في فارس تطول أيامه لوجوه :

الأول : حرص ملوك فارس على العدل بين الناس ،

الثاني : عدم معاقبة الملوك للجاني إلا بمقدار جنايته .

الثالث : طاعة عامة الناس للملك ، وتقديسه .

الرابع : قلة الغدر والإغتيال عندهم أحيانا .

الخامس : عزلة الملك عن عامة الناس ، وهو لا يمنع من الغدر والإغتيال من قبل الخاصة ، ولكن على نحو نادر .

السادس : كثرة الخيرات والنعم عند بني فارس .

السابع : ترامي أطراف المملكة والتنقل فيها بأمان .

الثامن : عدم وجود أسر منافسة للأسرة المالكة .

(١) الإكتفاء بما تضمنه من مغازي الرسول ٧٣/١ .

ومن تجاوز الحد في العقوبة إرتكب ذنباً ، واستوجب العقوبة في الآخرة لأنه لم يعاقب عن علم وقانون ، إنما اتبع الهوى وأراد التشفي وغلبت عليه النفس الغضبية .

وقيل (في كتاب سليمان بن داود عليهما السلام: القاهر لنفسه أشد ممن يفتح المدينة وحده)^(١).

فقد يقع الفذ والعالم والقائد أسيراً لهواه ، ويتبع في ساعة لذته فيجني الندم ، ويلحقه الأذى المستديم ، وعن الإمام علي عليه السلام قال : سألت كثيراً من كبراء فارس عن أحمد ملوكهم عندهم؟ قال: أزدشير فضل السبق غير أن أحمدهم سيرة أنوشروان. قال: فأبي أخلاقه كان أغلب عليه ، قال: الحلم والأناة ، فقال علي : هما توأمان أنتجتتهما علو الهمة^(٢).

ولكن بعد حدث إرتجاج الأيوان ورؤيا الموبدان ملك عشرة من الملوك في أربع سنين ، وملك الأربعة الباقون إلى أيام عثمان ، قال تعالى ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾^(٣).

ومات سطيح من ساعته ، فنهض عبد المسيح إلى راحلته وهو يقول (شمر فإنك ماضي العزم شمير لا يفزعك تفريق وتغيير
إن يمس ملك بني ساسان أفرطهم ... فإن ذا الدهر أطوار دهاير
فرما ربما أضحوا بمنزلة يخاف صولهم الأسد المهاير
منهم أخو الصرح بهرام وإخوته والهرمزان وشابور وسابور
والناس أولاد علات فمن علموا ... أن قد أقل فمحقوق ومهجور
ورب قوم لهم صحبان ذي أذن بدت تلهيهم فيه المزامير

(١) الطرطوشي / سراج الملوك ١٦٦/١.

(٢) سراج الملوك ١٦٦/١ .

(٣) سورة آل عمران ١٤٠.

وهم بنو الام إما إن رأوا نشبا فذاك بالغيث محفوظ ومنصور
والخير والشر مقرونان في قرن فالخير متبع والشر محذور^(١).
وقيل بانهدام المعابد التي حول بحيرة ساوة فان قيل لماذا ملك كسرى
بالذات تعرض للإهتزاز، الجواب إنه بشارة الهدى والإيمان لبلاد فارس ،
كما حدثت علامات أخرى في مكة وبلاد أخرى ، ومنها ما تناقله الناس
في الأمصار .

(وأخرج أبو نعيم عن ابن عباس قال كان من دلالات حمل رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم ان كل دابة كانت لقريش نطقت تلك الليلة
وقبلت حمل برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ورب الكعبة ، وهو
امان الدنيا وسراج اهلها ولم تبق كاهنة في قريش ولا في قبيلة من قبائل
العرب إلا حجبت عن صاحبها وانتزع علم الكهنة منها .

ولم يبق سرير ملك من ملوك الدنيا إلا أصبح منكوسا والملك مخرسا
لا ينطق يومه ذلك ومرت وحش المشرق إلى وحش المغرب بالبشارات.
وكذلك أهل البحار يبشر بعضهم بعضا له في كل شهر من شهوره
نداء في الارض ونداء في السماء ان ابشروا فقد آن لأبي القاسم ان يخرج
إلى الأرض ميمونا مباركا^(٢) .

وفي خبر ضعيف ذكر أن آمنة بنت وهب أم النبي محمد صلى الله عليه
وآله وسلم كانت (تحدث عن نفسها وتقول أتى لي آت حين مر لي من
حملة ستة اشهر فوكزني برجله في المنام وقال يا آمنة إنك حملت بخير
العالمين طرا فإذا ولدته فسميه محمدا أو النبي شأنك قال وكانت تحدث عن
نفسها وتقول لقد أخذني ما يأخذ النساء ولم يعلم بي أحد من القوم ذكر
ولا أنثى وإني لوحيدة في المنزل وعبد المطلب في طوافه قالت فسمعت وجبة

(١) البداية والنهاية ٢/٢٦٩.

(٢) الخصائص الكبرى ٨١/١.

شديدة الواجبة الصرعة وسقوط شئ إلى الأرض كالجدار ، قال تعالى ﴿وَجَبَتْ جُنُوبُهَا﴾^(١) وأمرًا عظيمًا فهالني ذلك وذلك يوم الاثنين.

ورأيت كأن جناح طير أبيض قد مسح على فؤادي فذهب كل رعب وكل فزع ووجل كنت أجد.

ثم التفت فإذا أنا بشربة بيضاء ظننتها لبنا وكنت عطشانة فتناولتها فشربتها فأصابني نور عال ثم رأيت نسوة كالنخل الطوال كأنهن من بنات عبد المطلب يحدقن بي فيينا أنا أعجب وأقول واغوثاه من أين علمن بي واشتد بي الأمر وأنا أسمع الوجبة في كل ساعة أعظم وأهول وإذا أنا بدياج أبيض قد مد بين السماء والأرض وإذا قائل يقول :

خذوه عن أعين الناس قالت رأيت رجالا وقفوا في الهواء بأيديهم أباريق فضة وأنا يرشح مني عرق كالجمان^(٢) أطيب ريحا من المسك الأزفر وأنا أقول ياليت عبد المطلب قد دخل علي.

قالت ورأيت قطعة من الطير قد أقبلت من حيث لا أشعر حتى غطت حجرتي مناقيرها من الزمرد وأجنحتها من اليواقيت فكشف الله لي عن بصيرتي فأبصرت من ساعتني مشارق الأرض ومغاربها ورأيت ثلاث علامات مضروبات علم بالمشرق وعلم بالمغرب وعلم على ظهر الكعبة.

فأخذني المخاض واشتد بي الطلق جدا فكنت كأني مسندة إلى أركان النساء وكثرن علي حتى كأني مع البيت وأنا لا أرى شيئا فولدت محمدا فلما خرج من بطني درت فنظرت إليه فاذا هو ساجد وقد رفع أصبعيه كالمتضرع المبتهل ثم رأيت سحابة بيضاء قد أقبلت من السماء تنزل حتى غشيته فغيب عن عيني فسمعت مناديا ينادي يقول طوفوا بمحمد صلى الله

(١) سورة الحج ٣٦.

(٢) الجمان: فرز من الفضة يتخذ اللؤلؤ (الجمان: خرز من فضة، فارسي معرب، وقد تكلمت به العرب قديماً) جمهرة اللغة ١/٢٤٧.

عليه وسلم شرق الأرض وغربها وأدخلوه البحار كلها ليعرفوه باسمه ونعته وصورته ، ويعلموا أنه سمي الماحي لا يبقى شيء من الشرك إلا محي به.

قالت ثم تخلوا عنه في أسرع وقت فاذا أنا به مدرج في ثوب صوف أبيض اشد بياضا من اللبن وتحتة حريرة خضراء وقد قبض محمد ثلاثة مفاتيح من اللؤلؤ الرطب الأبيض وإذا قائل يقول :
قبض محمد مفاتيح النصر .

ومفاتيح الريح.

ومفاتيح النبوة^(١).

وقال الواقدي (حدثني طلحة بن عمرو، عن ابن أبي مليكة، عن عبد الله بن عمرو قال: لما كان اليوم الذي تنبأ فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم منعت الشياطين من السماء ورموا بالشهب، فجاءوا إلى إبليس فذكروا ذلك له فقال: أمر قد حدث، هذا نبي قد خرج عليكم بالأرض المقدسة مخرج بني إسرائيل.

قال: فذهبوا إلى الشام ثم رجعوا إليه فقالوا: ليس بها أحد.

فقال إبليس: أنا صاحبه.

فخرج في طلبه بمكة، فإذا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بحراء^(٢) منحدرًا معه جبريل، فرجع إلى أصحابه فقال: قد بعث أحمد ومعه جبريل، فما عندكم ؟ قالوا: الدنيا نجيبها إلى الناس.
قال: فذاك إذا.

(١) البداية والنهاية ٢٩٨/٦.

(٢) أي في الغار على جبل حراء الذي يقع شرق مكة على يسار الذهاب إلى عرفات ويبعد عن البيت الحرام نحو أربعة كيلو متر .

قال الواقدي: وحدثني طلحة بن عمرو، عن عطاء، عن ابن عباس قال: كانت الشياطين يستمعون الوحي، فلما بعث محمد صلى الله عليه وآله وسلم منعوا، فشكوا ذلك إلى إبليس فقال: لقد حدث أمر. فرقى فوق أبي قبيس، وهو أول جبل وضع على وجه الأرض، فرأى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يصلى خلف المقام. فقال: أذهب فأكسر عنقه. (١).

وهل هذه العلامات والدلالات من مصاديق قوله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (٢).

أم أن القدر المتيقن من الآية أعلاه هو نزول القرآن وأحكام الشريعة، المختار هو الأول، فذات هذه الدلالات رحمة في أوانها من جهات: الأولى: إنها باعث للأمل.

الثانية: فيها دعوة للمؤمنين للصبر والثبات على الإيمان.

الثالثة: مناجاة المؤمنين وعامة الناس بقرب إشراقة رسالة خاتم النبيين.

الرابعة: هذه العلامات والدلالات قهر للشرك ومفاهيم الضلالة.

الخامسة: إنها مقدمة للتصديق ببعثة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

السادسة: البشارة باطلالة أيام البعثة النبوية الشريفة بعد طول فترة واحقاب ليس فيها نبي أو رسول، قال تعالى ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ

(١) السيرة لابن كثير ٤٢١/١.

(٢) سورة الأنبياء ١٠٧.

رَسُولَنَا يَبِينُ لَكُمْ عَلَى قَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ
فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ^(١) .

وعن (أبي هريرة عن النبي {صلى الله عليه وسلم} قال : الأنبياء إخوة لعلات شتى ودينهم واحد،

وأنا أولى الناس بعيسى بن مريم ؛ لأنه لم يكن بيني وبينه نبي ،
وإنه عامل على أمتي وخليفتي عليهم ،
إذا رأيتموه فاعرفوه فإنه رجل مربوع الخلق إلى الحمرة والبياض سبط
الشعر كأن شعره ممطر وإن لم يصبه بلل ،
بين ممصرتين يدق الصليب ويقتل الخنزير ويفيض المال ،
وليسلكن الروحاء حاجاً أو معتمراً أو كليهما جميعاً ،
ويقاتل الناس على الإسلام حتى يهلك الله في زمانه الملك كلها
ويهلك الله في زمانه مسيح الضلالة الكذاب الدجال ،
ويقع في الأرض الأمانة حتى يرتع الأسود مع الإبل ،
والنمور مع البقر ،
والذئاب مع الأغنام ،
ويلعب الصبيان بالحيات لا يضر بعضهم بعضاً ،
ويلبث في الأرض أربعين سنة)^(٢) .

(وقد اختلفوا في مقدار هذه الفترة ، كم هي ؟ فقال أبو عثمان النهدي
وقتادة - في رواية عنه - : كانت ستمائة سنة . ورواه البخاري عن سلمان
الفارسي . وعن قتادة : خمسمائة وستون سنة ، وقال معمر ، عن بعض

(١) سورة المائدة ١٩ .

(٢) الكشف والبيان للثعلبي ٩٥/٣ .

أصحابه: خمسمائة وأربعون سنة. وقال: الضحاك: أربعمائة وبضع وثلاثون سنة.

وذكر ابن عساكر في ترجمة عيسى، عليه السلام عن الشعبي أنه قال: ومن رفع المسيح إلى هجرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم تسعمائة وثلاث وثلاثون سنة.

والمشهور هو الأول، وهو أنه ستمائة سنة. ومنهم من يقول: ستمائة وعشرون سنة. ولا منافاة بينهما، فإن القائل الأول أراد ستمائة سنة شمسية، والآخر أراد قمرية، وبين كل مائة سنة شمسية وبين القمرية نحو من ثلاث سنين؛ ولهذا قال تعالى في قصة أصحاب الكهف: { وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا }^(١) أي: قمرية، لتكميل الثلاثمائة الشمسية التي كانت معلومة لأهل الكتاب^(٢).

السابعة : فيها وزاجر عن محاربة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم والصدود عن دعوته لقانون وهو أن رسالته رحمة حتى للذي يصد عنها ويحاربه.

وهل تجلت مصاديق لهذا القانون الجواب نعم ، إذ انتفع منها الذي أدركته التوبة وأصلح عمله ، أما الذين أصروا على قتاله ، فلحقهم الخزي سواء حاربوه كما في الذين قتلوا من المشركين في معركة بدر وأحد وغيرهما ، أو الذين ماتوا على الكفر كما في أبي لهب ، قال تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارًا أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾^(٣).

ومن مقدمات بعثة النبي صلى الله عليه وآله وسلم قيام إبراهيم وإسماعيل بدعوة الناس لحج البيت الحرام ، واجتهادهما في تطهير البيت

(١) سورة الكهف ٢٥.

(٢) تفسير ابن كثير ٧/٣.

(٣) سورة البقرة ١٦١.

من الدنس ومفاهيم الشرك ، قال تعالى ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾^(١).

ليان قانون وهو أن هذا التطهير للمسجد لا يختص بأيامه إنما يشمل أيام بعثة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم والتهيئة لها ، وإقامة الحجة على الذين كفروا بظلمهم لأنفسهم باتخاذهم الأصنام في البيت الحرام . ومن مقدماته الزمانية الأشهر الأربعة الحرم والتي تصادف ثلاثة منها موسم الحج وهي شهر ذي القعدة وذي الحجة ومحرم الحرام . فلما كان البيت مثابة للناس أي أنهم يثوبون إليه ، ومن حجه يتمنى العودة إليه ، ويرجو الثواب العظيم ، وفيه شاهد على سلامة البيت . والآية أعلاه ومضامينها إنذار لأبرهة وأمثاله من التعدي على البيت ، ولكنه لم يتعظ ، قال تعالى ﴿وَأَرْسَلْ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ﴾^(٢) وفسر بعض العلماء في هذا الزمان وأيام تداخل الحضارات بأن الحجارة من سجيل هو وباء الجدري وأن الطير الأبابيل هو البعوض ، وهو بعيد عن النص ومعناه والأخبار الواردة فيه ، وقد ألفت ذات الحجارة على قوم لوط لكفرهم وارتكابهم الفواحش ، قال تعالى ﴿فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ﴾^(٣) لي شكر أهل مكة يومئذ الله عز وجل أن البلاء نزل بأبرهة وجنوده وسلم أهل مكة لبركة البيت وصبغة

(١) سورة البقرة ١٢٥.

(٢) سورة الفيل ٣-٤.

(٣) سورة الحجر ٧٤.

الأمان التي تترشح عنه على مجاوريه ، فلم يجعل الله عاليها سافلها كما فعل بمدينة سدوم وقوم لوط .

ولا يختص هذا الشكر بأهل مكة يومئذ بل يشمل المسلمين جميعاً لأن الهلاك العام لأهل البلدة يقطع النسل ، وقد شاء الله أي يحفظ النبي محمدا صلى الله عليه وآله وسلم في أصلاب الرجال .

وهل هذا الحفظ من مصاديق قوله تعالى ﴿إِنَّا نَحْنُ نُزَلُّنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لِحَافِظُونَ﴾^(١) .

فيكون تقدير الآية : إنا نحن نزلنا الذكر على محمد وأنا له لحافظون في أصلاب الرجال وأرحام النساء ، الجواب لا مانع منه ، وكذا في حفظ ذكر النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الأذان خمس مرات في اليوم .
لقد حفظ الله عز وجل الذكر ليكون أمانة بيد المؤمنين يتعاهدونها بالتقوى والتزهد عن الإرهاب .

وفي قوله تعالى ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾^(٢) بيان لقانون وهو حفظ ذات البيت الحرام وبنائه واستدامة وجوده في أيام الحياة الدنيا ، وإنتفاع أجيال الناس المتعاقبة منه .

وهذا علم جديد بالربط بين الأوامر الإلهية لإبراهيم وإسماعيل بتطهير البيت وكيف أن الله عز وجل جعله مثوبة وأماناً وبين الإنذار للجبابرة ، وكذا فانه إنذار ووعد للكفار الذين دنسوه بنصب الأوثان .
لقد أنشأ الله البيت الحرام ليكون دعوة إلى السلم للملازمة بين سُنْخِية العبادة ومحاربة الإرهاب على نحو متجدد ، وكذا بالنسبة للأشهر الحرم فانها زاجر عن الفتك بالناس والثأر والقتل العشوائي .

(١) سورة الحجر ٩.

(٢) سورة البقرة ١٢٥.

قانون سرايا الإسلام لواء الإسلام

لقد بعث الله النبي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم في مكة سنة ٦١٠ ميلادية وكان عمره آنذاك أربعين سنة قمرية وستة أشهر واثنى عشر يوماً فقام بتبليغ رسالته على نحو القضية الشخصية بالإتصال بالأفراد وإبلاغهم أنه رسول من الله إليهم وإلى الناس جميعاً ، وأن الله أنزل عليه قرآناً وصار يتلو الآيات التي أنزلت عليه ، وفيه مسائل :

الأولى : إبتداء إشراقة آيات القرآن على الأرض لتستمر إلى يوم القيامة.

الثانية : تدعو كل آية قرآنية الناس للإيمان .

الثالثة : إنحسار اتباع الهوى إذ صاروا منشغلين بالذكر والتدبر في أسرار ومعاني آيات القرآن ، والمقارنة بينها وبين آيات الشعر العربي ، ليدرك الناس تخلف الشعر مراتب عنها مع أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا يقرأ ولا يكتب ، قال تعالى ﴿قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّمَا هَذَا أَلْسَانُ سَاحِرٍ مُبِينٍ﴾^(١).

وفي السنوات الأخيرة من إقامة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في مكة اجتهد في دعوته العلنية لعامة الناس إلى الإسلام ، فكان يخرج إلى أسواق مكة في موسم الحج وقبل ذهاب الحجاج إلى عرفة ويخرج إلى منى في أيام التشريق ، يجاهر بالنداء بكلمة التوحيد ، ويطوف على القبائل في مساكنها يعرض عليهم نفسه وأحياناً يطلب منهم أن يكتموا أمره وإن لم يرضوا باتباعه ، وكان يتلقى الأذى من قومه ، والتسفيه لبعث النفرة في نفوس الناس من الإنصات له ، فيصبر على أذاهم من غير أن يكف عن

دعوته ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾^(١).

إذ ورد الأمر (بَلِّغْ) بصيغة الإطلاق من جهة المكان والزمان والكيفية الشرعية ، وهل تدخل الهجرة في إطلاقات الآية أعلاه ، الجواب نعم .
فلا بد من التبليغ داخل مكة وخارجها ، فبعد أن أتم النبي صلى الله عليه وآله وسلم التبليغ في مكة وعلم أهلها برسائله ، وصارت آيات القرآن حاضرة بين ظهرانيهم ، وعندما عزم كبار رجال المشركين على قتله نزل جبرئيل بالأمر بالهجرة ، قال تعالى ﴿قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾.

لقد أمر الله عز وجل النبي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم بأن يأمر المسلمين بالتقوى والخشية من الله ويعددهم بالأجر والثواب ، ويخبرهم عن قانون سعة أرض الله مع لزوم الصبر ، وهاجر بنفسه وعياله وأهل بيته فتجلى القانون الذي تذكره الآية أعلاه وهو أن أرض الله واسعة ، وهل هذه السعة مكانية فقط ، الجواب لا ، إنما هي مكانية وعقائدية .

والمراد من سرايا النبي صلى الله عليه وآله وسلم أو السرايا في الإسلام هي الطائفة من الصحابة الذين يخرجون من المدينة بأمر من النبي صلى الله عليه وآله وسلم من غير أن يكون هو معهم ، إنما يقوم النبي صلى الله عليه وآله وسلم بخصوص السرية بأمور :
الأول : التحديد الإجمالي لعدد أفراد السرية .
الثاني : تعيين أمر السرية .

- الثالث : تحديد الغاية التي تبعث من أجلها السرية .
- الرابع : توفير ما تحتاجه السرية .
- الخامس : الإنصات لأفراد السرية قبل مغادرتهم المدينة .
- السادس : إعفاء الذي يعتذر ولا يريد الخروج بالسرية .
- السابع : تسليح السرية بدعاء النبي ص لأفرادها .
- الثامن : بيان الثواب العظيم لسرايا الإسلام والمشاركة فيها .
- التاسع : عدم الملازمة بين الخروج في السرايا وبين الغنائم .
- العاشر : توصية أمر وأفراد السرية بأمر :
- الأول : عدم التعدي .
- الثاني : الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة .
- الثالث : تعاهد الصلاة وتلاوة القرآن والأخوة الإيمانية .
- الرابع : إجتنب الإبتداء بالقتال .
- الخامس : الإمتناع عن النهب والسلب .
- السادس : البشارة للناس بالأجر العظيم على الإيمان ، قال تعالى ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا﴾^(١) .
- السابع : بعث النفرة في النفوس من الإرهاب .
- السادس : القيام بتفقه الناس في أمور الدين ، وأحكام الحلال والحرام .
- السابع : استحضار الأخوة الإيمانية .
- وعن ابن اسحاق أن عدد سرايا النبي صلى الله عليه وآله وسلم
خمسا وثلاثين سرية^(٢) .

(١) سورة الطلاق ١١ .

(٢) انظر تأريخ الرسل والملوك ٩٥/٢ .

وقد ذكرنا البعوث والسرايا حتى الفردية ، يحتمل وقوع القتال فيها وجوهاً :

الأول : السرايا التي وقع لها القتال هي الأقل .

الثاني : التساوي بين السرايا التي وقع فيها القتال والتي لم يقع فيها قتال .

الثالث : السرايا التي وقع فيها القتال هي الأكثر .

والصحيح هو الأول ويدل عليه الجدول الآتي والذي يتضمن إحصاءً وبياناً لسرايا النبي صلى الله عليه وآله وسلم وتأريخها :

ت	اسم المعركة أو السرية	تأريخها	الملاحظات
١	سرية حمزة سيف البحر	رمضان السنة الأولى للهجرة	لم يقع قتال حجز بينهم مجدي بن عمرو الجهني فلم يقع قتال.
٢	سرية عبيدة بن الحارث الى بطن رابغ قدم ابن إسحاق هذه السرية على سرية حمزة أعلاه	شوال السنة الأولى للهجرة	وقع رمي بالنبال ولم يسلوا السيوف ، ولم يقع قتال.
٣	سرية سعد بن أبي وقاص إلى الخرار	ذو القعدة / السنة الأولى	لم يقع قتال
٤	سرية سعد بن أبي وقاص إلى حي من كنانة	رجب / السنة الثانية للهجرة	
٥	سرية عبدالله بن جحش إلى نخلة	رجب / السنة الثانية	لم يقع قتال ، ولم يرد ذكر لهذه السرية في أكثر

	كتب السيرة .		
٦	سرية زيد بن حارثة إلى القردة بفتح القاف	الأول من جمادى الآخرة السنة الثالثة	جلب زيد بن حارثة العير وما فيها ، لم يقع فيها قتال.
٧	سرية محمد بن مسلمة إلى كعب بن الأشرف	١٤ ربيع الأول / السنة الثالثة	في قصد كعب بن الأشرف وهو عربي طائي من بني النبهان ولكن أمه من بني النضير ، فصار سيداً عند اليهود وكان يحرض على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويشبب بنساء الصحابة ، وطاف على قریش في مكة وهو يرثي قتلى المشركين في بدر
٨	سرية الإمام علي خلف جيش المشركين الذي حضر معركة أحد	الخامس عشر من شهر شوال من السنة الثالثة	لم يلق قتالاً
٩	سرية أبي سلمة	أول محرم / السنة الرابعة	لم يلقوا قتالاً
١٠	سرية عبد الله بن أنيس	الخامس من محرم / السنة الرابعة	قتلت السرية خالد بن سفيان بن نبيح الهذلي الذي كان يجمع الجموع لمحاربة رسول الله ص وجاء الطلب خلف عبد الله بن أنيس فدخل الغار فنسجت عليه العنكبوت (أنظر سمط النجوم ١ / ١٤٨)

١١	سرية تعليم القرآن عضل والقارة سرية الرجيع	صفر / السنة الرابعة	أحاط المشركون بسرية التبليغ في الرجيع ماء الهذيل غدرأ وأسروا اثنين ، وقتلوا ثمانية.
١٢	سرية التبليغ (بئر معوقة)	صفر / السنة الرابعة	قتلوا غدرأ
١٣	سرية محمد بن مسلمة إلى القرطاء من هوازن	العاشر من محرم السنة السادسة	هرب بنو بكر ، وفيها أسلم ثمامة بن أثال سيد بني حنيفة
١٤	سرية عكاشة بن محصن إلى الغمر ماء لبني أسد	ربيع الأول السنة السادسة	
١٥	سرية محمد بن مسلمة إلى ذي القصة	ربيع الآخر / السنة السادسة	
١٦	سرية أبي عبيدة بن الجراح إلى ذي القصة لمصارع المسلمين التسعة	ربيع الآخر / السنة السادسة.	لم يقع قتال ، أصابوا رجلاً واحداً فأسلم.
١٧	سرية زيد بن حارثة إلى بني سليم بالجموم		
١٨	سرية زيد بن حارثة إلى العيص	جمادى الأولى السنة السادسة	أجارت زينب بنت النبي (ص) زوجها السابق أبا العاص على شركه فرد النبي والمسلمون عليه كل العير والتجارة التي كانت معه
١٩	سرية زيد بن حارثة إلى جسمى	جمادى الآخرة السنة السادسة	سبب السرية قيام الهنيد وابنه من جذام بسلب الصحابي دحية الكلبي الهدايا التي اعطاه قيصر
٢٠	سرية زيد بن حارثة إلى	جمادى الآخرة /	لم يلق كيداً.

الطرف	السنة السادسة	
٢١	سرية زيد بن حارثة إلى وادي القرى	رجب السنة السادسة خرج زيد بن حارثة في تجارة إلى الشام وانفلت زيد من بين القتلى.
٢٢	سرية زيد بن حارثة الثانية إلى وادي القرى وتسمى سرية زيد إلى أم قرفة.	رجب / السنة السادسة الى بني فزارة
٢٣	سرية الإمام علي إلى فذك	شعبان / السنة السادسة سبب السرية أن بني سعد عرضوا على يهود خيبر نصرتهم على أن يجعلوا لهم تمر خيبر
٢٤	سرية عبد الرحمن بن عوف إلى دومة الجندل	شعبان / السنة السادسة وأوصاه النبي (ص) وقال : لا تغل ، لا تغدر ، لا تقتل وليداً وان استجابوا لك فتزوج ابنة ملكهم ، فولدت له أبا سلمة
٢٥	سرية كرز إلى العرينين	شعبان / السنة السادسة بعد اعلانهم الإسلام قتلوا الراعي وذهبوا بإبل المسلمين
٢٦	سرية عمرو بن أمية	شهر شوال / السنة السادسة إرادة قتل أبي سفيان لبعثه شخصاً لقتل النبي محمد (ص) وقيل أن السرية لإنزال خبيب من خشبته ولم يقع قتال.
٢٧	سرية عبد بن رواحة إلى أسير بن رزام	شوال / السنة السادسة سبب الغزوة أن أسيراً هذا كان يمرض غطفان لحرب رسول الله (ص).
٢٨	سرية بني عبس	السنة السادسة جاء وفد من بني عبس عددهم تسعة فبعثهم

النبي (ص) سرية ، ولم يلقوا كيداً.			
لم يقع قتال.	السنة السادسة	سرية إلى رعية السحيمي الذي أخذ كتاب رسول الله (ص) فرقع به دلوه ثم أسلم وحسن اسلامه	٢٩
عرض صبري على قومه الإسلام فأبوا وأجاعوه وسألهم شربة ماء ، قالوا تموت عطشاً فسقاه الله شراباً من لبن فروي وعظمت بطنه ، ولما جاءوا للتدارك وقدموا له الطعام والشراب فأخبرهم ورأوا عظم بطنه فأسلموا عن آخرهم ، وسيأتي البيان فلن يقع قتال.		سرية أبي أمامة صدي بن عجلان إلى باهلة	٣٠
لما علموا بقدوم المسلمين هربوا ولم يقع قتال .	شعبان / السنة السابعة	سرية عمر بن الخطاب إلى هوازن	٣١
لم يقع قتال ولكن جرح بشير بسبب الرمي بالنبال عند رجوعهم .	شعبان / السنة السابعة	سرية بشير بن سعد الأنصاري	٣٢
	شعبان / السنة السابعة	سرية أبي بكر إلى بني كلاب	٣٣
إلى الميفعة.	رمضان / السنة السابعة.	سرية غالب بن عبد الله الليثي	٣٤
بلغ النبي (ص) أن عينة بن حصن يعد الرجال للإغارة على المدينة فبعث السرية	شوال / السنة السابعة	سرية بشير بن سعد	٣٥

٣٦	سرية الأخرم	ذو الحجة / السنة السابعة	فتفرقوا ، ولم يقع قتال. الغاية من السرية الدعوة إلى الإسلام ، ولكن رموهم بالسهم ، أي لم يقع قتال .
٣٧	سرية غالب بن عبد الله الليثي	صفر / السنة الثامنة	إلى بني الملوح بالكديد.
٣٨	سرية غالب بن عبد الله الليثي الثانية	صفر / السنة الثامنة	إلى فذك.
٣٩	سرية شجاع بن وهب الأسدي	ربيع الأول / السنة الثامنة	غابوا (١٥) ليلة أصابوا نعلماً كثيرة ، ولم يقع قتال.
٤٠	سرية كعب بن عمير الغفاري	ربيع الأول / السنة الثامنة	كانت السرية للدعوة للإسلام فقابلهم المشركون بالرشق بالنبل ، ولما رجع أميرهم واخبر النبي (ص) شق عليه ولكنه لم يبعث وراءهم .
٤١	سرية أبي عامر الأشعري ، سرية أوطاس بعد حنين وقبل التوجه إلى الطائف	شوال / السنة الثامنة	استشهد فيها أمر السرية
٤٢	سرية الطفيل بن عمرو الدوسي إلى الصنم الخشبي ذي الكفين	شوال / السنة الثامنة	لم يقع قتال.
٤٣	سرية قيس بن سعد إلى صدد ناحية اليمن.		أسلم قوم صدد على دفعات ، لم يقع قتال.
٤٤	سرية خالد بن الوليد إلى الصنم العزى	رمضان / السنة الثامنة	لم يقع قتال.
٤٥	سرية عمرو بن العاص لهدم سواع صنم لهذيل		لم يقع قتال.

٤٦			
٤٧			
٤٨			
٤٩	سرية سعد بن زيد الأشلهلي إلى مناة	شهر رمضان / السنة الثامنة	لم يقع قتال.
٥٠	سرية خالد بن الوليد إلى جذيمة	شوال / السنة الثامنة	الغاية من السرية الدعوة إلى الله وليس القتال ، ولكن خالداً قتل منهم جماعة وفيه قال رسول الله محمد (ص) اللهم أني أبرأ إليك مما صنع خالد) وبعث الإمام علي فدفع ديات القتلى .
٥١	سرية الحُبط بأمرة أبي عبيدة الجراح إلى أرض جهينة	رجب / السنة الثامنة	قيل هذه السرية قبل صلح الحديبية ^(١) ، ولم يقع قتال.
٥٢	سرية مؤتة	جمادى الأولى / السنة الثامنة	سمى البخاري هذه السرية غزوة لكثرة جيش المسلمين فيها وان لم يخرج فيها النبي (ص) ، ولأنه عدّ نفسه الفئة التي يجبرون إليها.
٥٣	سرية عمرو بن العاص إلى بلاد بلى وعذرة وتسمى (ذات السلاسل)	جمادى الآخرة / السنة الثامنة	إذ بلغ النبي ص أن جمعاً من قضاة تجمعوا للإغارة على المسلمين عند ماء يسمى السلاسل ، فسميت ذات

(١) بلحاظ أنها رصد لعير قریش ، وليس من رصد بعد صلح الحديبية ، ولكن وظيفة
وظيفة السرية أعم لطلب وقصد حي من جهينة.

			السلاسل ، ولم يقع قتال.
٥٤	سرية أبي قتادة	شعبان السنة الثامنة	
٥٥	سرية أبي قتادة إلى بطن إضم	شهر رمضان / السنة الثامنة للتورية على قريش في توجه النبي (ص) إلى مكة.	قتل بعضهم مسلماً غيلة فنزل قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَيَسَّلُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْفَى إِلَيْكُمْ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمٌ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنْ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَيَسَّلُوا إِنْ اللَّهُ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ ^(١) ، ولم يقع قتال.
٥٦	سرية عيينة بن حصن إلى بني تميم	محرم / السنة التاسعة	أفراد السرية من عامة العرب ، وليس فيها مهاجر ولا أنصاري أخذ المسلمون ١١ رجلاً و ٢١ امرأة و ٣٠ صبياً ، فحبسهم النبي (ص) في دار رملة بنت الحارث ، وجاء وفد من تميم للنبي (ص) فأطلق سراحهم جميعاً ، ولم يقع فيها قتال.
٥٧	سرية الوليد بن عقبة إلى بني المصطلق		الغرض من السرية أخذ الصدقات ولم يقع فيها قتال.
٥٨	سرية قطبة بن عامر إلى خنعم	شهر صفر / السنة التاسعة	جاء المسلمون ببعض الأسرى فأطلقهم النبي ص .

٥٩	سرية الضحاك بن سفيان	ربيع الأول / السنة التاسعة	السرية لدعوة بني كلاب للإسلام .
٦٠	سرية طلحة بن عبيد الله لخرق بيت سويلم على المنافقين		وخبر حرق البيت ضعيف ومن ضعفه قول ابن هشام (حدثني الثقة) ولعل فيه جهالة وانقطاع ، ولم يقع قتال وقال النبي (ص) : أنه لا ينبغي أن يحرق بالنار إلا رب النار
٦١	سرية علقمة بن مجزز يوليو ٦٣٠ م	ربيع الآخر / السنة التاسعة	لم يقع قتال .
٦٢	سرية الإمام علي بن أبي طالب لهدم صنم	ربيع الآخر / السنة التاسعة	تم أسر سفانة بنت حاتم الطائي ، ولم يقع قتال ، لم يقسم الإمام علي عليه السلام آل حاتم ، ومن النبي (ص) على سفانة ، فذهبت إلى أخيها عدي بن حاتم فقدم معها إلى المدينة وأعلن إسلامه
٦٣	سرية عكاشة بن محصن الأسدي	ربيع الآخر / السنة التاسعة	لم يقع قتال .
٦٤	سرية خالد بن الوليد إلى أكيدر بن عبد الملك بدومة الجندل	رجب / السنة التاسعة	
٦٥	سرية خالد بن الوليد إلى بني حارث بن كعب	شهر ربيع الأول / السنة العاشرة	لم يقع قتال .
٦٦	سرية الإمام علي إلى اليمن	شهر رمضان / السنة العاشرة	قيل أن قتلى المشركين عشرون وبعد المعركة دخل القوم الإسلام

وهل يمكن القول بقانون (لم يبعث الله عز وجل نبياً للقتال) الجواب نعم ، إنما بعثة الأنبياء رحمة ورأفة من الله بالعباد ، وسبيل الى هدايتهم ، وحضور آيات ومعجزات في ذات جنس البشر ، وهو من عمومات قوله تعالى ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾^(١).

فان قلت قد ورد في التنزيل ﴿وَكَانَ مِنْ نَبِيِّ قَاتِلٍ مَعَهُ رَبِّيُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴾^(٢) ، والجواب تدل الآية أعلاه على قانون وهو أن المشركين هم الذين يحاربون الأنبياء ، ويصرون على قتالهم وفيه شواهد عديدة من القرآن والسنة. وفي كل سرية من السرايا التي بعثها النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم مسائل :

الأولى : إنها رسل للسلام.

الثانية : فيها أمان للناس.

الثالثة : هي دعوة لعبادة الله.

الرابعة : تبعث كل سرية على أداء الفرائض العبادية.

لقد كان الناس منقطعين إلى عبادة الأوثان ، وحينما بعث الله عز وجل النبي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم انقسموا ، فصاروا على طوائف :

الأولى : الذين آمنوا برسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

الثانية : الذين تأملوا وآثروا التريث والانتظار .

(١) سورة فصلت ٥٣.

(٢) سورة آل عمران ١٤٦.

الثالثة : الذين أظهروا الإيمان وأخفوا الكفر ، وهم المنافقون ، قال تعالى ﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴾ (١).

الرابعة : الذين أعرضوا عن الدعوة النبوية .

الخامسة : طائفة إختارت الإصرار على الكفر من دون عدوان وقتال مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

السادسة : الكفار الذين أصرّوا على قتال ومحاربة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه .

وليس من طائفة منهم ثابت عدد أفرادها ، أو أنها على حال ومرتبة واحدة من جهات :

الأولى : إزدیاد عدد المؤمنين ونقص عدد الذين كفروا كل يوم .

الثانية : إقتراب الناس من سنن الهداية ، وهو من عمومات قوله تعالى ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنُ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾ (٢).

الثالثة : إظهار عامة الناس الإنصات لآيات القرآن .

الرابعة : التدبر العام في أحكام الشريعة وأسرار سنن وكيفية الفرائض العبادية .

(١) سورة المنافقون .١

(٢) سورة الاسراء .٩

الخامسة : إنكار الناس لمحاربة كفار قريش وأمثالهم للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وهذا الإنكار من مصاديق الفطرة الإنسانية في كراهية الإرهاب .

السادسة : صيرورة الدعوة إلى الإيمان الشغل الشاغل للناس في المتدييات والبيوت ، وفي الحضر والسفر ، وهو من الإعجاز الغيري للقرآن ، إذ تكون آيات القرآن في المقام على وجوه :

الأول : حضور آيات القرآن بين الناس ، وتلاوتهم لها ، وهل تختص هذه التلاوة بالمسلمين ، الجواب لا ، وهو من مصاديق البركة في قوله تعالى ﴿وَهَذَا ذِكْرُ مُبَارَكٍ أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ﴾^(١).

الثاني : صيرورة الآية القرآنية آلة للإحتجاج ، وهي بذاتها برهان يغني عن الإرهاب .

الثالث : ذات الآية القرآنية برهان ودليل يهدي إلى الحق والرشد وتفضح الآية القرآنية الكفار وعبادة الأوثان ، وتزجر عن الإرهاب والقتال دونها .

الرابع : من خصائص الآية القرآنية أنها تبعث الرغبة في النفوس بتلاوتها جهراً .

الخامس : خلو الآية القرآنية من مفاهيم الإرهاب والتعدي لذا ترى قوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾^(٢) ، يتكرر في القرآن ، وقال تعالى ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يَحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾^(٣).

(١) سورة الأنبياء ٥٠.

(٢) سورة البقرة ١٩٠.

(٣) سورة الأعراف ٥٥.

قانون تصنيف معجزات النبي (ص)

لقد جعل الله عز وجل الحياة الدنيا محلاً لخلافة الإنسان واقتربت الخلافة بالنبوة واختيار الله لعدد محدود من بين الناس ليكونوا أنبياء فيأتيهم الوحي من عند الله ، ويقومون بتبليغ الرسالات.

ومن قوانين الإرادة التكوينية اقتران المعجزة بالوحي ، فمن يأتيه الوحي من عند الله يهب الله سبحانه له المعجزة والكرامة ، فيتتزه عن الإرهاب ، كما يتلقى ما يصدر من الغير بالصبر والحلم.

وحتى مريم مع أنها لم تكن نبيه ، ولكن خاطبتها الملائكة قبلاً ، قال تعالى ﴿وَإِذْ قَالَتُ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾^(١) فرزقها الله عز وجل آية بينة .

فكانت ترى عندها فاكهة الشتاء في الصيف وفاكهة الصيف في الشتاء ، وأطلع زكريا النبي صلى الله عليه وآله وسلم على هذه الآية ليكون الشاهد على هذه الكرامة والمنزلة الرفيعة ، وتصير شهادته مقدمة لتصديق الناس برسالة عيسى عليه السلام ، قال تعالى ﴿كَلَّمَآ دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾^(٢) .

وكانت هذه الفاكهة أيضاً مقدمة لجري النهر والأرطاب عند ولادة عيسى عليه السلام ، وتفضل الله عز وجل وجعل مريم آية ، قال تعالى ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ﴾^(٣) .

(١) سورة آل عمران ٤٢.

(٢) سورة آل عمران ٣٧.

(٣) سورة المؤمنون ٥٠.

وتحتمل الآية أعلاه وجوهاً :

الأولى : عيسى وأمه مريم عليهما السلام آية واحدة وهو لا يتعارض مع كون عيسى بمفرده آية عظمى من جهة وولادته ورسالته ، ومنهاجاً في عدم الغزو أو القتال وأمته.

الثاني : الرسول عيسى عليه السلام آية وأمه آية مستقلة.

الثالث : عيسى عليه السلام آية مستقلة ، وهي الأصل وآية مريم هي الفرع.

والمختار هو الأول والثاني.

وكما قدمت الآية أعلاه عيسى عليه السلام وبصفة ابن مريم فقد تقدمت آية أخرى مريم عليها السلام بقوله تعالى ﴿وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾^(١).

(وأخرج ابن أبي حاتم عن الربيع بن أنس في قوله { وجعلنا ابن مريم وأمه آية } قال : عبرة)^(٢).

ولكن معنى الآية في المقام أعم من العبرة ، إنما كل من عيسى ومريم عليهما السلام آية في العالمين تدل على عظيم قدرة الله وبديع صنعه تعالى ، وأن خلق آدم من غير أب أو أم تجدد بخلق عيسى عليه السلام من غير أب ، وولادة عيسى من امرأة باكر أحصنت فرجها معجزة لهما معاً .

وهل تدعو هذه الآية الناس للتصديق بنبوّة محمد صلى الله عليه وآله وسلم وعدم اللجوء إلى القتال والهجوم عليه بالسيوف والرماح لمنعه من تبليغ رسالته .

الجواب نعم .

(١) سورة الأنبياء ٩١.

(٢) سورة الأنبياء ٩١.

(٣) الدر المنثور ٢٠٧/٧.

فكما أظهر الله نبوة موسى وعيسى عليه السلام ، وجعل لكل منهما اتباعاً وأمة عظيمة تتوارث العمل بأحكام رسالته فان أمة عظيمة تتوارث العمل بأحكام الشريعة السمحاء التي جاء بها النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، قال تعالى ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾^(١).

ومن خصائص الأنبياء كونهم ﴿مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾^(٢) ولكن هل جاءت البشارة إلى النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، الجواب نعم ، فهو مبشر باسم المفعول ، ومبشر اسم فاعل .
والبشارة بالنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم معجزة له ، وفيها غلق لباب الإرهاب ، وعدم إتخاذة مقدمة أو وسيلة لتحقيق الغايات الحميدة من النبوة .

قانون الصبر على أذى قريش في بداية الدعوة

حينما أبطأت قريش بدخول الإسلام ، وأظهروا أشد ضروب العداوة له ولأهل بيته وأصحابه نزلت سورة ﴿لَا إِلَافَ قُرَيْشٍ﴾ * إِيْلَافُهُمْ رَحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ * فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ * الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ^(٣) ، وفيه مسائل :

الأولى : تذكير قريش وأهل مكة بوجوب المبادرة إلى الإيمان ونبذ مفاهيم الشرك .

(١) سورة التوبة ٣٣.

(٢) سورة الأنعام ٤٨.

(٣) سورة قريش ١-٤.

الثانية : الشكر لله عز وجل على المنزلة الحسنة التي يتحلون بها بين الناس .

الثالثة : هلاك أبرهة لظلمه وتعديه ، فضلا من الله لاستدامة النعمة على قريش وعموم أهل مكة ببركة جوار البيت الحرام .

الرابعة : دعوة قريش لعدم الإنقطاع إلى التجارة ، والضرب في الأرض ، والسفر في الصيف إلى الشام والشتاء إلى اليمن فلا بد أن يتعاهدوا شؤون البيت الحرام ، ويقوموا بالطواف حوله وإقامتهم في مكة مناسبة لإدراك قبح عبادة الأصنام ونصبها في البيت الحرام ، قال تعالى ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ ^(١) .

الخامسة : تلقي البشارات ببعثة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالقبول .

وعندما امتنعوا عن التصديق بالنبوة ، نزل قوله تعالى ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ ^(٢) ، ترى ما هو متعلق وموضوع الإنذار فيه وجوه :

الأول : وأنذر عشيرتك الأقربين من الصدود عن النبوة والتنزيل .
الثاني : وأنذر عشيرتك الأقربين من سلب النعم عند الإصرار على الجحود .

الثالث : وأنذر عشيرتك الأقربين ليمتنعوا عن إتباع خطوات الشيطان .
الرابع : وأنذر عشيرتك الأقربين لنصبهم الأوثان في المسجد الحرام .
الخامس : وأنذر عشيرتك الأقربين رحمة من الله عز وجل .
السادس : وأنذر عشيرتك المقربين ليؤازروك في دعوتك .

(١) سورة البقرة ١٢٥.

(٢) سورة الشعراء ٢١٤.

السابع : وأنذر عشيرتك الأقربين زجراً لهم عن جمع وتحشيد القبائل للهجوم على المدينة .

الثامن : وأنذر عشيرتك الأقربين رجالاً ونساءً من الإرهاب .

التاسع : وأنذر عشيرتك الأقربين ليقوموا بإنذار الناس .

العاشر : وأنذر عشيرتك الأقربين رافة بمن هو قريب منك ولحب الله عز وجل للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

الحادي عشر : وأنذر عشيرتك الأقربين ﴿ إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾^(١).

الثاني عشر : وأنذر عشيرتك الأقربين والناس جميعاً ، قال تعالى ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾^(٢).

الثالث عشر : وأنذر عشيرتك الأقربين ، قال تعالى ﴿ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾^(٣).

الرابع عشر : وأنذر عشيرتك الأقربين من عذاب يوم القيامة .
ولم يرد لفظ (عشيرتك) في القرآن إلا مرة واحدة في الآية أعلاه لبيان قانون وهو أن النبي محمداً رسول السلام في الدنيا ، والأمن في الآخرة ، وأنه لم يتوعد عشيرته والناس إنما ينذرهم ويخوفهم من الجحود وسوء عاقبته وجاءت كل من آية البحث والسياق لإنذار عشيرة النبي والناس جميعاً من

(١) سورة هود ١٢.

(٢) سورة الفرقان ٥٦.

(٣) سورة الأنفال ٧٥.

البخل بالحقوق الشرعية ، ومن الإمتناع عن دفع الزكاة ، ومن الجحود وقول ﴿إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَخَشٍ أُغْنِيَاءُ﴾^(١).

ومن إعجاز القرآن توجه الأمر الإلهي إلى النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بعد هذه الآية بالرفقة والرفق بالمؤمنين بقوله تعالى ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٢).

الخامس عشر : وأنذر عشيرتك الأقربين من قصد قتلك وأنت في فراشك .

السادس عشر : وأنذر عشيرتك الأقربين من إرادة اللقوق بك في طريق الهجرة بقصد قتلك .

السابع عشر : وأنذر عشيرتك الأقربين من الهجوم على المدينة للقتال ولكنهم لم يتعظوا من الإنذار فحشدوا الجيوش .

قال تعالى ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾^(٣).

ترى ماذا لو استجابت قريش لدعوة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأعلن أهل مكة إسلامهم حالما بعث الله سبحانه النبي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم وتجلت المعجزات على يديه فهل يختار النبي صلى الله عليه وآله وسلم الهجرة إلى المدينة ، وهل تقوم القبائل بمحاربتة ، أو تستعين بالدول الكبرى آنذاك ، وهل يقع قتال ، وإذا وقع هل يكون أكثر وأشد من معارك الإسلام الأولى أو أقل وأخف منها .

(١) سورة آل عمران ١٨١.

(٢) سورة الشعراء ٢١٥.

(٣) سورة مريم ٣٩.

لقد واجه الطواغيت والمتكبرون الأنبياء بالصدود والإستهزاء وإعلان الحرب عليهم ، ولو آمنوا لما وقع قتال ولبقوا في ذات مراتبهم وشأنهم ، وإزدادوا رفعة لقانون : الملازمة بين الإيمان والرفعة .

لقد تواترت البشارات بالنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم قبل بعثته ، وذكرت من صفاته هجرته ، فالهجرة حق .

ولو أسلمت قريش حال بعثة النبي صلى الله عليه وآله وسلم لحصلت أمور :

الأول : لما وقع قتال كثير ، ولجأت القبائل في موسم الحج ليروا إقامة الصلوات الخمس في المسجد الحرام ، وتنزهه وخلوه من الأوثان والأصنام ، ولسارت قوافل قريش ، بمضاغفة في عدد الإبل وكثرة الرحلات بين مكة والشام وبينها وبين اليمن وأمصار أخرى .

وقد بين النبي صلى الله عليه وآله وسلم لقريش هذه النعم لو أسلموا وذكر البراهين التي تدل على قرب هذه النعم منهم ، وسيادتهم في العالم بما فيه الأجر والثواب لأن هذه السيادة بصبغة الإيمان ، والإخلاص في أداء العبادات ، ولتبدل الكثير من الوقائع واستحدثت أخرى وهو من عمومات قوله تعالى ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ ^(١) .

وفيه شاهد بأن النبي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم لم يبعث بالسيف ولا القتال ، وقد بقي في مكة ثلاث عشرة سنة يدعو الناس إلى الإسلام ، ويتحمل الأذى الشديد من الكفار ، ولم يحمل سيفاً ، وكان يحث أهل بيته وأصحابه على التحلي بالصبر في تلقي أذى كفار قريش .

و) عن ابن إسحق قال: وكان ياسر عبداً لبني بكر من بني الأشجع بن ليث فاشتروه ^(١) منهم، فزوجوه سمية أم عمار، فولدت عمار، وكانت سمية أمة لهم، فأعتقوا سمية، وعماراً، وياسراً.

عن محمد بن سيرين قال: مرّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعمار بن ياسر وهو يبكي يدلك عينيه فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: مالك، أخذك الكفار، فغطوك في الماء، فقلت كذا، وكذا، فإن عادوا لك فقل كما قلت.

عن ابن إسحق قال: حدثني حكيم بن جبير عن سعيد بن جبير قال: قلت لابن عباس: يا أبا عباس أكان المشركون يبلغون من المسلمين في العذاب ما يعذرون به في ترك دينهم.

فقال: نعم والله إن كانوا ليضربون أحدهم ويجمعونه ويعطشونه حتى ما يقدر على أن يستوي جالساً من شدة الضر الذي به حتى أنه ليعطيهم ما سألوه من الفتنة وحتى يقولوا: اللات والعزى إلهك من دون الله، فيقول: نعم، وحتى أن الجعل ^(٢) ليمر بهم فيقولون أهذا الجعل إلهك من دون الله، فيقول: نعم، إفتداء منهم لما يبلغون من جهده ^(٣).

لقد كان صبر النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم على إيذاء قريش له بصفة النبوة موعظة وعبرة، ودعوة للمسلمين لتحمل الأذى، وعدم اللجوء إلى العنف والسيف

(١) أي اشتراه بنو مخزوم.

(٢) الجعل - بضم الجيم - دوية وحشرة سوداء كالخنفساء ويسمونها بعضهم في هذا الزمان أبو الجعل، وتضع بيضها في الجيف والقاذورات.

(٣) ابن إسحاق / السيرة النبوية ١/١٦٩.

والإرهاب عند تلقي الأذى ، للتباين بين الصبر ، وبين استعمال البطش والإرهاب ، ومن مصاديق إكرام الله للإنسان بأن نفخ من روحه في آدم كما في قوله تعالى ﴿وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ﴾^(١) .

ومن خصائص المجتمعات في كل زمان ثناء الناس على الذي يتحلى بالصبر ، وهو فرع الحكمة ، والأنبياء سادة الأمم في الحكمة.

لقد صبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم على أذى قريش في بداية الدعوة وحتى بعد الهجرة إذ ازداد أذاهم ، وانتقلوا إلى إعداد الجيوش والهجوم على المدينة وقتال النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه ، فبعد معركة بدر جاءت معركة أحد التي يبعد موضعها نحو ستة كيلو متر عن المسجد النبوي .

وستبقى مدرسة صبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم على أذى قريش دعوة للسلم ودرء الفتن ، ودفع أثر النفس الغضبية بالعبادة والدعاء .
لقد كان صبر النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وحياءاً من عند الله ، وهو من عمومات قوله تعالى ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾^(٢) ، ليصير دعوة للناس لدخول الإسلام ، وحجة على الذين كفروا ، وسبباً لإعراض الناس عنهم وعن تأليبهم على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، لبيان قانون وهو ترشح السلام عن صبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم وتحمله الأذى .

(١) سورة السجدة ٩.

(٢) سورة النجم ٣-٤.

قانون التداخل بين الذكر والتلاوة

التلاوة عبادة وموعظة وتأديب ، وهي من مصاديق قوله تعالى ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَعَالَىٰ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾^(١) وورد ذكر القلوب في الآية على نحو العموم الشامل للناس جميعاً ، والإطلاق في أحوالهم فيتحقق الإطمئنان ونزول السكينة بتلاوة آيات القرآن على السيد والعبد ، والغني والفقير ، والذكر والأنثى ، وفي حال الشدة والرخاء ، ولا تختص بالقلوب المنكسرة أو بساعة الشدة ، وتبين الآية أعلاه مسائل :

الأولى : حاجة القلوب إلى الطمأنينة .

الثانية : تلاوة القرآن وسيلة وبلغة لتحقيق السكينة .

الثالثة : وجوب أداء الواجبات العبادية ، وهو من أهم القربات .

الرابعة : استدامة الحياة الدنيا بذكر الله عز وجل .

الخامسة : ذكر الله عز وجل برزخ دون غلبت النفس الغضبية ، ومانع من الإرهاب والتعدي وسفك الدماء .

وعندما احتجت الملائكة على جعل آدم ﴿فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾^(٢)

أجابهم الله عز وجل بالقول ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٣) ومن علم الله عز وجل تحقق ذكر أمة من الناس لله في كل زمان ، فلا بد من وجود أمة مؤمنة يذكر أفرادها الله عز وجل يوم ، وفيه منافع لإحتجاج الله عز وجل من الملائكة في الآية أعلاه من جهات :

(١) سورة الرعد ٢٨.

(٢) سورة البقرة ٣٠.

(٣) سورة البقرة ٣٠.

الأولى : ذكر الله عز وجل سلامة للقلوب من آفة الضيق والحسرة ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾^(١).

الثانية : فيه طمأنينة للقلوب وسلامة من الدرن والأمراض ، ليكون من مصاديق الشفاء في قوله تعالى ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾^(٢) أن ذكر الله عز وجل على وجوه :

الأول : ذكر الله عز وجل تشخيص وحصر للمرض .

الثاني : ذكر الله عز وجل وأداء الفرائض واقية من المرض وتوابعه لذا وردت الآية أعلاه بصيغة الجملة الشرطية ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾^(٣) ليكون من معانيه التقدير: قد أمرض ، لإفادة الحرف (قد) التقليل ، ولكن حالما أمرض فإن الله عز وجل يشفيني من المرض ليكون ذات المرض والشفاء منه معجزة وفضلاً من الله عز وجل .

الثالث : ذكر الله عز وجل نوع علاج للمرض ومنه العلاج للمرض النفسي الذي اثبت علم الأبدان الحديث أنه من وجوه ومصاديق الطب لبيان مسألة أن آيات القرآن شفاء لأمراض النفس والبدن ، ويؤكد الأطباء الحاجة إلى الطمأنينة للتغلب على أمراض البدن ، وقهر الآلام ، وقد

(١) سورة الأنعام ١٢٥.

(٢) سورة الشعراء ٨٠.

(٣) سورة الشعراء ٨٠.

أخبر الله عز وجل على أن القرآن شفاء ، قال تعالى ﴿وَنُزِّلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾^(١) وقال تعالى ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ﴾^(٢).

ولو دار الأمر بين هل الشفاء في القرآن لخصوص الأمراض النفسية أم يشمل أمراض البدن والعلاج الفيزياوي ، فالأصل هو الإطلاق ، والله عز وجل يفضل بالشفاء من الدرن بالأتم والأكمل ، وهل قوله تعالى ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِي إِذَا دَعَانِي﴾^(٣) وقوله تعالى ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾^(٤) من موارد الشفاء والعلاج ، الجواب نعم ، وكل منهما وقاية من الأمراض ، ودفع لها قبل أن تنشب أظفارها في البدن ، ولو أجريت احصائية على أشخاص متساوين في الصفات البدنية ومجموعة منهم تواظب على الصلاة وقراءة القرآن ، وأخرى لا تصلي ولا تتلو آيات التنزيل لرأيت أن الأمراض في المجموعة الأولى أقل مما يصيب المجموعة الثانية ، قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا

(١) سورة الاسراء ٨٢.

(٢) سورة يونس ٥٧.

(٣) سورة البقرة ١٨٦.

(٤) سورة غافر ٦٠.

اللَّهُ ذِكْرًا كَثِيرًا * وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا * هُوَ الَّذِي يُصَلِّيْ عَلَيْكُمْ
وَمَلَائِكَتُهُ يُخْرِجُكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ
رَحِيمًا * تَحِيَّاتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ^(١) وقال تعالى
﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ ^(٢).

الرابع : ذكر الله عز وجل عند المرض باب للأجر
والثواب وباعث على التوبة والإستغفار لذا قد يتلى
الإنسان بالمرض أو تنزل به مصيبة فيلجأ إلى ذكر الله عز
وجل ، ويلج بالدعاء الذي هو من أبهى وجوه الذكر
فيتفضل الله عز وجل بصرف البلاء وينعم عليه بالأجر
والثواب كما لو استمرت هذه المصيبة في أثرها وضررها .
وهناك مسألتان :

الأولى : هل ذكر الله مانع من قول ﴿إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ﴾ ^(٣) ، الذي
تذم آية ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ
سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ ^(٤) ، أهله
القائلين به .

(١) سورة الأحزاب ٤١-٤٤.

(٢) سورة طه ١٢٤.

(٣) سورة آل عمران ١٨١.

(٤) سورة آل عمران ١٨١.

الثانية : هل ذكر الله عز وجل مانع من البخل وحبس الحقوق الشرعية الذي تذكره آية ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾^(١).

أما المسألة الأولى فالجواب نعم لأن ذكر الله عز وجل إقرار بربوبيته المطلقة وأن خزائن السموات والأرض بيده سبحانه ﴿يَنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾^(٢) (عن أبي الدرداء ، قال : قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : ألا أنبئكم بخير أعمالكم ، وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم ، وخير لكم من إعطاء الذهب والورق ، وأن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ، ويضربوا أعناقكم ، قالوا : وما ذاك يا رسول الله ؟ قال : ذكر الله عز وجل)^(٣).

فالجواب نعم ، إذ ينمي ذكر الله عز وجل في النفس ملكة إتيان الواجبات العبادية ، ومنها الزكاة وإعطاؤها إلى مستحقيها ، وذكرت الآية أعلاه فضل الله لبيان أن ما بأيدي الناس من النعم فضل ورحمة من الله عز وجل وأن فضله سبحانه متصل وغير منقطع ، ومن الذكر الدعاء وسؤال الفضل والزيادة والنافلة من عند الله عز وجل ، قال سبحانه ﴿وَأَسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾^(٤).

(١) سورة آل عمران ١٨٠.

(٢) سورة المائدة ٦٤.

(٣) المستدرك على الصحيحين ٣٧٢/٤.

(٤) سورة النساء ٣٢.

قانون الصراط المستقيم طارد للإرهاب

لقد جعل الله عز وجل الليل والنهار يتقاسمان كل يوم من أيام الدنيا يلاحق النهار الليل عند أول شأيب الفجر الصادق حتى يحل محله تماماً بشروق الشمس ، ليختفي الليل ثم لا يلبث أن يعود مع أول غروب الشمس .

قال ابن خالويه في شرح الدرديدية: خرج الأصمعي على أصحابه فقال لهم: ما معنى قول الخنساء :

يذكرني طلوع الشمس صخراً ... وأندبه لكل غروب شمس
لم خصت هذين الوقتين ، فلم يعرفوا ، فقال : أرادت بطلوع الشمس للغارة ، وبمغيبها للقرى ، فقام أصحابه فقبلوا رجله^(١).
والخنساء هي تماضر بنت عمرو السلمية ، وكانت تقول البيتين والثلاثة ولكن عندما قتل أخوها وهما :

الأول : معاوية بن عمرو بن الشريد ، وهو أخوها لأُمها وأبيها.
الثاني : صخر بن عمرو ، أخوها لأبيها وكان احبهما إلى قلبها ، وذا شمائل حميدة ويتصف بالجود والشجاعة ، غزا بني أسد (قطعنه ربيعة بن ثور الأسدي ، فأدخل بعض حلقات الدرع في جنبه ، وبقي مدة حول في أشد ما يكون من المرض ، وأمه وزوجته سلمى تمرضانه ، فضجرت زوجته منه ، فمرت بها امرأة ، فسألته عن حاله .

فقالت : لا هو حي فيرجى ، ولا هو ميت فينسى فسمعها صخر فأنشد:
أرى أم صخر لا تمل عيادتي ... وملت سليمان مضجعي ومكاني
وما كنت أخشى أن أكون جنازة ... عليك ، ومن يغتر بالحدثان
لعمري لقد نبهت من كان نائماً ... وأسمنت من كانت له أذنان
وأي امرئ ساوى بأم جليلة ... فلا عاش إلا في شقى وهوان

أهم بأمر الحزم لو أستطيعه ... وقد حيل بين العير والنزوان
فللموت خير من حياة كأنها ... معرس يعسوب برأس سنان^(١)،
ولما مات حزنت أخته الخنساء عليه ، وأكثرت من الشعر في رثائه ،
ومنه :

أعيني جودا ولا تجمدا ... ألا تبكيان لصخر الندى
ألا تبكيان الجريء الجميل ... ألا تبكيان الفتى السيدا
طويل العماد عظيم الرما ... د ساد عشيرته أمردا
ومن قولها أيضاً في صخر أخيها:
أشم أبلج يأت الهداة به ... كأنه علم في رأسه نار
وقيل : (وأجمع أهل العلم بالشعر أنه لم يكن امرأة قط قبلها ولا
بعدها أشعر منها^(٢)).

وجاء الإسلام ليقطع الغارات بين القبائل ، ويحرمها ، ويقوم فيها الحدّ
وصار الناس يقدمون الأخوة الإيمانية ويقفون صفوفاً مترابطة في الصلاة ،
وقطع الغارات بين القبائل استئصالاً للإرهاب ، ومنعاً من إثارة الرعب
اليومي عند العوائل ، ومقدمة لإجتهد المسلمين في طاعة الله .
وقد تفضل الله عز وجل على المسلمين بأن جعل وقت الفجر موعداً
لصلاة الصبح ، والغروب أوأناً لصلاة المغرب ، وهو من مصاديق الصراط
في قوله تعالى ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾^(٣) .

وهل في تعاقب الليل والنهار دعوة للناس للصراط المستقيم ، وبيان
أنه كالنهار في إشراقته وتجليه وبياضه ، المختار نعم ، لتكون ظلمة الليل
نوراً ذاتياً ، للبعث على الدعاء والذكر والإنقطاع إلى الله عندما تسكن

(١) مرآة الجنان ٣٨٢/١ .

(٢) الإستيعاب في معرفة الأصحاب ٩٠/٢ .

(٣) سورة الفاتحة ٦ .

الأصوات وتنقطع الرجل ، وتغلق الأسواق ، لذا قال سبحانه ﴿إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾^(١) ، وتتجلى قوانين :

الأول : قانون كل آية كونية تدعو طاعة الله .

الثاني : قانون الآيات الكونية هدى للإقرار بالربوبية المطلقة لله عز وجل .

الثالث : قانون يجعل كل آية كونية واعزاً ذاتياً يزجر عن الظلم والجور .

الرابع : قانون التفكير في خلق الله بما يبعث السكينة في النفس ، ويصلحها لفعل الخيرات .

الخامس : قانون كل آية كونية تنهى عن الإرهاب .

السادس : قانون وجوب التنزه عن مفاهيم الشرك ، وفي التنزيل ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾^(٢) .

وكل فرد منها مقدمة ليقوم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بحمل لواء الحمد يوم القيامة لينضوي تحته كل الذين قالوا في الدنيا ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(٣) وهو من أسرار تلاوة المسلمين لسورة الفاتحة في الصلاة ،

(١) سورة يونس ٦ .

(٢) سورة النساء ٤٨ .

(٣) سورة الفاتحة ٢ .

وهل هذا الإنضواء من الصراط المستقيم الذي تذكره سورة الفاتحة ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾^(١).

الجواب نعم لبيان نكتة عقائدية وهي أن مصاديق ﴿الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ من اللامتناهي سواء في الدنيا أو في الآخرة .
ويمكن تقسيم الصراط إلى قسمين :

الأول : الصراط المستقيم في الدنيا ، وهو المنهاج العام لبني آدم ، والضابطة التي تحكم عالم القول والفعل ، ويتقوم بالإيمان بالله وعبادته بالكيفية التي يريدّها ، قال تعالى ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ﴾^(٢) ، وقد وردت نصوص بخصوص مصاديق الصراط منها في القرآن والسنة .

وكل آية قرآنية وكل حديث نبوي بخصوص الصراط مدرسة في الهداية والصلاح ، قال تعالى ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾^(٣) ،
ليبين استجابة الله للمسلمين في دعائهم وتلاوتهم لآية ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾^(٤).

ومن الإعجاز في الآية أعلاه من سورة الحج أنها لم تقل (وان الله هاد المؤمنين) إنما ذكرت الذين آمنوا وهو أعم ، والنسبة بينهما العموم والخصوص المطلق فالذين آمنوا أعم من المؤمنين ، ويدخل فيهم المنافقون لذا فان تلاوة المنافقين والمنافقات قد تكون مقدمة وسببا لتوبتهم.

(١) سورة الفاتحة ٦.

(٢) سورة البينة ٥.

(٣) سورة الحج ٥٤.

(٤) سورة الفاتحة ٦.

ويمكن تقسيم الصراط في الدنيا تقسيماً استقرائياً إلى أقسام :
أولاً : الصراط المستديم ومنه الإيمان بالله ورسوله الذي يجب على كل إنسان ، وفي كل دقيقة من أيام حياته ، فان قلت هل يشمل وجوب الإيمان حال الإنسان وهو نائم ، الجواب نعم ، باستصحاب حال الإيمان قبل النوم ، ليكون هناك مصداق للتباين بين المؤمن والكافر الذي تذكره آية ﴿ مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَيْثَ مِنْهُ الطَّيِّبُ ﴾^(١).

ثانياً : الصراط الطارئ الذي يتجلى في اختيار قول أو فعل ، وعند الإبتلاء فلا بد من السعي فيه لمرضاة الله عز وجل وإجتباب الزلل والضلالة.

ثالثاً : الصراط في العبادات واتبانها بذات النهج الواجب وفق الكتاب والسنة ، ومن الإعجاز في رسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم اتيانه الفرائض بنفسه إماماً للمسلمين حتى صارت جلية واضحة عند عموم المسلمين والناس ووفق أحكام القرآن.

ليكون القرآن والسنة النبوية القولية والفعلية سبيلاً مباركاً لتوارث المسلمين سنن وصيغ العبادة إلى يوم القيامة ، قال تعالى ﴿ فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾^(٢).

رابعاً : الصراط في المعاملات بالتقيد بأحكام الحلال والتزهر عن الحرام كالربا والغصب ، وأيهما أكثر حاجة للعبد ، ويكون مصداقاً جلياً لقوله

(١) سورة آل عمران ١٧٩.

(٢) سورة الزخرف ٤٣.

تعالى ﴿فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾^(١)، الصراط في العبادات أم الصراط في المعاملات ،
الجواب هو الأول ، لذا تفضل الله عز وجل وجعل عبادات المسلمين
على وجوه .

ومنها الصلاة خمس مرات في اليوم ، ولا تجزي صلاة الأب عن ابنه
ولا العبد عن سيده ولا العامل عن الملك أو العكس ، إنما كل واحد منهم
مكلف تكليفاً عينياً بأداء الصلاة ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿فَأَمِنُوا
بِاللَّهِ﴾^(٢) وانحلال الأمر إذ يتوجه إلى كل مكلف ومكلفة.

ولقد فرض الله عز وجل الزكاة على الأغنياء حقاً في أموالهم ، ومع
هذا فان الفقير لا يستطيع أن يصلي حتى ركعة واحدة بدلاً عن الغني إنما
يقفان معاً في صفوف الصلاة.

ووقوف جماعة المسلمين في الصلاة صفاً وصفوفاً متراصة عصمة من
الإرهاب وإعلان عبادي يومي بالتبراً منه ، مفهوماً وفعلاً.
وهناك شواهد كثيرة في كل زمان بأن يكون الإمام من الفقراء ،
ويكون الغني مأموماً ويقف خلفه في الصلاة ، وهو راض ويتولى الإمام
الفقير التلاوة في الصلاة عن المأموم الغني والذي لا يركع ولا يسجد إلا
بعد أن يسجد الإمام.

ليكون هذا الترتيب والضبط في الصلاة دعوة للأغنياء للإقرار
بالعبودية لله عز وجل ، وفيه دعوة لهم لإخراج الزكاة والحقوق الشرعية ،
وتتجدد هذه الدعوة خمس مرات في اليوم بعدد الصلاة اليومية.

(١) سورة آل عمران الآية ١٧٩.

(٢) سورة آل عمران الآية ١٧٩.

إن إمامة الفقير للمسلمين في الصلاة في كثير من الأحيان من ذخائر الشرائع السماوية ، وهي ظاهرة في كل زمان وفي كل الأديان ، وفيها مسائل :

الأولى : إنها دعوة للناس جميعاً للإيمان بالله عز وجل والتصديق بالأنبياء.

الثانية : فيها زاجر للأغنياء عن القول ﴿إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ﴾^(١) ^(٢).

الثالثة : بيان موضوعية التقوى في مراتب الناس ، قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾^(٣).

الثاني : الصراط في الآخرة ، وهو من بديع صنع الله ، إذ يكون على النار ، ولكن لا تصله حرارتها ببديع قدرة الله ، وليس له هيئة ثابتة بل هو متغير في سعته وضيقه مع كل فرد يعبر عليه بحيث يعرف أهل المحشر حال كل إنسان من الإيمان أو الكفر بلحاظ سعة أو ضيق الصراط إذ يكون للمؤمن عريضاً واسعاً فيمر عليه كالبرق الخاطف ، أما الكافر يكون له الصراط كحد السيف فلا يستطيع العبور عليه ليهوى إلى جهنم ، وهو من مصاديق خاتمة الآية أعلاه ﴿وَقُولُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾^(٤) وتتجلى حقيقة بخصوص الذين ﴿قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾^(٥) في العبور على

(١) سورة آل عمران ١٨١.

(٢) أنظر الجزء السابع والثمانين بعد المائة الذي اختص بتفسير هذه الآية المباركة.

(٣) سورة الحجرات ١٣.

(٤) سورة آل عمران ١٨١.

(٥) سورة آل عمران ١٨١.

الصراط إذ يحرموا من نعمة عظمى وهو سعة الصراط والعبور عليه سريعاً ، تلك النعمة التي لا تتحقق إلا باتيان الفرائض العبادية ومنها الزكاة ، فأخراج العبد جزء يسيراً من المال الخاص بقصد القرية والذي غالباً ما يكون ٢.٥ ٪ أو ٥ ٪ من مجموع المال نهاية الحول أو إخراج مقدار الزكاة موسم الحصاد وسيلة وعلة لرؤية دافع الزكاة الصراط عريضاً واسعاً يوم الجزاء ، ولا يخشى الهوى والوقوع في النار.

وروي عن أنس ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إن على جهنم جسراً أدق من الشعر وأحد من السيف أعلاه نحو الجنة دحض مزلة بجنييه كالليب ، وحسك النار يحبس الله به من يشاء من عباده الزالون والزالات يومئذ كثير ، والملائكة بجانيه قيام ينادون اللهم سلم ، اللهم سلم فمن جاء بالحق جاز ، ويعطون النور يومئذ على قدر إيمانهم ، وأعمالهم فمنهم من يمضي عليه كلمح البرق ، ومنهم من يمضي عليه كمر الريح ، ومنهم من يعطى نوراً إلى موضع قدميه ، ومنهم من يحبو حبوا ، وتأخذ النار منه بذنوب أصابها ، وهي تحرق من يشاء الله منهم على قدر ذنوبهم حتى ينجو وتنجو أول زمرة سبعون ألفاً لا حساب عليهم ولا عذاب كأن وجوههم القمر ليلة البدر ، والذين يلونهم كأضواء نجم في السماء حتى يبلغوا إلى الجنة برحمة الله تعالى^(١).

وعن الإمام الباقر عليه السلام قال : لما نزلت هذه الآية ﴿وَجِيءَ

يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ﴾^(٢)، سئل عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: أخبرني الروح الأمين أن الله لا إله غيره إذا برز الخلائق وجمع الأولين والآخرين أتى بجهنم تقاد بألف زمام يقودها مائة ألف ملك من الغلاظ الشداد لها

(١) البيهقي / شعب الإيمان ١/ ٤١٩.

(٢) سورة الفجر ٢٣.

هدة وغضب وزفير وشهيق، وإنها لتزفر الزفرة، فلولا أن الله عزوجل أخرهم للحساب لاهلكت الجمع، ثم يخرج منها عنق فيحيط بالخلائق البر منهم والفاجر .

فما خلق الله عزوجل عبدا من عباده ملكا ولا نبيا إلا ينادي: رب نفسي نفسي، وأنت يا نبي الله تنادي: امتي امتي ثم يوضع عليها الصراط أدق من الشعرة، وأحد من السيف ، عليها ثلاث قناطر .

فأما واحدة فعليها الامانة والرحم، وأما ثانيها فعليها الصلاة، وأما الثالثة فعليها عدل رب العالمين لا إله غيره، فيكلفون الممر عليها فتحبسهم الرحم والامانة، فإن نجوا منها حبستهم الصلاة، فإن نجوا منها كان المنتهى إلى رب العالمين عزوجل، وهو قوله تبارك وتعالى ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبَلِإِصْرٍ﴾^(١)، والناس على الصراط فمتعلق بيد، وتزول قدم، ويستمسك بقدم، والملائكة حولها ينادون : يا حليم اغفر واصفح وعد بفضلك وسلم سلم، والناس يتهافتون في النار كالفراش، فإذا نجا ناج برحمة الله عزوجل مربها فقال: الحمد لله وبنعمته تتم الصالحات وتزكو الحسنات والحمد لله الذي نجاني منك بعد إياس بمنه وفضله إن ربنا لغفور شكور^(٢).

إن التذكير بصراط الآخرة مدرسة في الموعظة ، وتهذيب للنفس ، وإصلاح للسرائر ، وتنقية لعالم الأقوال والأفعال ، ودعوة للمسارعة في الخيرات بعيدا عن الظلم والبطش والتعدي .

(١) سورة الفجر ١٤.

(٢) البحار ٦٥/٨ .

الحج عرفة

لقد قَسَمَ الله عز وجل آتات الحياة الدنيا إلى أيام وليال ، وهو معجزة من الإرادة التكوينية لا تخطر على أذهان الناس في كيفيتها ودقتها ونظام تعاقب الليل والنهار لولا أنهم فتحوا أعينهم على هذه الآية العظمى التي تصاحبهم في مشارق الرض ومغاربها من جهات :

الأولى : آية النهار.

الثانية : آية الليل .

الثالثة : آية تعاقب الليل والنهار .

الرابعة : تقسيم ساعات النهار بلحاظ حركة الشمس من الشروق إلى الزوال إلى الغروب.

الخامسة : تقسيم الليالي بحسب إطلالة القمر وعمره ، وهيئته من حال الهلال إلى المحاق .

وجعل الله عز وجل أياماً مخصوصة تؤدي فيها مناسك وعبادات معينة منها شهر رمضان ، ومنها يوم عرفة ، وعن عبيد الله بن كريب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ما رؤي الشيطان يوماً هو فيه أصغر ولا أحقر ولا أذحر ولا أغيظ منه في يوم عرفة وما ذاك إلا لما رأى من تنزل الرحمة وتجاوز الله عن الذنوب العظام إلا ما رأى يوم بدر .

قيل : وما رأى يوم بدر يا رسول الله ، قال : أما إنه قد رأى جبريل ينزع^(١) الملائكة^(٢).

وحديث (الحج عرفة) روي عن عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَعْمَرَ الدِّيَلِيِّ يَقُولُ : شَهِدْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ وَقَفَ بِعَرَفَةَ فَأَتَاهُ نَاسٌ مِنْ أَهْلِ نَجْدٍ فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كَيْفَ الْحَجِّ

(١) ينزع الملائكة أي يكفهم يقال وزع إذا كف فهو وازع.

(٢) تفسير القرطبي ٤٠٩/٢.

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ الْحَجُّ حَجٌّ عَرَفَةٌ مَنْ جَاءَ قَبْلَ صَلَاةِ الْفَجْرِ مِنْ لَيْلَةٍ جَمَعَ تَمَّ حَجَّهُ أَيَّامُ مَنْى ثَلَاثَةٌ {فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ} ثُمَّ أَرْدَفَ خَلْفَهُ فَجَعَلَ يَنَادِي بِهِنَ^(١)، وَرَوَاهُ النَّسَائِيُّ^(٢)، وَصَاحِبُ الْمُسْتَدْرَكِ^(٣)، وَالْبَيْهَقِيُّ فِي السَّنَنِ الْكُبْرَى^(٤)، وَغَيْرِهِمْ.

ولم يرد هذا الحديث عن أهل البيت عليهم السلام وفي معتبرة ابن اذينة قال : سألت الإمام الصادق عليه السلام سألته عن قول الله عز وجل (الحج الأكبر) فقال : الحج الأكبر الموقف بعرفة ورمي الجمار ، ﴿وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾^(٥)، ولا بد من الوقوف في المشعر الحرام بينهما.

وعن عروة بن مضر بن أوس بن حارثة بن لام انه حج على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فادرك الناس وهم يجمع^(٦)، فانطلق إلى عرفات ليلا فافاض منها ثم رجع إلى جمع فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اتعبت نفسي وانصبت راحلتي فهل لي من حج فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من صلى معنا صلاة الغداة

(١) مسند أحمد ٢٢٢/٣٨.

(٢) سنن النسائي ٤٢٤/٢.

(٣) المستدرك على الصحيحين ٢٤٨/٤.

(٤) السنن الكبرى ١٧٣/٥.

(٥) سورة التوبة ٣.

(٦) أي في المشعر الحرام ، وفي الدعاء : اللهم هذا جمع.

ووقف معنا حتى نفيض وقد اتى عرفات قبل ذلك ليلاً أو نهارة فقد تم حجه^(١)، أي لابد من الجمع بين الوقوف في عرفة والمشعر الحرام. وأخرج الطبراني من طريق (خصيف، عن مجاهد، عن ابن عباس، لا أعلمه إلا قال:، قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: الحج عرفات)^(٢).

وخصيف بن عبد الرحمن أبو عون مولى لبني أمية أصله من إصطخر وتحول إلى حران.

وضعفه أحمد وغيره الجزري، ووثقه ابن معين وغيره، وقال ابن حجر (صديق سيء الحفظ خلط بآخره ورمي بالإرجاء)^(٣). (ومات خصيف سنة سبع وثلاثين ومائة)^(٤).

وعلى فرض صحة سند الحديث وهو المختار فإن الحديث يدل على أن ابتداء الحج من الوقوف بعرفة وأن الذي فاتته الوقوف بها نهار يوم التاسع من شهر ذي الحجة من بعد الزوال إلى الغروب أو ليلة العاشر منه فليس له حج، إذ أن الحديث النبوي ببيان وتفسير للقرآن، وقد قال الله تعالى ﴿فَإِذَا أَقَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ﴾^(٥).

والفاء في (فاذكروا) رابطة لجواب الشرط، و(اذكروا) فعل أمر يفيد الوجوب الذي ينحل على كل من وقف في عرفات ذكراً أو أنثى، نعم يجوز للنساء والضعفاء وكبار السن ومرافقوهم والذين يخشون الزحام، الإفاضة منه في الليل وقبل الفجر مع تحقق الوقوف به مع النية.

(١) البيهقي / السنن الكبرى ١١٦/٥.

(٢) الطبراني / المعجم الأوسط ٨٤/١٣.

(٣) تقريب التهذيب ١٩٣/١.

(٤) الطبقات الكبرى ٤٨٢/٧.

(٥) سورة البقرة ١٩٨.

وتفيد الفاء في الآية أعلاه التعقيب والتوالي فليس من فاصلة زمانية أو مكانية بين الوقوف في عرفات وبين الوقوف في المشعر الحرام وسمي بالحرام لحرمته أو لانه جزء من الحرم ، والذي يسمى أيضاً :

الأول : المشعر الحرام ، وهو الأصل لوروده في القرآن أسماً له.

الثاني : جمع .

الثالث : مزدلفة .

وأركان العمرة خمسة:

الأولى : النية.

الثانية : الإحرام.

الثالثة : الطواف.

الرابعة : السعي بين الصفا والمروة.

الخامسة : التقصير.

وأركان الحج سبعة:

الأولى : النية.

الثانية : الإحرام.

الثالثة : الوقوف بعرفات.

الرابعة : الوقوف بالمشعر.

الخامسة : الطواف.

السادسة : السعي بين الصفا والمروة.

السابعة : التقصير أو الحلق.

من أعمال الحج الواجبة السعي بين الصفا والمروة بعد الطواف بالكعبة وصلاة ركعتي الطواف ، إذ يطوف الحاج بالبيت الحرام سبعة أشواط بأن يجعل البيت إلى يساره ، ويبدأ من ركن الحج الأسود .

ومن الإعجاز أن وفد الحاج يطوفون بالكعبة على نحو دائري ، وهيئة الدوائر المتوازية بينما الكعبة مربعة الشكل ، أما السعي بين الصفا والمروة

سبعة أشواط فإن السعي والمشي من جبل الصفا إلى جبل المروة شوط ،
والسعي من المروة إلى الصفا شوط ، فيكون مجموع أشواط السعي على
قسمين :

الأول : أربعة أشواط من الصفا إلى المروة .

الثاني : ثلاثة أشواط من المروة إلى الصفا .

أختلف في ركنية السعي في الحج أو عدمها على جهات :

الأولى : السعي بين الصفا والمروة ركن لا يتم الحج أو العمرة إلا به ،
وبه قال المالكية والحنفية والشافعية والإمامية ، وتدل على الوجوب وجوه
منها :

الأول : الآية القرآنية أعلاه ووصف الصفا والمروة بأنهما من شعائر

الله ، والمراد ذات الصفا والمروة ، والسعي بينهما .

الثاني : قيل أن كون السعي بين الصفا والمروة من شعائر الله لا يعني

ركنيته ، وهذا صحيح ، ولكن تنمة الآية ﴿فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا﴾^(١) مع تعدد

معاني التطوع في المقام ، وتدل عليه إلى جانب البيان في السنة النبوية
القولية والفعلية تعدد معاني التطوع في المقام .

وإلى جانب البيوت التي كانت على الصفا والمروة ، فقد كان قبل

الإسلام صنم على الصفا وآخر على المروة .

(وأخرج سعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن

عامر الشعبي قال : كان وثن بالصفا يدعى أساف ووثن بالمروة يدعى نائلة

، فكان أهل الجاهلية إذا طافوا بالبيت يسعون بينهما ويمسحون الوثنيين ،

فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا : يا رسول الله إن الصفا

والمروة إنما كان يطاف بهما من أجل الوثنيين وليس الطواف بهما من

الشعائر! فأنزل الله { إن الصفا والمروة . . . } الآية . فذكر الصفا من أجل

الوثن الذي كان عليه ، وأُنْتُتْ المروة من أجل الوثن الذي كان عليه مؤثناً^{(١)(٢)}.

ولا ملازمة بين تسمية الصفا والمروة من جهة تذكير والتأنيث وبين الأوثان التي كانت عليهما ، ولعل في العبارة الأخيرة من الحديث أعلاه (فذكر الصفا..) تصحيف من النساخ ، إنما سبق اسم الصفا والمروة الجاهلية وأوثانها ولقانون وهو عدم إختيار أسماء الشعائر بأسماء الأوثان. وذات الحديث عن الشعبي وقد ذكره الطبري ليس فيه هذه الجملة قال حدثنا (محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب قال، حدثنا يزيد بن زريع قال، حدثنا داود، عن الشعبي: أن وثناً كان في الجاهلية على الصفا يسمى "إسافاً"، ووثناً على المروة يسمى "نائلة"، فكان أهل الجاهلية إذا طافوا بالبيت مسحوا الوثنيين. فلما جاء الإسلام وكُسرت الأوثان، قال المسلمون: إن الصفا والمروة إنما كان يُطاف بهما من أجل الوثنيين، وليس الطواف بهما من الشعائر! قال: فأنزل الله: إنهما من الشعائر، "فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما"^(٣).

(وقال عمر بن حبيش : سألت ابن عمر عن هذه الآية فقال : إنطلق إلى ابن عباس فإنه أعلم من بقي بما أنزل على محمد صلى الله عليه وآله وسلم ،

فأتيته فسألته فقال ابن عباس : كان على الصفا صنم على صورة رجل يقال له أساف،

وعلى المروة صنم على صورة امرأة تدعى نائلة،

(١) الدر المنثور ٣١٩/١.

(٢) خاتمة الحديث (فذكر الصفا من أجل الوثن الذي كان عليه ..) ليس في محله وفيه كلمة ساقطة من النساخ وإلا فإن تذكير الصفا وتأنيث المروة بالتنزيل والوحي بدليل ذكر اسميهما على أنهما من شعائر الله .

(٣) تفسير الطبري ٢٢١/٣.

وإنما ذكروا الصفا لتذكير الأساف وذكروا المروة لتأنيث نائلة. (١).

الثالث : ورود نصوص عديدة عن النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم منها عن (حبيبة بنت أبي بجران قالت : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يطوف بين الصفا والمروة والناس بين يديه وهو وراءهم وهو يسعى ، حتى أرى ركبتيه من شدة السعي يدور به إزاره ، وهو يقول : اسعوا فإن الله عز وجل كتب عليكم السعي) (٢) .

وورد هذا الحديث بستة طرق كلها ضعيفة ، إذ ورد عن طريق عبد الله بن المؤمل وهو ضعيف ، واستدل الشافعي بهذا الحديث على ركنية السعي في الحج ، وقد أسسنا قاعدة في علم الرجال وهي أن تعدد الطرق الضعيفة يعضد بعضها بعضاً ، بلحاظ أنها ميراث لا يفرط به .

الرابع : الأصل في مناسك الحج الوجوب ، وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ﴿خذوا عني مناسككم﴾ (٣) نعم المناسك على أقسام :

الأول : الركن .

الثاني : الواجب .

الثالث : السنة .

أن السعي بين الصفا والمروة عبادة تدفع عن النفس أسباب الحقد والكراهية ، وفيه إنقطاع إلى الله ، وبذل للجهد الفردي في سبيله ، فليس من واسطة بين العبد وخالقه إلا العبادة والذكر والسعي بعيداً عن القتال والإرهاب والخرق .

الثانية : السعي واجب ، وتركه يجبر بدم ، وقيل بأن وجوب الدم على من تركه كاملاً وليس سهواً ، ومنهم من قال بالتفصيل فاذا ترك أربعة

(١) الكشف والبيان للثعلبي ٢٨١/١ .

(٢) الدر المنثور ٣٢١/١ .

(٣) تفسير القرطبي ٧٢/١ .

أشواط من السعي أو أكثر لزمه دم ، وأن ترك أقل منها وجب عليه لكل شوط نصف صالح^(١) .

وبين الركن الواجب في الحج عموم وخصوص مطلق ، فكل ركن هو واجب وليس العكس ، ولا يصح الحج بترك الركن عمداً .

وفي السهو تفصيل وفي رسالتنا العملية : مناسك الحج ، مسائل :

(المسألة ٤٣٩ : المراد من الركن في العمرة والحج غير المراد منه في الصلاة ، ففي الصلاة بطلان العمل بترك الركن مطلقاً عمداً أو سهواً ، أو جهلاً أو غفلة ، أما في المقام فإن الترك العمدي للطواف والإحرام والسعي موجب للبطلان ، وهل يبطل بالترك السهوي وغير العمدي ، فيه تفصيل ، والبطلان وإن الجاهل كالعالم منسوب للأكثر ، والأقوى بخلافه لعمومات (الحج عرفة) ونحوه وإمكان التدارك ، وقاعدة نفي الحرج ، وحديث الرفع^(٢) .

والخلاف بين القول بركنية السعي أو وجوبه خلاف صغروي (عن الإمام الصادق عليه السلام قال: إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين حج حجة الاسلام خرج في أربع بقين من ذي القعدة^(٣)

حتى أتى الشجرة^(٤) فصلى بها ثم قاد راحلته حتى أتى البيداء فأحرم منها ، وأهل بالحج ، وساق مائة بدنة ، وأحرم الناس كلهم بالحج لا ينوون عمرة ، ولا يدرون ما المتعة ، حتى إذا قدم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مكة طاف بالبيت وطاف الناس معه ، ثم صلى ركعتين عند المقام واستلم الحجر ، ثم قال : " ابدأوا بما بدأ الله عز وجل به " فأتى الصفا فبدأ بها ثم طاف بين الصفا والمروة سبعا ، فلما قضى طوافه عند المروة قام

(١) الصاع من الخنطة أو الشعير نحو ثلاث كيلوات .

(٢) مناسك الحج / رسالتنا العملية ص ١٢٥ .

(٣) أي خرج من المدينة متوجهاً إلى مكة .

(٤) أي ميقات ومسجد الشجرة .

خطيباً فأمرهم أن يحلوا و يجعلوها عمرة ، وهو شئ أمر الله عز وجل به ، فأحل الناس وقال رسول الله صلى الله عليه وآله " لو كنت استقبلت من أمري ما استدبرت لفعلت كما أمرتكم " ولم يكن يستطيع أن يحل من أجل الهدى الذي كان معه ، إن الله عز وجل يقول : " ولا تخلقوا رؤسكم حتى يبلغ الهدى محله " (١) (٢) .

الثالثة : السعي بين الصفا والمروة سنة ، ونسب إلى ابن مسعود وابن عباس وأبي بن كعب وأنس ، ولفظ السنة في المقام لا يعني الإستحباب ، فالختان سنة ، وهو واجب .

ونسب إليهم أنهم كانوا يقرأون (أن لا يطوف بهما) وأنه مكتوب في مصحف ابن مسعود ، وهو ليس بقرآن إنما يكون بمرتبة الخبر . ولكل فريق دليله .

لقد أخبر الله عز وجل عن كون الصفا والمروة من شعائر الله ، ومع هذا فإن العرب في الجاهلية لم يعتنوا بقدسيتهما من جهات :
الأولى : بناء البيوت على الصفا وعلى المروة .

الثانية : نصب الأصنام والأوثان على كل من الصفا والمروة .

الثالثة : من يطوف بينهما بين الصفا والمروة يتمسح تبركا بالأوثان التي عليهما .

الرابعة : إتخاذ الصفا والمروة نوع سوق ، وجلب البضائع عند الصفا . فاعاد الإسلام مناسك الحنيفة ليحج الناس من مشارق ومغارب الأرض على ذات النهج الذي قام به إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام ، والنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وفيه توحيد للعبادات ، ومنع الخلاف فيها ، وما قد يؤدي إليه من الفرقة والخصومة ، ومن مصاديق

(١) سورة البقرة ١٩٦ .

(٢) البحار ٢١/٢٩٥ .

خلافة الإنسان في الأرض صدّ الناس عن الإرهاب ومن سبيل هذا العمل أداء المناسك العبادية .

وعن الإمام علي عليه السلام في حديث احتجاج إذ قال له أحد اليهود (فإن هذا إبراهيم قد تيقظ بالاعتبار على معرفة الله تعالى ، وأحاطت دلالاته بعلم الايمان به قال له علي (عليه السلام) لقد كان كذلك ، وأعطي محمد (صلى الله عليه وآله) افضل من ذلك قد تيقظ بالاعتبار على معرفة الله تعالى وأحاطت دلائله بعلم الايمان به ، وتيقظ إبراهيم وهو ابن خمس عشرة سنة ، ومحمد (صلى الله عليه وآله) كان ابن سبع سنين قدم تجار من النصارى فنزلوا بتجارتهم بين الصفا والمروة ، فنظر إليه بعضهم فعرفه بصفته ونعته وخبر مبعثه وآياته) ^(١).

ليثبت الذين كفروا عجزهم عن تعاهد شعائر الله والحفاظ على قدسية البيت الحرام ، فتفضل الله عز وجل وبعث النبي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم ليكون الصفا والمروة وما بينهما محلاً للعبادة والنسك ، قال تعالى في ذم الذين كفروا في المقام ﴿وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَائُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ﴾ ^(٢).

لقد كان دخول النبي صلى الله عليه وآله وسلم الأرقم بداية إفاضة البركة من جديد على المحل ، وبشارة تنزيهه من دنس الشرك ، وكان الصحابة خاصة والأنصار يتخرجون من الطواف بين الصفا والمروة لأن المشركين يطوفون بينهما ، فنزل قوله تعالى ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطُوفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ ^(٣).

(١) البحار ٢١/١٠.

(٢) سورة الأنفال ٣٤.

(٣) سورة البقرة ١٥٨.

وكان الآية تقول لهم أصبروا بأداء المناسك كاملة فان الفرج والفتح قريب ثم نزل قوله تعالى ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا﴾^(١).

وقد تجرأ المشركون فسألوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يجعل لهم جبل الصفا ذهباً كي يؤمنوا به ويصدقوا برسالته ، إنما هو من شعائر الله ، وقد تفضل الله عز وجل وجعل نفعه ذهباً متجدداً في كل سنة على أهل مكة وما حولها ، وهو من مصاديق تسميتها ﴿أُمُّ الْقُرَى﴾ بقوله تعالى ﴿وَلْتُنْذِرْ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا﴾^(٢).

لتقول الآية أعلاه لقريش لا تسألوا صيرورة جبل الصفا ذهباً ، فلو استجاب الله عز وجل لسؤالكم النبي صلى الله عليه وآله وسلم لصارت أمور :

الأول : الخصومة والقتال على الذهب .

الثاني : طمع الدول العظمى بجبل الذهب في الجزيرة ، ولا طاقة لقريش في صد دولة الروم في الشام أو مملكة الأكاسرة ، أو الجيوش التي في اليمن والحبشة .

الثالث : تلك القبائل التي نصرت قريش في حربهم وقتالهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم تقوم بغزو مكة لنهب الذهب وتكسيه بالفؤوس وقتل من يعارضهم من قريش .

الرابع : استحواذ قريش على الأطنان من الذهب مع نعتها للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بأنه ساحر ، ويدعون أنه جعل الجبل ذهباً بسحره .

(١) سورة التوبة ٢٨.

(٢) سورة الأنعام ٩٢.

الخامس : تعرض رجال وشباب قريش للقتل وسبي نساءهم من قبل الغزاة الطامعين ، وقد انتقم الله عز وجل من أبرهة وجيشه لأنه أراد هدم البيت الحرام ، قال تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَىٰ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴾^(١).

السادس : تعطيل تجارة قريش لاستيلاء القبائل والجيوش على مكة وعلى طريق القوافل ، بينما تفضل الله عز وجل على قريش بنعمة التجارة لتكون طريقاً للهداية والتصديق ببعثة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، قال تعالى ﴿ لَا يَلَاكُ قُرَيْشٌ * إِلَّا فِيهِمْ رَحْلَةُ الشَّاءِ وَالصَّيْفِ ﴾^(٢).

قانون تعدد البشارة بالنبي محمد ص سلام ورحمة

يمكن إنشاء قانون بخصوص معجزات النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم المتقدمة على زمانه ، ومنها الأخبار عن نبوته ويمكن تقسيم هذا الأخبار على وجوه :

الأول : إخبار آدم عليه السلام عن نبوة آدم عليه السلام.

الثاني : بشارة الأنبياء بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم.

الثالث : البشارات القرآنية ببعثة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، ومنها قول عيسى ﴿ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِيهِ مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴾^(٣).

الرابع : بشارات علماء أهل الكتاب والرهبان بالنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

لقد كانت هذه البشارات ذات نفع عظيم في إصلاح المجتمعات وتنمية ملكة الأمل الإيماني عند الناس وابتعاد شطر منهم عن عبادة الأوثان .

(١) سورة الفيل ١.

(٢) سورة قريش ١-٢.

(٣) سورة الصف ٦.

فمن معجزات النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن البشارات به حرب على الوثنية ومفاهيم الضلالة ودعوة للألفة بين الناس ، ونبذ للإرهاب والتعدي والغزو والقتال بدليل أن يهود المدينة كانوا إذا قاتلهم الأوس والخزرج استفتحوا عليهم ببعثة نبي آخر الزمان وأنه ينجيهم من الشرور قال تعالى ﴿وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾^(١) وسيأتي :

الأول : قانون بشارات الأنبياء بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم شاهد على أنه يدعو الله عز وجل بالحجة والبرهان ، ولا يقوم بالغزو أو القتال.

الثاني : قانون منافع وآثار البشارات بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم وكيف أنها حصانة للمجتمعات من الإرهاب .

الثالث : قانون دلالة البشارات بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم.

(وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : الأنبياء أخوات لعلات ، أمهاتهم شتى ، ودينهم واحد ، وإنني أولى الناس بعيسى بن مريم ، لأنه لم يكن بيني وبينه نبي ، وإنه خليفتي على أمتي ، وأنه نازل ، فإذا رأيتموه فاعرفوه ، رجل مربوع إلى الحمرة والبياض ، عليه ثوبان ممصران ، كأن رأسه يقطر وإن لم يصبه بلل ، فيدق الصليب ، ويقتل الخنزير ، ويضع الجزية ، ويدعو الناس إلى الإسلام ، ويهلك الله في زمانه الملل كلها إلا الإسلام ، ويهلك الله في زمانه المسيح الدجال .

ثم تقع الأمانة على الأرض حتى ترتع الأسود مع الإبل ، والنمار مع البقر ، والذئب مع الغنم ، وتلعب الصبيان بالحيات لا تضرهم ، فيمكث أربعين سنة ، ثم يتوفى ، ويصلي عليه المسلمون ويدفونونه)^(٢).

(١) سورة البقرة ٨٩.

(٢) الدر المنثور ٣/٢٨٩.

إن ذكر الله عز وجل باعث على فعل الخيرات ، والمسارة لعمل الصالحات قال تعالى ﴿رَجَالٌ لَا تُلِهِمْ بَاجِرَةٌ وَلَا يَبِغُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ * لِيَجْزِيَ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾^(١) .

لذا فمن خصائص آية البحث وذمها للذين كفروا وبخلهم دعوتهم للتخلص من الشح والبخل .

ومن إعجاز القرآن توجهه بالذم لذات الفعل القبيح والمنهي عنه ، وليس لأعيان الأشخاص الذين يرتكبون ذات الفعل ، وفيه دعوة لهم للتنزه عن القبائح والفعل القبيح ، فبينما ذكر القرآن أبا لهب بالاسم في ذمه وقبل الهجرة النبوية فقال تعالى ﴿تَبَّتْ يُدَا أَبِیْ لَهَبٍ وَتَبَّ﴾^(٢) لشدة محاربة وإيذاء أبي لهب للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم مع أنه عمه صنو أبيه^(٣) .

فلم يذكر القرآن اسم عبد الله بن أبي سلول رأس النفاق مع تكرار أذاه العام ومحاولته الإضرار بالنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم والمسلمين ، ففي معركة أحد وعندما خرج النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومعه ألف من أصحابه لملاقاة ثلاثة آلاف من المشركين إنخزل عبد الله بن

(١) سورة النور ٣٧-٣٨ .

(٢) سورة المسد ١ .

(٣) صنو أبيه أي لا تفاوت بينهما لإرادة المماثلة بينهما ، وقال تعالى ﴿وَزَرَعٌ وَمَخِيلٌ

صِنَوَانٌ وَغَيْرُ صِنَوَانٍ﴾ سورة الرعد ٤ .

أبي سلول بثلاثمائة منهم وسط الطريق ، وهو يقول لهم (والله ما ندري علام نقتل أنفسنا هنا) ^(١).

وكان عبد الله بن أبي هذا رئيس قومه الخزرج ، واتفق الأوس والخزرج قبل قدوم النبي صلى الله عليه وآله وسلم عليهم على تنويجه ملكاً على يثرب لمنع الخصومة والإقتال بينهم ، وكانوا يصنعون له التاج ليكون أميراً عليهم .

وهل كان هذا التتويج وسيلة لقطع الطريق على هجرة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ويعة الأنصار له خاصة وأن منتديات يثرب كانت تذكر أنها هجرة نبي آخر زمان وأن أيامه أطلت ، وكان بعض الرهبان يخبر أن مولد النبي مكة وأنه قد ولدته أمه .

المختار ، نعم ، ولكن لا بد من قرائن ودلائل تدل على هذا الأمر . ويمكن تسمية الحياة الدنيا (دار البشارة بالأنبياء) إذ صاحبت هذه البشارة آدم في هبوطه إلى الأرض ، وصار المؤمنون في كل زمان يتوارثون هذه البشارة ، وهذا التوارث على شعبتين :

الأولى : تلقي البشارة بالنبوة بالتصديق .

الثانية : نقل البشارة إلى الذين من بعدهم والحرص على بقائها تركة للأجيال .

ومن بديع صنع الله في المقام إختتام هذه البشارات ببعثة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وبقاؤها بالذات والموضوع إرثاً عقائدياً عند المسلمين وفي الكتب السماوية التوراة ، والإنجيل ، والقرآن ، لاتحاد سنخية البشر في تلقي البشارات ، بلحاظ أن كل بشارة منها نعمة عظيمة ينتفع منها الناس في كل زمان ، ومن رشحات هذه النعمة نشر شآبيب المودة بين الناس.

والإمتناع عن الغزو والإقتال ، ومن خصائص البشارة أمور :

الأول : تنمية ملكة الصبر والرضا في النفوس .

الثاني : البعث على الأمل والرجاء .

الثالث : التوجه إلى الله عز وجل بالدعاء لسؤال مسائل :

الأولى : تنجز وتحقيق البشارة .

الثانية : تقريب البشارة ومصدقها .

الثالثة : صرف الموانع التي تحول دون البشارة .

الرابعة : تعاهد البشارة ، نصاً وموضوعاً ودلالة ، والحرص على عدم

تحريفها ، قال تعالى ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُون﴾^(١).

الخامسة : إشاعة البشارة فمن منافع هذه الإشاعة إقرار الناس بأن

مقائيد الأمور بيد الله عز وجل ، وأنه سبحانه يريد للناس الخير ، ويهديهم إليه ، ويسر سبله بفضله ولطفه وإحسانه .

السادسة : البشارة ببعثة الأنبياء والتزليل سور الموجبة الكلية للألفة بين

الناس جماعات وطوائف وقبائل وبلدانا ، وبرزخ دون الإرهاب والإقتال .

السابعة : تلقي البشارة بالنبوة بالتصديق باب للرزق ومقدمة للتوالي

فضل الله عز وجل على الناس .

ومن الآيات أن البشارة بالنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم لم

تنحصر بالإخبار عن رسالته إنما جاءت بالإخبار عن كثرة أتباعه وتحقيق النصر له .

ففي معركة بدر وعندما طلعت جحافل المشركين بخيلهم وخيلائهم

والنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في ثلة من أصحابه ، رفع يديه

بالدعاء وقال : اللَّهُمَّ هَذِهِ قُرَيْشٌ جَاءَتْ بِخَيْلَائِهَا وَفَخَرِهَا ، جَاءَتْ تَحَادُّكَ

، وَتُكَذِّبُ رَسُولَكَ ، وَقَامَ وَرَفَعَ يَدَيْهِ وَاسْتَنْصَرَ رَبَّهُ وَقَالَ اللَّهُمَّ أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي ، اللَّهُمَّ إِنِّي أُنْشِدُكَ عَهْدَكَ وَوَعْدَكَ^(١).

وفي يوم فتح مكة (أخذ رسول الله مفتاح البيت من عثمان بن أبي طلحة وفتح الباب بيده وستره ثم دخل البيت فصلى فيه ركعتين ثم خرج فأخذ بعضادتي الباب، فقال لا إله إلا الله وحده لا شريك له، أنجز وعده ونصر عبده وغلب الأحزاب وحده، فله الحمد والملك لا شريك له، ثم قال: ما تظنون وما أنتم قائلون ؟

قال سهيل: نظن خيراً ونقول خيراً، أخ كريم وابن عم كريم وقد ظفرت.

قال: فإني أقول لكم كما قال أخي يوسف: لا تثريب عليكم اليوم، ثم قال: ألا كل دم ومال ومأثرة في الجاهلية فإنه موضوع تحت قدمي هاتين إلا سداثة الكعبة وسقاية الحاج فإنهما مردودتان إلى أهليهما^(٢)، وفيه دعوة للألفة والمحبة ونبد الإرهاب لإظهار النبي صلى الله عليه وآله وسلم العفو عند المقدرة .

قانون سنن الملائكة تأديب للناس

الحمد لله الذي رزق الإنسان الخلافة في الأرض وهي نعمة لم ينلها أي نوع من أنواع المخلوقات ، فمع عظيم منزلة الملائكة عند الله ، وانقطاعهم الى التسبيح ، وهناك من الملائكة ما يتصف بصبغة خاصة في العبادة تتجلى بالإنقطاع التام لله عز وجل ، ومما ورد عن النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في عبادة الملائكة وجوه :

(١) زاد المعاد ٣/١٥٣.

(٢) تاريخ يعقوبي ١/١٢٧.

الأول : عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
أذن لي أن أحدث عن ملك قد مرقت رجلاه الأرض السابعة ، والعرش
على منكبيه وهو يقول : سبحانك أين كنت وأين تكون^(١).

الثاني : عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
أذن لي أن أحدث عن ملك من ملائكة الله من حملة عرشه ما بين
شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبع مائة عام^(٢).

الثالث : عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم : تفكروا في مخلوقات
الله ، ولا تفكروا في ذات الله ، فإن الله خلق ملكا ما بين شحمة أذنه إلى
عاتقه مسيرة ثلاثمائة سنة^(٣).

الرابع : عن حكيم بن حزام قال : بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم
بين أصحابه ، إذ قال لهم : هل تسمعون ما أسمع ، قالوا : ما نسمع من
شيء . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إني لأسمع أطيظ السماء ،
وما تلام أن تتط ، وما فيها موضع شبر إلا وعليه ملك ساجد أو قائم^(٤).

الخامس : في قوله تعالى ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^(٥) ، قال الإمام
الصادق عليه السلام : خلق الله الملائكة مختلفة ، وقد رأى رسول الله صلى
الله عليه وآله جبرئيل وله ستمائة جناح على ساقه الدر مثل القطر على
البقل ، قد ملأ ما بين السماء والأرض . وقال : إذا أمر الله ميكائيل بالهبوط
إلى الدنيا صارت رجله اليمنى في السماء السابعة ، والآخرى في الأرض
السابعة ، وإن لله ملائكة أنصافهم من برد وأنصافهم من نار ، يقولون : يا

(١) الدر المنثور ٤٩١/٨ .

(٢) الكشف والبيان ٩٧٤/١١ .

(٣) تفسير ابن كثير ٤٦٦/٧ .

(٤) تفسير ابن كثير ٣٣٦/٥ .

(٥) سورة فاطر ١ .

مؤلف بين البرد والنار، ثبت قلوبنا على طاعتك. وقال: إن لله ملكا بعد ما بين شحمة أذنه إلى عينيه مسيرة خمسمائة عام خفقان الطير. وقال: إن الملائكة لا يأكلون ولا يشربون ولا ينكحون، وإنما يعيشون بنسيم العرش، وإن لله ملائكة ركعا إلى يوم القيامة، وإن لله ملائكة سجدا إلى يوم القيامة^(١).

ترى لماذا ذكر النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أوصاف الملائكة في إنقطاعهم للعبادة فيه وجوه :

الأول : إنه من الشواهد على إخبار الله عز وجل للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بعلوم من غيب السموات مما يدل على موضوعية أحوال أهل السماء في إصلاح أهل الأرض ، فاذ قال الجاحدون بفريضة الزكاة كما في التنزيل ﴿إِنَّ اللَّهَ فَتِيرٌ وَخَسٌّ أَغْنِيَاءُ﴾، ذكر النبي جانبا من أخبار أهل السماء بما فيه رد على هؤلاء الجاحدين ، وعبرة وموعظة للناس، ويؤدي ذكر هذه الأخبار على لسان النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى سحق الناس على الكفار الجاحدين القائلين ﴿إِنَّ اللَّهَ فَتِيرٌ﴾ ويمنع من تفشي هذه المقولة ونحوها بين الناس ، وعن النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم قال : أدبني ربي فأحسن تأديبي^(٢).

ويأتي تأديب الناس ، وهدايتهم إلى الإقرار بالعبودية لله ، والتسليم بأنه هو الغني ، وأن غناه مطلق بالتنزيل ، ومنهاج الأنبياء ومواعظ الحياة الدنيا.

وإخبار القرآن والسنة النبوية عن أحوال الملائكة وتنقل هذه الأخبار الإنسان في تفكيره إلى عالم الملكوت ، وتبعث الناس على التدبر ببديع

(١) البحار ١٧٤/٥٦.

(٢) تفسير الرازي ٤٣٣/٣ .

صنع الله ، وفيه تنمية للملكة حب الله وإنصراف طوعي وقهري عن الإرهاب وزاجر عن مقدماته.

ومن الآيات القرآنية التي تدل على حسن عبادة وسمت الملائكة وطاعتهم لله سبحانه :

الأولى : قوله تعالى ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ * رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِيَ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (١).

الثانية : قوله تعالى ﴿فَإِنْ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ﴾ (٢).

الثالثة : قوله تعالى ﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَنْقَطِرْنَ مِنْ فَوْقِنَا وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا إِنْ أَلَّ اللَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (٣).

(١) سورة غافر ٧-٩.

(٢) سورة فصلت ٣٨.

(٣) سورة الشورى ٥.

الرابعة : قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسَّسُ بِهِ نَفْسُهُ وَخِشُّ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ * إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ * مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ (١).

الخامسة : قوله تعالى ﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ * يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ (٢).

السادسة : قوله تعالى ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ (٣).

السابعة : قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ (٤).

الثامنة : قوله تعالى ﴿فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِ مِنْ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ (٥).

وفي نزول الملائكة مدداً للمسلمين في معركة بدر وأحد والخنديق وحنين تأديب للناس وزجر للكفار ومنع من الظلم والتعدي ، قال تعالى ﴿سَاءَ مَثَلًا

(١) سورة ق ١٦-١٨.

(٢) سورة الأنبياء ١٩-٢٠.

(٣) سورة النبأ ٣٨.

(٤) سورة التحريم ٦.

(٥) سورة الأنفال ٩.

الْقَوْمَ الَّذِينَ كَذَبُوا بَيِّنَاتِنَا وَأَنْفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ ﴿١﴾ ، وفيه شاهد على عناد وإصرار الذين كفروا على الجحود مع تجلي معجزات النصر للنبي محمد صلى الله عليه وآله والمسلمين في معارك الإسلام بمعجزة من عند الله عز وجل .

وفيه برهان حسي حاضر وهو أن الله عز وجل هو الغني الذي يجعل أوليائه أعزة وأغنياء بأن سخر ويسخر الملائكة لنصرتهم قال تعالى ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبَّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأَلْتَنِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَأَصْرَبُوا فُوقَ الْأَعْنَاقِ وَأَصْرَبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ (٢).

ليبان قانون وهو أن منافع نزول الملائكة لنصرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه أعم من أن ينحصر بميدان المعركة أو الجانب الدفاعي إنما يشمل الهداية إلى سبل الإيمان ونبذ مفاهيم الكفر والضلالة .

وفي خبر معركة بدر قال ابن عباس : بينما رجل من المسلمين يشتد في أثر رجل من المشركين أمامه إذ سمع ضربة بالصوت فوقه وصوت الفارس يقول : أقدم حيزوم إذ نظر إلى المشرك أمامه ، فخر مستلقياً فنظر إليه فإذا هو قد خطم وشق وجهه كضربة السوط ، فاحضر ذلك أجمع .

فجاء الأنصاري فحدث ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

فقال : صدقت ، ذاك من مدد السماء الثالثة فقتلوا يومئذ سبعين

وأسروا سبعين (٣).

وحيزوم اسم فرس ملك من ملائكة السماء الثالثة الذين نزلوا للنصرة

يومئذ .

(١) سورة الأعراف ١٧٧.

(٢) سورة الأنفال ١٢.

(٣) الدر المنثور ٤/٤١٩.

ولم يختص حضور الملائكة لنصرة الأنبياء بالنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بل هناك شواهد عديدة في تاريخ النبوة والرسالات لهذه النصرة والإنقاذ من الجبارين الذين عتوا في الأرض ، قال تعالى ﴿وَلَا تَعْتَوْا﴾^(١) فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ.

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ : لَمَّا أَغْرَقَ اللَّهُ فِرْعَوْنَ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ فَقَالَ جَبْرِيلُ يَا مُحَمَّدُ فَلَوْ رَأَيْتَنِي وَأَنَا أَخْذُ مِنْ حَالِ الْبَحْرِ^(٢) فَادُسُّهُ فِي فِيهِ^(٣) مَخَافَةً أَنْ تُذَرِّكَهُ الرَّحْمَةُ^(٤).

وتدل كل واقعة في قصص الأنبياء على غنى واستغناء الله عز وجل عن الخلائق وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿نَحْنُ نُقْصُصُ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾^(٥).

فمن معاني الحسن في الآية أنها تحول دون قبيح القول ، ومنه نسبة الفقر إلى الله ﴿إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ﴾.

فان قلت قد قاله جماعة ، الجواب إنهم عدد قليل من الناس ، ونفر من أرباب الأموال ، ونزلت الآية أعلاه متممة لما في هذه القصص ، كما أنها تذكر موضوع هذا القول على نحو الحصر والتعيين ليكون من مفاهيم أحسن القصص أنها عامة في موضوعها .

(١) سورة البقرة ٦٩.

(٢) حال البحر : أي الطين الأسود المتغير.

(٣) فادسه في فيه : أي أجعل الطين في فم فرعون.

(٤) سنن الترمذي ٣٦٩/١١.

(٥) سورة يوسف ٣.

ومن حسن قصص الأنبياء التضاد بين سنن وسيرة الأنبياء وبين العنف والإرهاب ، وهل ذم قول الذين قالوا ﴿إِنَّ اللَّهَ فَتِيرٌ﴾ من أحسن القصص أم أنه خارج بالتخصص أو التخصيص ، المختار أنه ليس منها ، إنما لبيان حال طائفة من الناس مصاحبة لنزول آيات القرآن وفريضة الزكاة ، ويستقرأ قصص القرآن ما ينتفع به في تهذيب المنطق وإصلاح النفوس ، وسيادة مفاهيم الإيمان في الأرض .

لقد ساهمت قصص القرآن في فتح مكة وإزاحة الأصنام من داخل الكعبة ومن حولها ، لأن هذه القصص تبين أموراً :
الأول : قبح الكفر.

الثاني : سوء عاقبة الكفر ، قال تعالى ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾^(١).

الثالث : الحسن الذاتي للإيمان .

الرابع : نصر الأنبياء والمؤمنين .

الخامس : وجوب عبادة الناس لله عز وجل ، إذ تهدي قصص القرآن إلى العبادة والنسك والطاعة والإنقياد لأوامر الله عز وجل ، مع الرغبة بمعرفة الأحكام فيؤديها المؤمن طوعاً وبقصد القربة إلى الله .

السادس : من مصاديق قوله تعالى ﴿وَرَزَّكْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيَانًا لِّكُلِّ

شَيْءٍ﴾^(٢) ، توثيق القرآن للواقع والأحداث ، لتكون شاهداً على فترة النبوة ، وأيام الحياة الدنيا ، بما يهدي إلى الرشد والصلاح ، والإعراض والنفرة من الظلم والجور والإضرار بالآخرين بغير حق.

(١) سورة الأنعام ١١.

(٢) سورة النحل ٨٩.

ومن معاني ورود قصص الأنبياء في القرآن حب الله عز وجل لهم وإكرامه لهم ، ودعوة للإقتداء بهم في القول والفعل من وجوه:

الأول : التسليم بان الله هو الغني الذي بعث الأنبياء ﴿مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ﴾^(١) ، ثم تفضل وذكر قصصهم في القرآن ثناء وشكراً منه تعالى لهم .

الثاني : التنزه عن مفاهيم الجحود والضلالة.

الثالث : إتيان المسلمين الأفعال والسنن التي جاء بها الأنبياء وكل فرد منها يدل على التسليم بان الله هو الغني الحميد.

الرابع : دعوة المؤمنين لإختيار الإحتجاج وإقامة البرهان مع الغير والإمتناع عن العنف إذ يدل قوله تعالى ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾^(٢) ، في مفهومه على عدم الحاجة إلى الدعوة إلى الله بالشدة والخرق وقد يكون ضررها أكثر من نفعها.

الخامس : اتخاذ صبر الأنبياء على الأذى في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أسوة حسنة ، وهو من منافع (أحسن القصص) فمن الناس من هو مجبول على معاداة من يكشف له بطلان نهجه ، وعلى ضلالة إتباع الهدى ، ومنهم من يتلقى الحجة والنصيحة والبرهان بالرضا والقبول ، فعندما جاء الوحي إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وغطه وضمه جبرئيل ثلاث مرات ثم قال له ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾^(٣) ، رجع النبي صلى

(١) سورة البقرة ٢١٣.

(٢) سورة النحل ١٢٥.

(٣) سورة العلق ١-٥.

الله عليه وآله وسلم إلى خديجة ، وفؤاده يرتجف وقال : زملوني زملوني) وصارت خديجة تطمئنه وقالت له : أبشر فوالله لا يخزيك الله أبداً؛ إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكل، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق^(١).

ثم انطلقت به إلى ورقة بن نوفل وهو ابن عمها لحناً، وكان قد تنصر في الجاهلية ، فلما عرض عليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم ما رآه ، قال : ورقة : هذا الناموس الذي أنزل على موسى ، يا ليتني فيها جذع ، ليتني أكون حياً حين يخرجك قومك ، فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} «أومخرجي هم ، فقال ورقة : نعم لم يأت رجل قط بما جئت به إلا عودي وأوذي ، وإن يدركني يومك أنصرك نصرأ مؤزرأ ، ثم لم ينشب ورقة ان توفي وفتر الوحي فترة^(٢).

السادس : بيان الصلة بين الملائكة والأنبياء من جهات:

الأولى : الوحي ونزول الملائكة بآيات التنزيل على الأنبياء.

الثانية : دفع الملائكة الضرر عن الأنبياء بأذن الله.

الثالثة : نصرة الملائكة للأنبياء ، وفي التنزيل ﴿إِذْ يَقُولُ الْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ

يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزِلِينَ﴾^(٣).

الرابعة : لجوء الأنبياء للملائكة في السؤال والجواب.

الخامسة : إعانة الملائكة للأنبياء في تبليغ رسالاتهم ، وفي تأديب الناس

وحملهم على إتقان الواجبات ، والإمتناع عن المعاصي والسيئات ، ونزول الملائكة إلى الأرض وإعانتهم للأنبياء ، وبغضهم وصددهم للذين كفروا من

(١) تفسير ابن كثير ٤٢٦/٨.

(٢) الكشف والبيان ١٥٦/١٤.

(٣) سورة آل عمران ١٢٤.

الشواهد على الصلة والتداخل بين العالم العلوي والعالم السفلي بمشيئة ورحمة من الله عز وجل ، وهو من مصاديق غنى الله .

ومع شأن وقوة الأنبياء فانهم لم يقولوا أنهم أغنياء ، إنما كانوا يقرون بالعبودية والخضوع لله عز وجل ، قال تعالى ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾^(١).

ولو تدبر الكفار الجاحدون بسيرة وسنخية الملائكة لما أعرضوا عن الدعوة إلى الحق والهدى لأن عدد الملائكة لا تحصىه الخلائق ، فلا يعلم عددهم إلا الله عز وجل ، وكل ملك هو جندي من جنود الله وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾^(٢)، ومن مصاديق كون الملائكة جنوداً لله عمارتهم السموات بالعبادة والذكر والتسبيح ، وإعانتهم الناس في سبل الرشاد ، ومن سيرة الملائكة احتجاجهم على جعل الإنسان ﴿فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾^(٣)، إذ قالوا ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾^(٤)، وفيه تأديب للناس من وجوه :

الأول : إكرام الله للملائكة باخبارهم عن خلق الناس ، مما يدل بالدلالة التضمنية على وجود الملائكة قبل الناس .

الثاني : الشأن الرفيع للملائكة عند الله إذ أحاطهم علماً بأنه سيخلق ﴿فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾^(٥)، وإن كان معانيه أنه مقدمة لتسخير الملائكة لآدم

(١) سورة الأنبياء ٢٦.

(٢) سورة المدثر ٣١.

(٣) سورة البقرة ٣٠.

(٤) سورة البقرة ٣٠.

(٥) سورة البقرة ٣٠.

عليه السلام كما في قوله تعالى ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾^(١).

الثالث : تزكية الملائكة لأنفسهم ، وتفاخرهم بالعبودية والخضوع التام لله عز وجل ، ومن خصائص الملائكة التصور بأي هيئة حسنة ، وقطع آلاف الكيلو مترات بطرفة عين بفضل من الله عز وجل فليس بين استجابة الله عز وجل لدعاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم يوم معركة بدر ونزول الملائكة ثمة وقت ، قال تعالى ﴿فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِئَةِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِّينَ﴾^(٢) ، ومع هذا فانهم لن يقارنوا بينهم وبين الناس بعظيم الخلقة ، وطول أعمار الملائكة ونحوه إنما ذكروا تسييحهم وذكرهم الله عز وجل ، لبيان موعظة للمؤمنين والناس وهي أن موضوع التفاخر هو الذكر والتسييح ، والذي يدل بالدلالة التضمنية على الحرص على الإمتناع عن إيذاء الناس.

(قيل لأشعب: طلبت العلم، وجالست الناس، ثم تركت، فلو جلست لنا فسمعنا منك، قال: نعم فجلس لهم فقالوا: حدثنا، فقال: سمعت عكرمة يقول: سمعت ابن العباس يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: "خلتان لا تجتمعان في مؤمن.. " ثم سكت، فقالوا: ما الخلتان؟

فقال: نسي عكرمة واحدة ونسيت أنا الأخرى.)^(٣).

وكان أبو أيوب الموراني صاحب المنصور ، وهو سليمان بن أبي سليمان الموراني مولى بني سليم (إذا دعاه المنصور يصفر ويرعد، فإذا

(١) سورة البقرة ٣٤.

(٢) سورة الأنفال ٩.

(٣) المنتظم ٤٢/٣.

خرج من عنده تراجع لونه، فقيل له: إنا نراك مع كثرة دخولك إلى أمير المؤمنين وأنسه بك إذا دخلت إليه ترعد، فقال: مثلي ومثلكم في هذا كمثل بازي وديك تناظرا، فقال البازي للديك: ما أعرف أقل وفاء منك، فقال: وكيف ذلك.

فقال : تؤخذ بيضة ويحضنك أهلك وتخرج على أيديهم فيطعمونك بأكفهم حتى إذا كبرت صرت لا يدنو منك أحد إلا طرت هاهنا وهاهنا وصحت، فإذا علوت حائط دار كنت فيها سنين طرت منها وتركتها وصرت إلى غيرها. وأنا أؤخذ من الحبال وقد كبرت فأطعم الشيء اليسير وأؤنس يوماً أو يومين ثم أطلق على الصيد فأطير وحدي وأخذه وأجيء به إلى صاحبي.

فقال له الديك : ذهبت عنك الحجة أما لو رأيت بازياً في سفود^(١)، ما عدت إليهم أبداً، وأنا في كل وقت أرى السفافيد^(٢)، مملوءة ديوكاً وأبيت معهم، فأنا أكثر وفاء منك .

ثم قال : ولو عرفتم من المنصور ما أعرف لكنتم أسوأ حالاً مني عند طلبه إياكم^(٣).

وكان أصحاب النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم قرييين منه ، ويحدثهم وينصت إليهم ، ولا يخشون منه ، وحتى المنافقين كانوا مطمئنين من جهة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأوامره ، وكانوا لا يخافون معاقبته لهم.

ومن خصائص المؤمن أنه أمان لمن حوله ، لا يرجون منه إلا الخير وإن كانوا على غير ملته ، وقد يعرضون عن دعوته إلى الحث وأمره بالمعروف

(١) السفود : بتشديد الفاء ، الحديدية التي يشوى بها اللحم.

(٢) السفافيد : جمع سفود.

(٣) المنتظم ٤٢/٣.

ونهي عن المنكر لكنهم يكبرون له هذه الدعوة وحسن القول والإبتعاد عن الخرق والظلم والإرهاب والتعدي.

وفي قوله تعالى ﴿وَخَفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(١)، وقوله تعالى ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِظَ الْقَلْبُ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾^(٢)، ذكر في معنى مفهوم المخالفة في الآية أن غير المؤمنين لا يخفض لهم الجناح ، ولا يلاقون إلا بالغلظة والقسوة ولا دليل عليه لأن القدر المتيقن من مفهوم المخالفة في الآية هم ذات المؤمنين الذين ذكرتهم الآيتان بأن لا يعاملوا بالشدة والعنف وفضاظة الأخلاق لإتحاد الموضوع .

وقال لقمان الحكيم : ثلاثة لا تعرفهم إلا عند ثلاثة: الحليم عند الغضب، والشجاع عند الخوف، والأخ عند حاجتك.
وقال لابنه : إذا أردت أن تخالط رجلاً فأغضبه ذلك، فإن أنصفك وإلا فاحذره^(٣).

لقد ذكر الملائكة في احتجاجهم خصلتين يتصفون بها على نحو العموم الإستغراقي وهما :

الأولى : التسييح لله .

الثانية : تقديس مقام الربوبية .

(١) سورة الشعراء ٢١٥.

(٢) سورة آل عمران ١٥٩.

(٣) الرسائل ٤٠/١.

فليس من ملك إلا ويتصف بهاتين الخصلتين ، وفيه دعوة للناس في أجيالهم المتعاقبة للإقتداء بهم ، ونبذ الإرهاب من منازل الإيمان أو في محاربتة .

وهل اتصف الأنبياء بذات الخصال التي يتصف بها الملائكة المختار نعم ، مع التباين من جهة الكم والكيف بلحاظ سنخية الخلق ، فالملك يسجد السنوات المتتالية من غير ملل أو كلل أو تعب ، ولا يحتاج إلى الطعام والشراب فذات التسييح والسجود غذاء له .

قانون معجزة بركة رضاعة النبي محمد (ص) مقدمة للتصديق برسالته

لقد أشرقت الأرض بولادة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وفي الحديث أن أمه رأت حيت حملت به (كأن نوراً خرج منها أضاءت له قصور الشام)^(١) .

لقد إقترنت البركة بولادة النبي صلى الله عليه وآله وسلم لتصاحبه حيا وميتا ، ونزول الخير والبركة من جهات :
الأولى : مصاحبة البركة للوحي .

الثانية : نزول الفيض مع التنزيل وبعثة الأنبياء ، وتجلت البركة بولادة النبي صلى الله عليه وآله وسلم في شهر ربيع الأول من عام الفيل الموافق شهر آب لسنة ٥٧١ م و ٥٣ ق الهجرة ، وفي مظاهر البركة أيضاً تجليات في رضاعته عند بني سعد ، لقد كان من عادة أشراف قريش إرسال أبنائهم الرضع إلى البادية لإرضاع نساء البادية لهم ، وقضاء أيام الطفولة الأولى فيها لوجوه :

الأول : استنشاق الهواء النقي والنسيم العذب .

الثاني : الإبتعاد عن المدينة وحال الأوبئة والعدوى ، خصوصاً وأن مكة يفد لها الناس من كل القرى والمدن ، وتختلف مراتبهم في الغنى والفقر

والصحة والمرض ، وتبعد بادية بني سعد نحو مائة وخمسين كيلو متراً عن مكة ، وهذه البادية محاطة بسلسلة جبال السروات ، ويصل إرتفاعها في بعض المناطق إلى ألفي متر مما يجعلهم في مأمن من الغزو ومن انتشار الأوبئة ، ولعلمهم إختاروا موضع السكن هذا للأمن الغزو.

الثالث : لا تمنع قريش بوفادة عموم الناس إلى مكة ، ولا تجعل قيوداً صحية على القادمين إليها ، ولكنها تحتز بارسال أولادها الرضع إلى البادية.

الرابع : تعلم صبيان قريش الفصاحة والنطق السليم خاصة بالنسبة للذين يبقون سنوات من أيام صباهم الأولى في البادية .

الخامس : التخفيف عن نساء قريش في الرضاعة والحضانة وإن كانت عندهم إماء قد يقمن بارضاعهم .

وكانت نساء قريش يحرصن على التفرغ للأزواج ، وقد بقي النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم عند حليلة السعدية أربع سنوات ، ولا يعني هذا أن قريشاً تبعث كل أبناءها الرضع إلى البادية ولا إرسالهم من حين الولادة ، إذ ثبتت أخوة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم لعمه حمزة بالرضاعة من ثوية مولاة لأبي لهب ، وحمزة أسن من النبي صلى الله عليه وآله وسلم بربع سنين فارضعتهما في زمانين منفصلين كما ارضعت بعده أبا سلمة عبد الله بن عبد الأسد المخزومي .

وعن (ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أريد على ابنة حمزة فقال "إنها لا تحل لي إنها ابنة أخي من الرضاعة ويحرم من الرضاعة ما يحرم من الرحم")^(١).

(فزوجها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سلمة بن أبي سلمة . فكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول: هل جزييت سلمة؟)^(٢).

كما عُرِضَ على النبي الزواج من بنت أبي سلمة ، ولكنه بين عدم جواز زواجه منها فقد ذكر أن (أم حبيبة قالت يا رسول الله إنا قد حدثنا أنك ناكح درة بنت أبي سلمة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "أعلى أم سلمة؟ لو أني لم أنكح أم سلمة لم تحل لي إن أباهما أخي من الرضاعة) (١).

وقيل أن أمنة بنت وهب أم النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم كانت عليلة.

وقد ماتت أمه بالأبواء وعمره أربع سنوات وقيل ست بين مكة والمدينة ، وكانت قد خرجت به لزيارة أخوال أبيه بني النجار فماتت فقدمت أم أيمن بعد خمسة أيام إلى مكة تحمل النبي صلى الله عليه وآله وسلم . وقال أبو سعيد دفنت أمه صلى الله عليه وآله وسلم بمكة وأهل مكة يزعمون أن قبرها في مقابر أهل مكة من الشعب المعروف شعب أبي دب وكان أبو دب رجلا من سراة بني عمرو معروفاً ، وقيل قبرها في دار راتقة بالمعلاة بثنية أذاخر عند حائط حكماً (٢).

وكان النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم الولد الوحيد لأبيه عبد الله فخشي عليه جده عبد المطلب فارسله إلى البادية رجاء سلامته ، ولم تتزوج أمنة بعد ولادة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهي شابة مع عدم تعارض زواج المطلقة والأرملة مع العرف والمجتمع آنذاك حتى مع تعدد حالات الزواج .

وهل كانت قريش تخشى على أولادها من السبي والخطف من أعدائهم ، فترسلهم إلى البادية ، وكانت تخاف عليهم في البادية لحفظ القبائل البدوية

(١) المغازي ٣٠١/١.

(٢) الإستيعاب ١٠/١.

(٣) ذخائر العقبى ٣٥٨/١.

لهم ، الجواب لا دليل على هذه الخشية ، إنما العكس هو الصحيح ، وفيه مسائل :

الأولى : كانت لقريش منزلة عند القبائل .

الثانية : كان أولاد قريش الرضع والصغار ودائع وأمانة عند تلك القبائل يتعاهدون الحفاظ عليهم .

الثالثة : أخذ القبائل الأجرة والمال من قريش لرضاعتهم وحضانتهم واقتراض الأموال من قريش بسبيهم بالأقل من الفائدة والربا .

الرابعة : إدراك القبائل أن هذه الرضاعة نوع صلة مع رجال ونساء قريش .

الخامسة : التزاور والضيافة بين القبائل وقريش ، إذ تأتي المرضعات بصبيان قريش بين مدة وأخرى ليراهم أهلهم ، ويصاحب المرضعات أزواجهن لحراستهن في الطريق ولأداء مناسك العمرة والتسوق من مكة .

السادسة : حرص قريش رجالاً ونساءً على إعانة أصحاب بيوت الرضاعة .

السابعة : صلة الأخوة من الرضاعة بين أبناء القبائل البدوية وبين أبناء قريش الذين يكبرون ويتولون الزعامة الاجتماعية وولاية البيت الحرام .

وتحدث حليلة بنت أبي ذؤيب السعدية مرضعة النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأنها خرجت من بلدها مع زوجها وابن لها ترضعه (في نسوة من بنى سعد بن بكر قالت وفي سنة شهباء)^(١) .

وكان خروجها على أتان أي أنثى الحمار ومعهم شارف لهم والشارف هي الناقة المسنة التي ليس فيها حليب ، وقالت كانوا لا ينامون الليل لكثرة بكاء الصبي بسبب الجوع ، ولا يدرئها حليباً لتطعمه ، وليس عند بيوت الحبيطة طعام ، ولكنهم كانوا يرجون الغيث والمطر من السماء .

وتقول أن النسوة في الطريق تذمرن منها بسبب تأخرها ، وتباطئ حمارتها في المسير إذ كانت لا تقوى على المسير الطويل من شدة الجوع . فوصلوا إلى مكة يلتمسون الرضعاء من أبناء قريش التي كان رجالها أصحاب ثروة ومال وجاه ، فجئى برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم للنسوة ، فكن يابئن أخذه لأنه يتيم لأنهن يرغبن بالعطايا والمال والكسوة والصلة مع أب الصبي ، فاذا كان الأب ميتاً فلا فائدة كثيرة ترتجى من أمه أو جده .

فأخذت كل النسوة اللاتي جاءت معها صبياناً للرضاعة وبقيت حليلة وحدها من غير رضيع مع ما بها وأسرتها من الفاقة والجوع ، ولما أرادوا الرجوع إلى ديارهم قالت حليلة لزوجها :
(والله اني لاكره ان ارجع من بين صواحيبي ولم آخذ رضيعا والله لاذهبن إلى ذلك اليتيم فلاخذه) ^(١).

فحضنته وهي مولاته ورثه عن أبيه وتوفى جده عبد المطلب ثماني سنين واوصى به قبل موته إلى عمه أبي طالب ، وهو أخو عبد الله أبي النبي لأمه وأبيه .

أوان موت أبي النبي صلى الله عليه وآله وسلم الذي بعثه أبوه عبد المطلب (يمتار له تمرا من يثرب فمات بها وهو شاب عند أخواله ولم يكن له ولد غير رسول الله صلى الله عليه وسلم).

والذى رجحه الواقدي وقال هو أثبت الاقاويل عندنا في موت عبد الله وسنه أنه كان خرج إلى غزة في غير من عيرات قريش يحملون تجارات ففرغوا من تجاراتهم وانصرفوا فمروا بالمدينة و عبد الله بن عبدالمطلب يومئذ مريض فقال أنا أتخلف عند أخوالى بنى عدى بن النجار وأقام عندهم

مريضا شهرا ومضى أصحابه فقدموا مكة فسألهم عبد المطلب عن عبد الله فقالوا خلفناه عند أخواله^(١).

وقيل مات أبوه وهو في بطن أمه ، وقيل كان عمره شهرين وقيل ثمانية وعشرين شهراً ، وروى ابن سعد عن محمد بن كعب ، وعن أيوب بن عبد الرحمن بن أبي صعصعة قالاً: خرج عبد الله إلى الشام إلى غزة في غير من عيرات قريش يحملون تجارات ، ففرغوا من تجاراتهم ، ثم انصرفوا فمروا بالمدينة وعبد الله يومئذ مريض ، فقال: أتخلف عند أخوالي بني عدي بن النجار.

فأقام عندهم مريضا شهرا ومضى أصحابه فقدموا مكة فسألهم عبد المطلب عن ابنه فقالوا: خلفناه عند أخواله بني عدي بن النجار مريضا ، فبعث عبد المطلب أكبر ولده الحارث فوجده قد توفي ودفن في دار النابغة فرجع فأخبره فوجد عليه عبد المطلب وعماته.

ولأخوته وأخواته وجدا شديدا.

ورسول الله صلى الله عليه وسلم حمل ، ولعبد الله بن عبد المطلب يوم توفي خمس وعشرون سنة^(٢).

وكانت نسوة بني سعد يقمن بالطواف على بيوت مكة ويعرضن على أهلها أخذ الصبيان للرضاعة ، وليس من سوق وموضع يجتمعون فيه ، ليأتي لهن رجال ونسوة قريش وهذا الطواف هو الأنسب في المقام كي تتعرض الأمهات على المرضعات ، ويتأكدون من نسبهن ومن كون ثديهن تدر الحليب ، لذا جاءت حليلة السعدية معها بابنها الرضيع .

فاذن زوج حليلة لها رأى أن قولها سديد وقال : لا يملك أن تفعلني عسى أن الله أن يجعل لنا فيه بركة .

(١) عيون الأثر ٣٨/١.

(٢) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد ٣٣١/١.

وإذا أراد الله عز وجل أمراً فإنه سبحانه يقبض .
فذهبت حليلة إلى بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو في شعب
أبي طالب قريب من البيت الحرام من جهة الصفا ، وفي هذا الزمان هو
مكتبة مكة العامة ، وكانت بيوت مكة صغيرة ، ولكن مرضعات بني سعد
تعلم مواضعها وتصل إليها .

فأخذت حليلة النبي صلى الله عليه وآله وسلم لترضعه لأنها لم تجد
غيره تأخذه ممن يكون أبوه حياً ، وحالما عادت حليلة إلى رحلها ووضعت
النبي صلى الله عليه وآله وسلم في حجرها تجلت البركة إذ در ثدياها باللبن
فشرب منه النبي حتى روى ، وشرب منه ابنها حتى ناما .

فان قلت هل من موضوعية للزاد الذي أكلته حليلة في مكة بنزول هذا
الحليب ، الجواب نعم ، وهو لا يتعارض مع البركة والمعجزة ، فليس من
السهل أن يدر الحليب الغزير من الثدي حالما تجد المرأة الطعام .

وقام زوج حليلة إلى الشارف الناقة التي معهم ، وإذا هي حافل أي
امتلاً ضرعها لبناً ، فبادر إلى حلبها فشرب ثم شربت حليلة منه حتى ارتويا
، فباتوا في ليلة سعيدة هائلة .

وأدرك زوج حليلة علة وسبب هذه النعمة وقال لها عند الصباح
(تَعَلَّمِي وَاللَّهِ يَا حَلِيمَةُ لَقَدْ أَخَذْتَ نَسَمَةً مَبَارَكَةً قَالَتْ فَقُلْتُ : وَاللَّهِ إِنِّي
لَأَرْجُو ذَلِكَ) ^(١) .

فمن خصائص المعجزة الحسية تلمس وتحسس الناس لها ، بما يحول
دون إنكارها أو الشك فيها خاصة عند أوان حدوثها .

فركبت حليلة على أنثى الحمار التي جاءت عليها إلى مكة ، وكانت
صويحاتها يتضايقن من أبطائها واركبت النبي صلى الله عليه وآله وسلم
معها على تلك الحمارة وإذا هي تسبق الركب ، ولا تقدر الحمر التي تركبها

النسوة على اللحاق بها ، فصرن يناشدن حليلة بالإبطاء وتخفيف سرعتها ، وأخذن ينادين من خلفها :

(يَا ابْنَةَ أَبِي ذُوَيْبَ ، وَيَحْكُ ارْبَعِي عَلَيْنَا ، أَلَيْسَتْ هَذِهِ أَتَانُكَ الَّتِي كُنْتُ خَرَجْتُ عَلَيْهَا ؟ قَالَتْ : فَأَقُولُ لَهُنَّ بَلَى وَاللَّهِ إِنَّهَا لَهِيَ هِيَ فَيَقْلُنَّ وَاللَّهِ إِنَّ لَهَا شَأْنًا) ^(١).

أي لا بد من سر مكنون في تبدل حال اثني الحمار هذه ، ولم يكن هذا التبدل منحصراً بتلك الحمار ، ورحلة العودة من مكة إلى ديار بني سعد ، إنما تجلت البركة على أغنام البيت الذي يرتضع فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لبيان مسألة وهي مصاحبة البركة للأنبياء ، وفي عيسى عليه السلام ورد قوله تعالى ﴿وَجَعَلْنِي مَبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ﴾ ^(٢).

وهل كانت بركة أيام رضاعة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في بني سعد مقدمة ودعوة لهم وللناس للإيمان برسالته عند بعثته ، الجواب نعم لتضاف مسألة معجزة البركة إلى البشارات التي جاءت بالكتب السماوية السابقة ، وعلى السنة الأنبياء السابقين ، وورثتهم من العلماء ، كما ورد في القرآن حكاية عن عيسى عليه السلام ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِيهِ مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ ^(٣).

ولم تكن بركة رضاعة النبي صلى الله عليه وآله وسلم منحصرة في ظهورها وفيوضاتها على بيت المرضعة حليلة السعدية ، إنما كانت ظاهرة عند أهل الحي كلهم ومنافعه لهم جميعاً ، فاذا أعطى الله عز وجل فانه يعطي بالأوفى والأتم .

(١) الروض الأنف ١/ ٢٨٥.

(٢) سورة مريم ٣١.

(٣) سورة الصف ٦.

لقد كانت غنم حليلة تروح للمرعى فتأتي شباعاً ويحلبون منها ويشربون بخلاف غنم أهل الحي من قومها التي ترجع وليس في ضرعها لبن ، إذ كانت أرضهم جدباء أمسك عنها غيث السماء .

قالت حليلة (حَتَّى كَانَ الْحَاضِرُونَ مِنْ قَوْمِنَا يَقُولُونَ لِرُعِيَانِهِمْ وَيَلْكُمِ اسْرَحُوا حَيْثُ يَسْرَحُ رَاعِي بِنْتِ أَبِي ذُوَيْبٍ فَتَرُوحُ أَغْنَامُهُمْ جِيَاعاً مَا تَبْضُ بِقِطْرَةٍ لَبَنٍ وَتَرُوحُ غَنَمِي شَبَاعاً لَبْنًا ، فَلَمْ نَزَلْ نَتَعَرَّفُ مِنَ اللَّهِ الزِّيَادَةَ وَالْخَيْرَ حَتَّى مَضَتْ سِنَّتَاهُ وَفَصَلَّتْهُ ؛ وَكَانَ يَشِبُّ شَبَاباً لَا يَشِبُّهُ الْغُلَمَانُ فَلَمْ يَلْغُ سِنَّتِيهِ حَتَّى كَانَ غُلَاماً جَفراً^(١))^(٢) .

أي مع أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم فطم في الستين إلا أنه كان يبدو وكأنه ابن أربع ، وكان من عادة نساء بني سعد الرجوع إلى مكة بالصبيان بعد فطمهم عن الرضاعة ، فقدمت حليلة وزوجها إلى مكة وأدوا مناسك العمرة ، ودخلت على أمنة بنت وهب أم النبي صلى الله عليه وآله وسلم التي تغشتها الغبطة والسرور حين رؤية النبي صلى الله عليه وآله وسلم سالماً معافى ، وقد شبَّ أسرع من أقرانه ، وظهر النور ، في طلعتة البهية ، وكانت حليلة تخشى الحرمان من البركة وانقطاع الفيض بأخذ أمنة بنت وهب لابنها ، وتخاف أن ترجع إلى ديار بني سعد وهو ليس معها ، وبعد أن اطمأنت حليلة على ابنها ، وراه جده عبد المطلب وسرَّ به كثيراً ، وكذا عمه أبو طالب وأعمامه الآخرون بما فيهم أبو لهب الذي يوم بشرته أمته ثوية بولادة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أعتقها فارضته كما أرضعت عمه حمزة من قبل ، وأرضعت مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم ابنها مسروح وابي سلمة بن عبد الأسد .

(١) الجفر فوق الفطيم ، وهو ابن ثلاث أو رابع سنين .

(٢) الروض الأنف ٢٨٥/١ .

ورأى العباس أخاه أبا لهب بعد موته في المنام (قال له: ما حالك؟ فقال له: في النار، إلا أنه خفف عني كل ليلة اثنين وأمص من بين إصبعي هاتين ماءً بارداً، وأشار له إلى إصبعيه، وأن ذلك بإعتاقه ثوية فرحاً عندما بشرته بولادة ابن أخيه وإرضاعها له) ^(١).

كما ارضعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم أمه آمنة بنت وهب ثلاث أيام وقيل سبعة أيام .

(فكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يكرم ثوية وكانت تدخل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبعد أن تزوج خديجة وكانت خديجة تكرمها وأعتقها أبو لهب بعد ما هاجر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى المدينة فكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يبعث إليها من المدينة بكسوة وصلة حتى ماتت بعد فتح خيبر فبلغت وفاتها النبي صلى الله عليه وآله وسلم فسأل عن ابنها مسروح وبلبنه أَرْضَعْتَهُ فَقِيلَ لَهُ قَدْ مَاتَ فَسَأَلَ عَنْ قَرَابَتِهَا فَقِيلَ لَهُ لَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ أَحَدٌ) ^(٢).

لقد حضرت حليلة السعدية وزوجها عند آمنة بنت وهب أم النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأخذا يسألانها عودتهما بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى ديار بني سعد ، ويتعهدان بسلامته ويجنبانه وباء مكة ، إذ قالت حليلة (فَقَدَّمْنَا بِهِ عَلَى أُمِّهِ وَنَحْنُ أَحْرَصُ شَيْءٍ عَلَى مَكْنِهِ فِينَا ، لَمَّا كُنَّا نَرَى مِنْ بَرَكَتِهِ . فَكَلَّمْنَا أُمَّهُ وَقُلْتُ لَهَا : لَوْ تَرَكْتَ بَنِيَّ عِنْدِي حَتَّى يَغْلُظَ فَإِنِّي أَخْشَى عَلَيْهِ وَبَاءَ مَكَّةَ ، قَالَتْ فَلَمْ نَزَلْ بِهَا حَتَّى رَدَّتهُ مَعَنَا) ^(٣).

ليكون كل يوم من أيام رضاعة النبي صلى الله عليه وآله وسلم معجزة حسية لها ، وفيضاً من البركة على البيت الذي يقيم فيه ، ومن حولهم من

(١) سمط النجوم ١/ ١٢٧.

(٢) الإستيعاب ١/ ١٠.

(٣) السيرة لابن هشام ١/ ١٦٢.

الناس ، وتسبق هذه المعجزة سيرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم في شبابه بالصدق والأمانة .

كما تروي حليلة السعدية قصة السكين اللذين شقا بطن النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ليصلحاه وإلى الرسالة من غير أن يبقى أثر في بطنه ، قال تعالى ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۝ ^(١) 》 .

وفي القرآن قال تعالى ﴿ وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ۝ ^(٢) 》 .

الثالثة : إتيان الفرائض العبادية سبب لنزول البركة فهي مصداق للتعقوى ، وقال تعالى ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَبُوا فَآخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ۝ ^(٣) 》 .

الرابعة : وجود مواضع تفيض بالبركة على الناس مع أنها ثابتة في وضعها في الأرض ، كما في البيت الحرام ، قال تعالى ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ۝ ^(٤) 》 فذكر لفظ الناس وأن البيت وضعه الله لهم ثم وصفته الآية بأنه مبارك أي أن بركته تتغشى الناس جميعاً وأن بعدت عنه أوطانهم ، وهو من أسرار تسمية مكة أم القرى ، قال تعالى ﴿ وَلِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ۝ ^(٥) 》 لإستقراء مسألة عن الجمع بين آية وضع

(١) سورة فصلت ٥٣ .

(٢) سورة الأنعام ٩٢ .

(٣) سورة الأعراف ٩٦ .

(٤) سورة آل عمران ٩٦ .

(٥) سورة الأنعام ٩٢ .

البيت وآية الإنذار أعلاه ، وهي أن مكة أم القرى والمدن بافاضة البركة عليها مجتمعة ومتفرقة .

وهل من موضوعية لبركة البيت الحرام في بلوغ الأغنياء مرتبة الغنى وجمع الثروة ، الجواب نعم ، لذا فان قوله تعالى ﴿سَنَكْبُ﴾^(١) أعم من أن ينحصر بذات قول الجاحدين بل يشمل إقامة الحجة عليهم .

وهل من خصائص خلافة الإنسان في الأرض وجود أغنياء جعل الله عز وجل بأيديهم الأموال ، وأن ينفقوا منها في مسالك الخير وسبل المعروف ، الجواب نعم .

لتعم ثقافة الإحسان ، وتتغشى الناس مفاهيم الرحمة والمودة ، وفيه حرب على الإرهاب ، ومنع من تجدد الغزو .

قانون الأشهر الحرم حرب على الإرهاب

لقد أكرم عز وجل الإنسان ، وجعل الأيام في ضبط ونظام حسابي سماوي ، قال تعالى ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾^(٢) ، وسواء كانت الأشهر القمرية والشمسية فان عدة كل منها في السنة اثنا عشر شهراً في مدد ولطف من عند الله في تنظيم الناس على مختلف مشاربهم في حساب أشهر السنة ، ليكون من وجوه تقدير الآية أعلاه أن عدة الشهور في كل تقاويم وحساب الأمم السابقة واللاحقة اثنا عشر شهراً ، ولا عبرة بالحساب القليل المخالف ، والذي لا يستمر طويلاً عند الشعوب والأمم ، قال تعالى ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ

(١) سورة آل عمران ١٧٩.

(٢) سورة التوبة ٣٦.

وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ﴿١﴾ نعم هي ثابتة ومعروفة في عدة وعدد الأشهر القمرية بينما هي تدور في الشهر الشمسية وحسابات التقويم الشمسي ، فقد يحل الشهر الحرام في أول ووسط الشهر الشمسي أو آخر الشهر الشمسي .

ومن الآيات التي تدل على الحساب الشمسي قوله تعالى ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ ^(٢) أي يجران بحساب معلوم وضبط وترتيب ، وعن ابن عباس ﴿بِحُسْبَانٍ﴾ (يعني بحساب) ^(٣) .

والحسبان مصدر الحساب وقيل جمعه إن نظام سير القمر والشمس واتخاذهما وسيلة للحساب دعوة للناس جميعاً للتأخي وترك القتال والإرهاب .

والأشهر الحرم هي :

الأول : ذو القعدة .

الثاني : ذو الحجة .

الثالث : شهر محرم ، وهي أشهر سرد .

الرابع : شهر رجب منفصل ويقع بين جمادى الآخرة وشعبان .

ولم يذكر في القرآن من أسماء الشهور إلا شهر رمضان وهو الشهر

التاسع من الشهور العربية ، قال تعالى ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ

الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ

فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرٍ يُدُلُّ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا

(١) سورة التوبة ٣٦ .

(٢) سورة الرحمن ٥ .

(٣) النكت والعيون ٢٠٦/٤ .

يُرِيدُ بِكُمْ الْغُسْرَ وَتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ»^(١)
وتعتمد السنة القمرية على دورة ومنازل القمر قال تعالى ﴿وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ
مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾^(٢).

وسمي محرم الحرام لأن العرب قبل الجاهلية كانوا يحرّمون القتال فيه ، وكانت الأشهر الحرم مناسبة لنشر النبي صلى الله عليه وآله وسلم دعوته بين وفود الحاج في مكة من غير أن تجهز عليه قريش .
وصادف الأول من محرم من السنة الأولى للهجرة ١٦ يوليو / تموز عام ٦٢٢ م .

وتساوي السنة القمرية ٣٥٤ يوماً تقريباً فيكون الشهر القمري أما ٢٩ يوماً أو ٣٠ يوماً ووفق إطلالة الهلال لذا قال تعالى ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾^(٣) ، وفيه دعوة للمسلمين لرصد الأهلة على مدار السنة لتعلق العبادات بها ، ولم يرد لفظ (هلال) في القرآن إنما ورد لفظ (الأهلة) بالجمع قال تعالى ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾^(٤) ،
والفرق بين السنة الميلادية والقمرية ١١ أو ١٢ يوم وأسماء الأشهر القمرية هي :

الأولى : محرم .

الثانية : صفر .

الثالثة : ربيع أول .

الرابعة : ربيع ثاني .

(١) سورة البقرة ١٨٥ .

(٢) سورة يس ٣٩ .

(٣) سورة البقرة ١٨٥ .

(٤) سورة البقرة ١٨٩ .

الخامسة : جمادى أول .

السادسة : جمادى آخر .

السابعة : رجب .

الثامنة : شعبان

التاسعة : رمضان .

العاشر : شوال .

الحادي عشرة : ذو القعدة .

الثانية عشرة : ذو الحجة .

وتم الإتفاق على تسميتها في اجتماع لرؤساء القبائل ووفد الحاج في مكة سنة ٤١٢ ميلادية أي قبل البعثة النبوية بنحو (١٥٠) سنة وسميت حسب مناسبتها.

ومن إعجاز القرآن قوله تعالى بخصوص أهل الكهف ﴿وَكُتِبُوا فِي

كُتُبِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةِ سِنِينَ وَأَزْدَادُوا تِسْعًا﴾^(١)، فكل مائة سنة يكون الفرق بين الشمسية والقمرية ثلاث سنوات.

وقد قدست أمم سابقة القمر ، وحسبوا أنه حافظهم من الشر والأذى ، وإن دورته ثابتة لا تتعطل فهو يسير بقوة غيبية ، وكانوا يعتقدون أن للقمر تأثيراً على حياة الناس ، وربطوا الخسوف بالقوى الغيبية الخارقة. وجاء الإسلام ليبين قانوناً وهو أن الله عز وجل سخر القمر لمنفعة الإنسان وتنظيم شؤون حياته الدنيوية والأخروية ، وأنه مخلوق لله عز

وجل ، ، قال تعالى ﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ ^(١) وقال تعالى ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسُ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ ^(٢) .

وهل يفيد الجمع بين الآيتين أعلاه حمل الإطلاق الوارد في الآية أعلاه من سورة الرعد على التقييد الوارد في سورة إبراهيم أعلاه بلفظ ﴿سَخَّرَ لَكُمْ﴾ الجواب لا ، لبيان أن تفضل الله عز وجل بتسخير الشمس والقمر للخلائق كلها ، ومنها الناس ، وخصهم بالذكر ليتدبروا ويشكروا الله على هذه النعمة ويتقيدوا بأحكام الأشهر الحرم وأداء الفرائض ومنها فريضة الصيام لنبد الإرهاب والترفع عنه وهجرانه والإعراض عنه .

ويبدأ الهلال خيطاً دقيقاً ثم يأخذ بالكبر والزيادة إلى أن يكون بدرأً في منتصف الشهر ثم يأخذ بالنقصان إلى ليالي المحاق ولو كان إلهاً لما أصابه التغيير والنقصان ، وفي شهر محرم الذي حرم الله فيه القتل والقتال والإرهاب ، تتجدد أحزان المسلمين لواقعة كربلاء واقدام جيش يزيد على قتل الحسين وأهل بيته وأصحابه مع أنه عليه السلام سألهم إحدى ثلاث : الأولى : أن يتركوه يرجع إلى المدينة .

الثانية : أن يسروه إلى أي ثغر من ثغور المسلمين فيقوم بما يقومون به من الواجبات ، ويكون بعيداً عن الناس الذين كتبوا له بالقدوم إلى الكوفة ونحوهم ، وهو من عمومات قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ ^(٣) .

الثالثة : الذهاب إلى يزيد بن معاوية في الشام ، فيرى رأيه و(بعث الحسين إلى عمر بن سعد عمرو بن قرظة بن كعب الأنصاري أن القني

(١) سورة الرعد ٢.

(٢) سورة إبراهيم ٣٣.

(٣) سورة آل عمران ٢٠٠.

الليلة بين عسكري وعسكري. فخرج إليه عمر، فاجتمعا وتحادثا طويلاً ثم انصرف كل واحد منهما إلى عسكريه، وتحديث الناس أن الحسين قال لعمر بن سعد: اخرج معي إلى يزيد بن معاوية وندع العسكريين. فقال عمر: أخشى أن تهدم داري.
قال: أبنها لك خيراً منه.

قال: تؤخذ ضياعي. قال: أعطيك خيراً منها من مالي بالحجاز. فكره ذلك عمر.

وتحدث الناس بذلك ولم يسمعه، وقيل: بل قال له: اختاروا مني واحدة من ثلاث: إما أن أرجع إلى المكان الذي أقبلت منه، وإما أن أضع يدي في يد يزيد بن معاوية فيرى فيما بيني وبينه رأيه، وإما أن تسيروا بي إلى أي ثغر من ثغور المسلمين شتت فأكون رجلاً من أهله لي ما لهم وعلي ما عليهم.

وقد روي عن عقبة بن سميان أنه قال: صحبت الحسين من المدينة إلى مكة ومن مكة إلى العراق ولم أفارقه حتى قتل، وسمعت جميع مخاطباته للناس إلى يوم مقتله، فوالله ما أعطاهم ما يتذاكر الناس أنه يضع يده في يد يزيد، ولا أن يسيره إلى ثغر من ثغور المسلمين، ولكنه قال: دعوني أرجع إلى المكان الذي أقبلت منه أو دعوني أذهب في هذه الأرض العريضة حتى ننظر إلى ما يصير إليه أمر الناس. فلم يفعلوا.^(١)

لقد أراد الإمام الحسين عليه السلام دفع القتال، وإجتنب الإرهاب واستصاليه من المجتمعات، فليس من سبب وجيه لقتاله وقتله هو وأصحابه، وكان سبب خروجه إرادة الإصلاح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وحينما وصل الأمر إلى القتل والقتال سأل الموادعة والصلح والمؤاخاة، ولكنهم أصروا على القتل والإرهاب.

والأشهر الحرم مناسبة لقيام إبراهيم وإسماعيل بالدعوة إلى الله ، ورفع قواعد وقوائم الكعبة ، قال تعالى ﴿وَأَذِیْرَفَعِ إِبْرَاهِیْمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَیْتِ وَإِسْمَاعِیْلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِیْعُ الْعَلِیْمُ﴾ ^(١) ، وهي حرز وواقية لذريتهما والمؤمنين ، وسبيل لإنتشار ملة التوحيد في الجزيرة ، فمن خصائص شهادة التوحيد والنبوة موافقة إدراك العقول لها ، ونبذها للوثنية .

ويدل قوله تعالى ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ ^(٢) على ثبوت حساب الشهور وحرمة أربعة منها من قبل أن يخلق الله آدم وبقاؤها إلى يوم القيامة .

وقيل إذا كان عدد الجماعة المؤنثة أكثر من عشرة ، فيقال : منها وفيها أما إن كانت أقل من عشرة ، فيقال : منهم ، فيهن كما في قوله تعالى ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾ ^(٣) .

إذ تكرر الضمير فيها مرتين (مثلهن) (بينهن) .

وقد ذم الله عز وجل النسئ ، وهو التقديم والتأخير في الأشهر ليحلوا القتال ومواصلته في الأشهر الحرم ، قال تعالى ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ﴾ ^(٤) ليكون النهي عن تأخير الشهر الحرام أو تقديمه مقدمة وزاجراً عن القتال بين المسلمين وعموم أهل الأرض ، وفي تشريع حرمة القتال في أشهر مخصوصة بالإرادة التكوينية ، ونزول هذا التشريع في التنزيل ، وإقرار الناس بأنه موجود قبل بعثة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم

(١) سورة البقرة ١٢٧.

(٢) سورة التوبة ٣٦.

(٣) سورة الطلاق ١٢.

(٤) سورة التوبة ٣٧.

ولو لم ينزل به القرآن لقال الكافرون والذين تغلب عليهم النفس الشهوية والغضبية نسخت الأشهر الحرم ، ولكن الله عز وجل تفضل وأثبتها في القرآن للمنع من تبديل أوان حال تحريم القتال في أيام السنة .

ومن فلسفة الأشهر الحرم ودلالاتها العقائدية والأخلاقية تنمية ملكة النفرة من الإرهاب عند عامة الناس خاصة وأن حساب الشهور لا يختص بالمسلمين بل هو متعلق بظاهرة كونية متعددة ومتجددة كل عام أربع مرات في السنة ، كل مرة شهر كامل ، أي في نحو مائة وثمانية عشر يوماً منها .

وبخلاف الأشهر الشمسية فإن الشهر القمري يبدأ بأية كونية يراها أهل الأرض ، وهي ظهور الهلال ، قال تعالى ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾^(١).

وإذا ضبط الناس أشهر الحج تضبط أشهر السنة كلها لتعلق الضبط والحساب بالسنة الماضية والسنة التي فيها الناس والسنة التالية وإذا كانت الأشهر الحرم عنوان السلم بالإمتناع عن القتال والإرهاب فإن الإسلام جاء بمسائل في المقام :

الأول : تأكيد حساب الأشهر الحرم في أشهر السنة .

الثانية : وجوب تعاهد أحكام حرمة القتال في الأشهر الحرم .

الثالثة : تشريع الصيام بخصوص شهر رمضان طيلة أيامه لقوله تعالى

﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾^(٢) أي من رأى الهلال وحضر أول شهر رمضان فليصم شهر رمضان كاملاً والقرآن يفسر بعضه بعضاً ، وقال تعالى ﴿وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ﴾^(٣).

(١) سورة البقرة ١٨٩.

(٢) سورة البقرة ١٨٥.

(٣) سورة البقرة ١٨٥.

والشهر مشتق من الشهرة ، فاذا رأى الناس الهلال تنادوا برؤيته وأخبروا عن إطلالته .

(وكانت العرب إذا نظرت إلى الهلال قالت لا مَرَجاً بِمُحَلِّ الدِّينِ مُقَرَّبَ الْأَجَلِ) ^(١).

بما يدل على أن العرب لم يعبدوا القمر ، ولكنهم اتخذوا من الأصنام والأوثان آلهة ووسائط تقربهم إلى الله عز وجل ،

ومن المصطلحات في هذا الزمان (التاريخانية) الحديثة الواقعية ظهرت بين (١٩٧٠-١٩٩٠) ومفادها ربط النص الأدبي باطاره الثقافي والاجتماعي، وفهم الأفكار التي تتحكم في ترشح صيغة الخطاب فيه ، مما يستلزم الذهاب أبعد من النص في المفاهيم والقيم .

أي لكل شئ مدة استخدام ثم فترة انتهاء ، وكل شئ له أوان تنتهي فيه صلاحيته ، وهو أمر ليس بجديد ولكن هذا الأمر ليس مطلقاً ، وقد جاء القرآن بالإشارة إليه بقوله تعالى ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ ^(٢) أي لكل عصر وزمان وسنن بما يفيد إصلاح المجتمعات ، وتعقب هذه الآية قوله تعالى ﴿يَسْأَلُ اللَّهَ مَا

يَشَاءُ﴾ ^(٣) مع بقاء صيغة أحكام الشريعة السماوية ، وهو الذي يتجلى بالنسخ في الشرائع ، ومن الشواهد عليه النسخ في آيات الأحكام بما فيه التخفيف والتيسير ورفع الحرج ، قال تعالى ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا﴾ ^(٤).

(١) لسان العرب ١١/١٦٣.

(٢) سورة الرعد ٣٨.

(٣) سورة الرعد ٣٩.

(٤) سورة البقرة ١٠٦.

إن الله الذي تفضل على المسلمين والناس بسبيل التخفيف حتى في حفظ آيات القرآن والعمل بالأحكام التي تتضمنها يأمر الناس كافة باجتنب الإرهاب وصيغته الظاهرة والخفية ومقدماته ، وهذا الأمر من مصاديق قوله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ﴾^(١) ومن وجوه تقدير هذه الآية بلحاظ المقام :

الأول : وما أرسلناك إلا كافة للناس رحمة بهم .

الثاني : وما أرسلناك إلا لتحكم بالحق ، وهذا الحكم برزخ دون الإرهاب ، وفصح له وزاجر عنه .

الثالث : وما أرسلناك إلا لبيان الفرائض وترغيب الناس بها ، وهي واقية من الإرهاب في موضوعها أو مضامينها أو حكمها أو أوان أدائها أو الثواب العظيم على كل فرد منها كالصلاة اليومية ، وصيام يوم من شهر رمضان بلحاظ أن أيامه أفراد غير ارتباطية ، وأداء الزكاة والخمس وحج البيت الله الحرام (عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ

عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ مَنْ صَامَ يَوْمًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بَاعَدَ اللَّهُ وَجْهَهُ مِنْ جَهَنَّمَ مَسِيرَةَ سَبْعِينَ عَامًا)^(٢).

ليبيان قانون وهو أن الذي يسعى لمرضاة الله ويريد الثواب يلجأ إلى أداء العبادات والتحلي بالصبر ، وليس للضعف والإرهاب والقتال .

وتضمنت الآية أعلاه من سورة التوبة قوله تعالى ﴿إِنْ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقِيمُ فَلَا تَظْلَمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ

(١) سورة سبأ ٢٨.

(٢) سورة سبأ ٢٨.

اللَّهُمَّ الْمُتَّقِينَ ﴿١﴾ الأمر من الله عز وجل للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه بقتال المشركين ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ﴾ ويحتمل هذا الأمر وجوهاً :

الأول : الهجوم .

الثاني : الغزو .

الثالث : الصلح ثم الهجوم .

الرابع : الهجوم ثم الصلح .

الخامس : الدفاع .

السادس : الدفاع عند الحاجة .

والمختار هو الخامس والسادس أعلاه ، ويمكن الإستدلال بآيات قرآنية أخرى ومضامينها القدسية ، مع أن ذات آية البحث تتضمن معنى الدفاع بقوله تعالى ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً﴾ ^(٢) أي ما داموا يقاتلونكم كافة فتعاونوا في الدفاع .

ومن مفاهيم الآية الآية حرمة الاقتتال والإرهاب بين المسلمين وعموم الناس ، والهجوم عليهم ، وهي دعوة الصبر ودفع الأذى .

وورود كاف التشبيه في ﴿كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ﴾ يدل على أن المشركين هم الذين يبدأون القتال ، وأنهم يشتركون جميعاً في القتال ، وفيه حجة عليهم ، ودعوة للمسلمين لأخذ الحائطة والمقابلة بالمثل خاصة وأن المسلمين وأن اشتركوا جميعاً في الدفاع فان عددهم أقل كثيراً من عدد المشركين لبيان إتصاف المشركين بالغرور والإرهاب وأنهم ينشرون الفرع والدمار في الأرض .

(١) سورة التوبة ٣٦ .

(٢) سورة التوبة ٣٦ .

ليكون بعث المسلمين على الدفاع كما في هذه الآية من مصاديق قوله تعالى ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾^(١) في رد الله عز وجل على الملائكة حينما ﴿قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾^(٢).

ومن إعجاز آية عدة الشهور أن الأمر بالدفاع والقتال جاء بعد ذكر الأشهر الحرم لبيان لزوم كف الفريقين عن القتال فيها ، ويحتمل الإنتفاع من وقف القتال والكف عن الهجوم والقتل في الأشهر الحرم من حيث جهته وجوهاً :

الأول : إنتفاع المسلمين من القتال في الأشهر الحرم .

الثاني : ينتفع المشركون من وقت القتال .

الثالث : تترشح منافع وقف القتال في الأشهر الحرم على الناس جميعاً.

ولا تعارض بين هذه الوجوه ، وكلها من مصاديق الآية ، وتحريم القتال في الأشهر الحرم ، وبيان قانون وهو أن الله عز وجل لم يرض للناس الإقتال والإحتراب ، إنما خلقهم لعبادته وذكره ، إذ يدل قوله تعالى ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^(٣) على حرمة الإقتال والإرهاب والتعدي والظلم ، وكل إنسان مأمور بأن يعبد الله وفق ما أمر سبحانه ، قال تعالى ﴿وَكُوشَاءَ اللَّهِ مَا اشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾^(٤).

(١) سورة البقرة ٣٠.

(٢) سورة البقرة ٣٠.

(٣) سورة الذاريات ٥٦.

(٤) سورة الأنعام ١٠٧.

قانون التباين الكمي والكيفي في كل صفة بين الخالق والمخلوقين

لقد أبى الله عز وجل إلا أن ينفرد بالصفات الحسنى التي تعني الإطلاق وعدم التقييد في كل صفة من صفاته تعالى ، فهو الخالق لكل الخلائق ، والقادر على إيجاد الموجود من العدم ، وفي التنزيل ﴿هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾^(١).

لقد جعل الله عز وجل الإنسان ﴿فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾^(٢) ، ورزقه العقل والسمع والبصر وهي من مصاديق فضل الله على الإنسان بالخلافة ولكن صفات الله عز وجل أعظم من أن تحيط بها أوهام البشر وتصورهم الذهني وهي غير صفات البشر ، قال تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾^(٣) ، فالتشبيه منفي .

وقيل هناك قدر مشترك في اتحاد الصفات كالقدر المشترك من إتحاد المعنى بين موجودين من جهة الوجود ومن جهة الصفات كالسمع والبصر والعلم ، والخالق يوصف بأنه سميع ، والمخلوق يوصف بأنه سميع ، وليس السمع كالسمع .

وهناك تباين في الصفات :

فالصفة التي عند المخلوق محدودة ومحصورة بمدة عمره وحياته ، وقد تكون أقصر من عمره كما لو فقد الإنسان حاسة السمع أو البصر ، ومن الآيات أن الإنسان قد يولد فاقداً لتلك الحاسة ليتعظ الناس ، ويشكروا الله عز وجل على هذه النعمة ، ويدركوا أن الفارق بينهم وبينه نسبي فلا بد أن يفقدوا هم أيضاً هذه الحاسة في يوم من الأيام أو عند الممات ، إذ تعطل

(١) سورة غافر ٥٦.

(٢) سورة البقرة ٣٠.

(٣) سورة الشورى ١١.

كل الحواس الدنيوية قهراً وانطباقاً ، ليكون وجود الحواس عند الإنسان نعمة عظيمة لعمل الصالحات وإجتنب الإضرار بالغير ، قال تعالى ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾^(١) .
وهناك تباين في ماهية الصفات بين الخالق والمخلوق من جهات كثيرة منها :

الأولى : الوجود فان وجود الله عز وجل واجب ودائم ومستديم ، ووجود المخلوق مؤقت ومحدود ومنقطع ، وليس من وجود للمخلوق إلا بمشيئة الله عز وجل .

الثانية : البصير ، فان الأشياء جميعاً حاضرة عند الله عز وجل لا تغيب عند طرفة عين ، وتزول وتنقرض ، ولكن الله عز وجل يبصرها وأجزائها بأي هيئة مستحدثة ومكان هي ، ولا تكون بكيفية وكم وانشطار إلا باذن الله سواء كانت من الأرض أو السموات أو المخلوقات اللامتناهية الأخرى .

ومن الإعجاز في الآية أعلاه أن الله خلق الحياة أي المخلوقات الحية وهو سبحانه أخبر عن علمه بخفي القول وما يهجس في الصدور ، قال تعالى في الثناء على نفسه ﴿يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾^(٢) وهذا البيان شاهد على أنه مقام حلیم على العباد رؤوف بهم ، ليس لأحد أن يهرب الجماعة والطائفة .

(عن الزهري عن سعيد بن المسيب ان ابا هريرة قال شهدنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خبير فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لرجل ممن يدعى الاسلام هذا من اهل النار فلما حضر القتال قاتل

(١) سورة الشورى ١١.

(٢) سورة طه ٧.

الرجل اشد القتال حتى كثرت به الجراح فاثبتته فجاء رجل من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

فقال يا رسول الله أرايت الرجل الذى ذكرت انه من اهل النار قد والله قاتل في سبيل الله اشد القتال وكثرت به الجراح فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اما انه من اهل النار وكاد بعض الناس يرتاب فيينا هو على ذلك وجد الرجل الم الجراح فأهوى بيده إلى كنانته فاستخرج منها سهمًا فانتحر بها .

فاشتد رجال من المسلمين إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقالوا يا رسول الله قد صدق الله حديثك قد امتحن فلان بقتل نفسه فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يا بلال قم فأذن لا يدخل الجنة الا مؤمن وان الله يؤيد الدين بالرجل الفاجر^(١).

وتأييد الدين بالرجل الفاجر أي سعيه في خدمة الدين وتعظيم شعائره وأن كان بذاته يرتكب الفواحش ، وهذا السعي طريق للإنباة والتوبة ، ومثلاً لا يصح تزويج المرأة العفيفة بالرجل الفاجر المسافح ما لم يتب توبة نصوحاً .

الثالثة : السمع فان الله عز وجل يسمع كل الأصوات الظاهرة والباطنة ، والجلية والخفية ، ويسمع الدعاء ، ويثيب عليه ، ولا يقدر على الإجابة غيره سبحانه ، ومن الشواهد عليه قوله تعالى ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِي إِذَا دَعَانِي﴾^(٢) .

(١) البيهقي / السنن الكبرى ١٩٧/٨ .

(٢) سورة البقرة ١٨٦ .

ومن مصاديق قوله تعالى ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ﴾^(١) قول كل مسلم في كل ركعة من الصلوات اليومية الخمسة (سمع الله لمن حمده) عند رفع الرأس والقيام من الركوع .

ومصادق السمع هذا على وجوه :

الأول : علم .

الثاني : سمع .

الثالث : استجاب .

الرابع : كتب .

الخامس : رحم .

السادس : غفر .

فكما ذكرت آية البحث قوله تعالى ﴿سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا﴾^(٢) بخصوص قول الظالمين والجاحدين ، فان الله عز وجل يكتب للمؤمنين ما يقومون به من الصالحات والإحسان للذات والغير ، والإرهاب ضد للإحسان .

قانون كتابة الآيات أوان نزولها ومنافعها

لقد اجتهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم الصحابة في كتابة آيات وسور القرآن لأمرين :

الأول : حفظ آيات التنزيل من الضياع.

الثاني : الرجوع إلى التدوين.

الثالث : منع الفرقة والخلاف في آيات القرآن.

الرابع : طلب البركة والسعة في كتابة القرآن وحفظ آياته وثائق في

البيت.

(١) سورة آل عمران ١١٠.

(٢) سورة آل عمران ١٨١.

الخامس : تفقه المسلمين في الدين ، وذات مصاحبة وتلاوة القرآن فقاهاه ، وفي التنزيل ﴿كُونُوا رَبَّاتِينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾^(١).

السادس : التدارك في القول والعمل بواسطة آيات القرآن ، وفي التنزيل ﴿رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾^(٢).

السابع : التدبر في إعجاز القرآن ، وبين التلاوة والتدبر عموم وخصوص مطلق ، والأصل أن يكون التدبر بعد القراءة ، ولكن من إعجاز القرآن التداخل بين كل من :

الأول : التلاوة .

الثاني : الفهم .

الثالث : التدبر .

الرابع : العمل بمضامين آيات القرآن .

وهذا التداخل من الشواهد على أن القرآن كلام نازل من عند الله عز وجل .

الثامن : ضبط تأريخ وأسباب نزول آيات القرآن.

التاسع : السفر بآيات القرآن ومصاحبتها للمسلمين ، واتخاذهم لها حجة وسبباً للدعوة للإيمان ، لتكون الآية القرآنية حاضرة عند الإختبار ،

(١) سورة آل عمران ٧٩.

(٢) سورة البقرة ١٢٩.

والإبتلاء ، قال تعالى ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾^(١).

العاشر : تدارس المسلمين لآيات القرآن وهي مكتوبة معروضة بين أيديهم ، ومن الإعجاز في الشريعة الإسلامية وجوب تلاوة كل مسلم ومسلمة القرآن خمس مرات في اليوم ، مع التكرار في كل مرة منها بلحاظ عدد ركعات كل صلاة من الصلوات اليومية الخمسة ، ولابد من التلاوة في كل ركعة ، وليس في الصلاة الواجبة صلاة بركعة واحدة .

الحادي عشر : حاجة المسلمين لتلاوة آيات وسور القرآن في الصلاة .

الثاني عشر : رجاء الثواب بكتابة آيات القرآن .

الثالث عشر : إرادة تعليم العيال والأبناء القرآن .

إن تسمية بعض الصحابة بكتاب الوحي شاهد على أن آيات القرآن كانت تكتب حال نزولها ، مع كثرة كتاب الوحي ، وذكر أنهم ثلاثة عشر كما ذكرت في المقام أسماء عشرين صحابياً ، والمراد من كتاب الوحي هم الذين يكتبون ما أنزل على النبي حال نزوله .

وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذا نزل عليه جبرئيل بآية أو آيات من القرآن يبعث على أحد كتاب الوحي ليكتب ما أنزل عليه وفيه دعوة للمسلمين والمسلمات لتوثيق آيات القرآن وترغيب في نسخ وطبع المصحف الشريف ، وحث على طلب العلم ، وأنه وسيلة الإحتجاج ، وزاجر عن الإرهاب ودافع عنه .

أما عدد المسلمين الذين كانوا يكتبون ما أنزل من القرآن فهو أضعاف كتاب الوحي ، وليس من حصر لعدددهم ، خاصة وأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم طلب من عدد من أسرى المشركين في بدر تعليم صبيان

المدينة القراءة والكتابة، وهو من أسرار بعث الشوق في النفوس لكتابة وتلاوة القرآن ومن عمومات قوله تعالى ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾^(١).

ويحتمل كتابة عموم الصحابة من المهاجرين والأنصار للقرآن وجوهاً :
الأول : كتابة الآيات والسور التي تنزل في المدينة .

الثاني : كتابة كل سور وآيات القرآن سواء المكية أو المدنية .

الثالث : يكتب المسلم ما يحتاج إليه من السور والآيات خاصة في الصلاة .

الرابع : كتابة آيات الأحكام .

ولا تعارض بين هذه الوجوه ، إذ يكتب المسلمون ما يتلوه النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم عليهم من الآيات والسور وما يقرأونه في المساجد والمنتديات ، وفي حال الحضر والسفر .

وعن زيد بن ثابت حينما تولى جمع القرآن بتكليف من أبي بكر قال: فتتبع القرآن (فتتبع القرآن أجمعه من العُسب واللِّخاف وصدور الرجال، ووجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري لم أجد لها مع غيره: { لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ }^(٢) حتى خاتمة براءة، فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله، ثم عند عمر حياته، ثم عند حفصة بنت عمر)^(٣). وهذا الجمع من مصاديق قوله تعالى ﴿إِنَّا نَحْنُ نُزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾^(٤) ، وكانت كتابة القرآن تتم على :

(١) سورة الحجرات ٧.

(٢) سورة التوبة ١٢٨.

(٣) تفسير ابن كثير ٢٥/١.

(٤) سورة الحجر ٩.

الأول : الرقاع : جمع رقعة وهي التي تستعمل في الكتابة ، وتكون من كاغد أو جلد .

الثاني : الأكتاف : جمع كتف وهو عظم عريض في أصل كتف الحيوان ، كانوا يأخذونه من الذبيحة ، فيكتبون فيه لعدم توفر القراطيس .
الثالث : العُسْبُ : جمع عسيب ، وهو جريد النخل ، إذ يكشطون الخوص منه ، ويكتبون في الطرف العريض ، وقيل أنه طرف الجريدة من الأصل ، وهو الذي لا ينبت عليه الخوص ، والأول أصح .

الرابع : اللخاف : جمع لخفة ، وهي (حجارة بيض رقاق)^(١) .
الخامس : الأضلاع : جمع ضَلَع من عظام قفص الصدر منحن ، وفيه عرض واعوجاج ويجمع على أضلع ، وضلوع ، وأضلاع .
السادس : الأقتاب : جمع قتب وهو الرحل ، ويقال اقتب البعير : إذا شد عليه القتب .

السابع : الألواح : جمع لوح ، وهو الصحيفة العريضة من الخشب ، كما أن الكنف إذا كتب عليها تسمى لوحاً .
وفي التنزيل ﴿وَكُتِبَ لَهُ فِي الْأَلْوَابِ﴾^(٢) (عن الإمام جعفر بن محمد الصادق عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : الألواح التي أنزلت على موسى كانت من سدر الجنة ، كان طول اللوح إثني عشر ذراعاً) .

الثامن : الأديم : جمع القطعة من الجلد ، وقيل الذي يكتب عليه خصوص أحمر اللون منه ، وقيل هو المدبوغ .
التاسع : الكرانيف : جمع كرنافة وهو أصل السعفة الملتزق بجذع النخلة فيكون كالكتف في عرضه والكتابة عليه .

(١) المحيط في اللغة ١/٣٦٣ .

(٢) سورة الأعراف ١٤٥ .

ويدل تعدد الوسائل التي يكتب بها الصحابة القرآن على أمور :
الأول : كثرة أهل المدينة الذين يكتبون في الصحائف في الغالب ، ومن أهل القرى الذين يكتبون في الأكتاف ونحوها .
الثاني : رغبة وشوق المسلمين لتدوين آيات القرآن بما تيسر من مادة الكتابة .

الثالث : لم تمنع حال العوز التي عليها المسلمون من تدوين المسلمين لآيات القرآن ، بما تيسر ، وهو من إعجاز القرآن الغيري ، وكيف أنه يبعث المؤمنين على تدوينه ، ويحث المسلمين والمسلمات على تعلم القراءة والكتابة لإدراك الصحابة رجالاً ونساءً كبرى كلية وهي لزوم حفظ وتوثيق كل كلمة من القرآن ، وبقاؤها تركة عقائدية للأجيال المتعاقبة .

ومن إعجاز القرآن إدراك كل جيل حاجتهم لآيات القرآن ، وشكرهم لله عز وجل على سلامتها من التحريف والزيادة والنقصان في أي حقبة أو زمان ومن حين نزولها على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، قال تعالى ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾^(١) أي لا تصل إليه يد التحريف في أي زمان في كل من :

- الأول : رسم القرآن .
- الثاني : ترتيب آيات القرآن بلحاظ أنه توقيفي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بتعليم جبرئيل .
- الثالث : نظم آيات القرآن .
- الرابع : الضبط في كلمات الآيات القرآنية .
- الخامس : تلاوة آيات القرآن .
- السادس : التفسير والتأويل .
- السابع : معاني ودلالات الآية القرآنية .

الثامن : استنباط المسائل والقواعد والقوانين من الجمع بين آيات القرآن ، ومنه صدور الجزء المبارك الواحد والتسعون بعد المائة من تفسيرنا للقرآن الذي جاء بالصلة بين الآية (١٨٠) والآية (١٨١) من سورة آل عمران .

ولم يجعل الله عز وجل حفظ القرآن إلى غيره سواء من الملائكة أو المسلمين ، إنما تولى بنفسه سبحانه حفظ القرآن ، وهو تشریف للقرآن ورحمة من الله بالناس ليضئ القرآن دروب الهداية للناس .

وكان جبرئيل يتدارس مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم القرآن مرة في السنة ، وفي السنة التي إنتقل فيها النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى الرفيق الأعلى عارضه مرتين فعلم أنها سنة الرحيل والمغادرة .

الخامس : الله الذي علم بالقلم ولا يقدر على التعليم بالقلم إلا هو سبحانه .

السادس : الله الذي علم بالقلم هبة للناس وسبيل هداية .

السابع : علم الله بالقلم خليفته في الأرض .

الثامن : الله الذي علم بالقلم ليشكره الناس على نعمة التعليم ، وفي التنزيل في الثناء على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾^(١) .

التاسع : الله هو الذي علم بالقلم ليتفقه الناس في الدين ويتوارثون أحكام الشريعة ، قال تعالى ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾^(٢) .

(١) سورة آل عمران ١٦٤ .

(٢) سورة التوبة ١٢٢ .

العاشر : سبحانه الله الذي علم بالقلم ليدرك الناس أن هذا التعليم معجزة جعلها الله عز وجل هبة للناس جميعاً ، وهو من مصاديق رحمة الله عز وجل للناس في الدنيا .

الحادي عشر : هو الذي علم بالقلم ليتخذ الناس التعلم وسيلة لشكره لأداء الفرائض على نحو الكمال والتمام في الشرائط والأجزاء والكيفية والزمان .

الثاني عشر : الذي علم بالقلم ليجتنب الناس الإرهاب والعنف والتعدي .

الثالث عشر : الذي علم بالقلم لبعث النفرة في النفوس من الظلم والتعدي .

الرابع عشر : الذي علم بالقلم لتوثيق وتثبيت الكتب السماوية .
الخامس عشر : الذي علم بالقلم لتدوين سنن الأنبياء ، ومنها السنة النبوية التي تتصف في المقام بأمور :
أولاً : السنة المصدر الثاني للتشريع بعد كتاب الله عز وجل .
ثانياً : السنة النبوية تفسير وبيان للقرآن .

ثالثاً : حاجة المسلمين للعمل بالسنة النبوية قال تعالى ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ (١) .

السادس عشر : الذي علم بالقلم القرآن ، بكتابة آياته وسوره ، وهو لا يتعارض مع حفظ المسلمين له عن ظهر قلب ، فتكون الكتابة رديفاً للحفظ ومقدمة وضابطة له ، وفي القرض والديون بين الناس ، قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُبَ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ

اللَّهُ رَبُّهُ وَلَا يَخْسُ مِنْهُ شَيْئًا فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهَا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا وَلَا تَسْأَمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَى أَجَلِهِ ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَىٰ أَلَّا تَرْتَابُوا إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِنْ تَفَعَّلُوا فَإِنَّهُ فَسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١﴾ (٢).

السابع عشر : الذي علم بالقلم ليكون القلم مصاحباً لوجود الإنسان في الأرض ، وهو من أسرار قوله تعالى ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ (٣).

الثامن عشر : الذي علم بالقلم لتقوم الحجة على الناس في وجوب الإيمان بلحاظ كتابة وتوثيق الكتب السماوية وسنن الأنبياء ، قال تعالى ﴿فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ﴾ (٤).

التاسع عشر : الله الذي علم الأمم كلها بالقلم ، ولا يقدر على هذا العموم في التعليم إلا الله عز وجل ، فتباين اللغات واللهجات بين

(١) سورة البقرة ٢٨٢.

(٢) أنظر الجزء التاسع والأربعين من هذا السفر الذي جاء خاصاً بتفسير هذه الآية .

(٣) سورة البقرة ٣٠.

(٤) سورة الأنعام ١٤٩.

الشعوب والأمم ، ولكنها جميعاً تكتب بالقلم بما علمهم وهداهم الله عز وجل إليه ، وفي التنزيل ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾^(١) .

العشرون : الله الذي علم بالقلم لقيام الأنبياء بالتبليغ وتوارث الأجيال أحكام الشريعة بالكتابة والتدوين .

الحادي والعشرون : الله الذي علم بالقلم لتنظيم المعاملات بين الناس ، وضبط الحقوق والواجبات .

الثاني والعشرون : الله الذي علم بالقلم لمعرفة نصب الزكاة والخمس وقيام المؤمنين باخراجها من أموالهم سواء في النقدين أو الأنعام الثلاثة أو الغلات الأربعة .

وهل يمكن تقدير الآية الله الذي علم الجن والإنس بالقلم ، أم أن التعليم بالقلم خاص بجنس البشر .

المختار هو الأول ، ويمكن الاستدلال عليه بقوله تعالى ﴿وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾^(٢) .

(عن ابن عباس قال : كان آصف كاتب سليمان وكان يعلم الاسم الأعظم ، وكان يكتب كل شيء بأمر سليمان ويدفنه تحت كرسيه ، فلما مات سليمان أخرجته الشياطين فكتبوا بين كل سطرين سحراً وكفراً ، وقالوا : هذا الذي كان سليمان يعمل به ، فأكفروه جهال الناس وسبوه ، ووقف علماؤهم فلم يزل جهالهم يسبونهم حتى أنزل الله على محمد { واتبعوا ما تتلوا الشياطين }^(٣)^(١) .

(١) سورة الأحزاب ٤.

(٢) سورة البقرة ١٠٢.

(٣) سورة البقرة ١٠٢.

ويتصف الجن بالقدرات الفائقة من سرعة الحركة والتنقل في الفضاء والقدرة على التشكل بهيئات مختلفة ومعرفتهم بالمهارات ، لتدخل الكتابة والقراءة فيها .

وفي جنود سليمان من الجن ، قال تعالى ﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِبَ وَمَتَائِلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ (٢).

ومن منافع قيام النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بتدوين آيات القرآن حال نزولها ، بيعته على كتاب الوحي عندما يغادره جبرئيل والوحي ، فيتلو عليهم آيات القرآن ، ثم يقوم النبي صلى الله عليه وآله وسلم بتلاوة هذه الآيات في الصلاة اليومية ، ومن لم يكن حاضراً عند النبي ساعة نزول الوحي ، أو أن الوحي نزل على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو في بيته مثلاً فإنه يسمع آيات القرآن في الصلاة ، وهو من الإعجاز من جهات :

الأولى : وجوب قراءة القرآن في كل ركعة من الصلاة .

الثانية : أداء النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم الصلاة جماعة خمس مرات في اليوم ، بأن يؤم المسلمين والمسلمات في المسجد النبوي إن كان حاضراً ، كما يؤمهم في السفر والترحال .

الثالثة : إرتقاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم المنبر ، وتلاوته القرآن ، وبيانه مضامين ومعاني القرآن وهو على المنبر .

الرابعة : إجابة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم على استئلة المسلمين بخصوص القرآن .

(١) الدر المنثور ١/١٧٧.

(٢) سورة سبأ ١٣.

الخامسة : إتحاذ النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم القرآن وسيلة للإحتجاج.

لقد جعل الله عز وجل للقرآن حصانة للنفوس ، وواقية للمجتمعات من الإقتتال والإرهاب ، فتفضل الله وعصمه من التحريف والتبديل ، ومن أسباب وصيغ هذه العصمة ، تدوينه في الصحف ونقره في القلوب واستقراره في الحافظة العامة للمسلمين حالما ينزل من عند الله.

وهل يدل قوله تعالى ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾^(١)، على سلامة القرآن من التحريف أم ان القدر المتيقن من الآية أعلاه هو سلامة القرآن من الزيادة والنقيصة ونحوها حتى يبلغ جبرئيل النبي صلى الله عليه وآله وسلم الآيات.

المختار هو الأول ، إذ تدل الآية أعلاه على مشيئة الله عز وجل بسلامة القرآن من التحريف ، وكما يحفظ بنزول جبرئيل به فكذا يتفضل الله ويهيئ أسباب حفظ القرآن في الأرض، قال تعالى ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾^(٢)، كما يدل عليه قيام جبرئيل بتدارس القرآن مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم كل سنة مرة ، وتدارسه معه مرتين في السنة التي غادر فيها النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى الرفيق الأعلى.

وهل يحتاج المسلمون والناس سلامة القرآن من التحريف لمواجهة الإرهاب واستئصاله ، الجواب نعم ، فكل ما نزل من السماء نعمة وواقية من الإرهاب .

(١) سورة الشعراء ١٩٣.

(٢) سورة المدثر ٣١.

أصل المنهج المقارن من أيام آدم

ومن القواعد العامة في تطبيق المنهج المقارن بعد تحديد موضوع المقارنة مسألتان :

الأولى : إحصاء وعرض وجوه التشابه التي يلتقي فيها موضوع الدراسة والتحقيق .

الثانية : حصر وجمع الوجوه التي تختلف في الموضوع أو الحكم ، وبعد فهم وتفسير موضوع المقارنة ينتقل إلى الخروج بخلاصة ونتائج ، وقيل أن أرسطو هو أول من استخدم المنهج المقارن في دراساته الفلسفية والاجتماعية ، وأن عدداً من العلماء العرب أولوا هذا المنهج عناية زائدة مثل ابن خلدون والفارابي .

ولكن المنهج المقارن مصاحب للإنسان من حين خلق ونفخ الروح فيه من عند الله ، وهو فرع نعمة العقل عند الناس ، وتجلى بأمر الله عز وجل لآدم أن يخبر الملائكة باسماء الموجودات بعد أن عجزوا عنها ، كما ورد في التنزيل ﴿ قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ ^(١) .

ولم يرد لفظ ﴿بِأَسْمَائِهِمْ﴾ في القرآن إلا مرتين ، وكلاهما في الآية أعلاه لبيان تأسيس المنهج المقارن ، وتسليح آدم به قبل أن يهبط إلى الأرض ليكون عوناً له ولحواء في حوارهما وفي تأديب وهداية الأولاد إلى سبل الإيمان .

ومن ضروب الإختلاف الموضوعي بين كيد النسوة في قوله تعالى ﴿إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾^(١) وبين ضعف كيد الشيطان كما في قوله تعالى ﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾^(٢) وجوه :

الأول : محي آية ﴿إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾ خطاب مشافهة صدر من ملك مصر إلى بضعة نسوة فقط ممن قطعن أيديهن بدل الفاكهة عندما رأى يوسف عليه السلام وشدة جماله ، كما ورد في التنزيل ﴿فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾^(٣) أما قوله تعالى ﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾^(٤) فهو خطاب من عند الله عز وجل للمسلمين .

الثاني : التباين في موضوع الآيتين ، فقد نزلت الآية من سورة يوسف في كيد وظلم النسوة ليوسف عليه السلام وراودته عن نفسه (قال جعفر بن سليمان : سمعت امرأة في بعض الطرق وهي تتكلم ببعض الرفث فقلت لها (....) إنكن صويحبات يوسف ، فقالت له المرأة : واعجباً نحن دعوناه إلى اللذة ، وأنتم أردتم قتله ، فمن أصحابه نحن أو أنتم ، وقتل النفس أعظم مما أردناه)^(٥) .

(١) سورة يوسف ٢٨ .

(٢) سورة النساء ٧٦ .

(٣) سورة يوسف ٣٤ .

(٤) سورة النساء ٧٦ .

(٥) الكشف والبيان للثعلبي ١٦٦/٧ .

أما الآية أعلاه من سورة النساء فقد جاءت بخصوص قتال المشركين للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وإعانة الشيطان لهم وأتباعهم لخطواته ونهجه .

الثالث : قانون الإيمان واقية من الكيد ، للرجل والمرأة .

الرابع : إنقطاع كيد المرأة ، بتبدل الحال ، أما كيد الشيطان فهو متصل بجنث .

قانون إحصاء الله لأقوال الناس

قد تقدم علم الإحصاء^(١) ، وأنه مصاحب للإنسان في وجوده في الأرض ، وتفضل الله عز وجل ورزق الإنسان العقل ليتخذه وسيلة للإحصاء والتدبر والتدبير في حياته ، وإصلاح نفسه للمثول بين يدي الله عز وجل للحساب ، هذا المثول الذي يتقوم بالإحصاء والميزان ومعرفة مقدار وكم الحسنات وثوابها ، والسيئات وعددها ، ويدخل الإحصاء بخصوص مضاعفة الحسنات دون السيئات .

فان قلت قد نزل قوله تعالى ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ* وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾^(٢) ، يتضمن المثلية في رؤية الأثر ، والجواب إن القرآن يفسر بعضه بعضاً ، وقد نزلت بالخصوص آيات منها آيتان .

الأولى : وتتضمن البشارة بأن ثواب الحسنة عشر مرات بقدرها مع بقاء السيئة في الجزاء بذات مقدارها كماً وكيفاً ، قال تعالى ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلُهَا﴾^(٣) .

(١) انظر الجزء السابع والخمسين ص ١٣١ (علم الإحصاء القرآني).

أنظر الجزء السادس والسبعين بعد المائة ص ١٣٤ (علم الإحصاء الموضوعي)

(٢) سورة الزلزلة ٧-٨ .

(٣) سورة الأنعام ١٦٠ .

الثانية : مضاعفة الإنفاق في سبيل الله أضعافاً كثيرة ، قال تعالى ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَتَتْ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾^(١).

والنسبة بين موضوع الآيتين أعلاه العموم والخصوص المطلق ، فأتيان الحسنة أعم من الإنفاق في سبيل الله ، وكل من الآيتين أعلاه حرب على الذين كفروا والذين يمنعون الحق الشرعي ، وقد ورد التوبيخ في القرآن للذين ﴿يَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾^(٢) ، فمن باب الأولوية القطعية أن الله عز وجل لا يرضى على الذين يمتنعون عن دفع الزكاة .

ومن خصائص قانون الإحصاء في المقام أن السيئات ، تحصى بذاتها ومقدارها من غير زيادة ، أما الحسنات فانها تحصى بذاتها وثوابها المضاعف أضعافاً كثيرة ، وفي قوله تعالى ﴿وَإِنْ تَكُنْ حَسَنَةً يُّضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾^(٣) .

(وقال قتادة : في هذه الآية ذكر لنا أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : الأعمال ستة فموجبة وموجبة مضاعفة ومثل ويمثل فأما الموجبتان فمن لقي الله لا يشرك به شيئاً دخل الجنة ومن لقي الله يشرك به دخل النار ،

فأما المضاعفتان فنفقة الرجل على أهله عشر بعشر أمثالها ونفقة الرجل في سبيل الله سبعمائة ضعف ،

(١) سورة البقرة ٢٦١ .

(٢) سورة الماعون ٧ .

(٣) سورة النساء ٤٠ .

وأما مثل بمثل فإنَّ العبد إذا همَّ بحسنة ثمَّ لم يعملها كُتبت واحدة وإذا عملها كُتبت (عشرة).

وعن سفيان الثوري لما نزلت

{مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ مِثَالِهَا} ^(١) قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ربي زدني فنزلت {مثل الذين يُنفقون أموالهم في سبيل الله مثل حبة} ^(٢)، الآية قال : يا رب زدني فنزلت {مَنْ ذَا الَّذِي يُقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له أضعافاً كثيرة} ، قال : رب زدني ، فنزلت : إنما يوفى الصابرون أجورهم بغير حساب} ^(٣).

وكما تبين الآيات إحصاء الله عز وجل للعمل الصالح فإنها تبين إحصاء أقوال الذين جحدوا بالنبوة والتنزيل منها ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَخَنٌ أُغْنِيَاءُ سَنَكُتُ مَا قَالُوا وَقَتَلَهُمُ الْآنِبِيَاءُ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقُولُ ذُقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ ^(٤) وهل صدر قول الذين ظلموا ﴿إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَخَنٌ أُغْنِيَاءُ﴾ مرة واحدة أم مرات متعددة ، الظاهر أنه الثاني ، وأن لغة التعدي والظلم التي يتصفون بها تتكرر منهم في موضوع الآية أعلاه وغيره بدليل ذكر الآية لقول الذين كفروا وقولهم الخاص ﴿وَقَالُوا﴾ وتتضمن آيات كثيرة من القرآن

الإخبار بأن الله عز وجل يحصي أقوال وأفعال الناس منها :

(١) سورة الأنعام ١٦٠.

(٢) سورة البقرة ٢٦١.

(٣) الكشف والبيان للثعلبي ٣٢٧ / ٥.

(٤) سورة آل عمران ١٨١.

الأولى : قوله تعالى ﴿وَإِنْ تُعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾^(١)، وتدل الآية بالدلالة التضمنية على إحصاء الله عز وجل لما أنعم به على كل إنسان ، وفي التنزيل ﴿ثُمَّ لَتَسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾^(٢).

الثانية : قوله تعالى ﴿مَا لَ هَذَا الْكِتَابِ لَا يَغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أُحْصَاهَا﴾^(٣).

الثالثة : قوله تعالى ﴿لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا﴾^(٤).

الرابعة : قوله تعالى ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾^(٥).

الخامسة : قوله تعالى ﴿أَحْصَاهُ اللَّهُ وَسُوهُ﴾^(٦).

السادسة : قوله تعالى ﴿وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾^(٧).

السابعة : قوله تعالى ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا﴾^(٨).

الثامنة : قوله تعالى ﴿وَمَا أَذْرَاكَ مَا عَلَيُنَا * كِتَابٌ مُرْقُومٌ﴾^(٩).

وإحصاء الله لأقوال الناس من مصاديق قوله تعالى ﴿وَأَحْصَى كُلَّ

شَيْءٍ عَدَدًا﴾^(١).

(١) سورة ابراهيم ٣٤.

(٢) سورة التكاثر ٨.

(٣) سورة الكهف ٤٩.

(٤) سورة مريم ٩٤.

(٥) سورة يس ١٢.

(٦) سورة المجادلة ٦.

(٧) سورة الجن ٢٨.

(٨) سورة النبأ ٢٩.

(٩) سورة المطففين ١٩-٢٠.

وهل يتولى الله نفسه إحصاء الأفعال أم يجعل ملائكة كاتبين يقومون في الليل والنهار بإحصاء أقوال الناس وآخرين منهم يوثقون هذه الأقوال .
الجواب لا مانع من إجتماع الأمرين ، ليرى الملائكة عظيم قدرة الله عز وجل إذ أن جميع الأشياء حاضرة عنده ، وعندما احتج الملائكة على جعل الله عز وجل ﴿فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾^(٢) بأن شطراً من الناس يفسدون في الأرض ، ويشيعون القتل رد الله عز وجل عليهم بقوله ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٣).

ومن علم الله تفضله بأمر الملائكة بإحصاء أقوال وأعمال بني آدم فيسمعون ويرون الكلام والفعل الحسن للذين آمنوا ، ويمهلون الذي يقول ويفعل السيئة برهة من الزمن للتوبة والإنابة ، وهذا الإمهال فرع فضل الله عز وجل بقوله ﴿سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾^(٤)، ولم يقل الله عز وجل قد كتبنا ما قالوا.

وبين الإحصاء والكتابة في المقام عموم وخصوص مطلق ، فالإحصاء من عند الله عز وجل أعم وأكثر مما يتفضل بكتابته ، وتدل آية البحث على أن الإحصاء في المقام سابق زماناً لكتابة القول والفعل السيئ .
وتتضمن آية أعلاه الإحصاء من وجوه :

الأول : أقوال الذين يصدون عن النبوة والتنزيل .

الثاني : قول ﴿إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ﴾.

(١) سورة الجن ٢٨.

(٢) سورة البقرة ٣٠.

(٣) سورة البقرة ٣٠.

(٤) سورة آل عمران ١٨١.

الثالث : قول الذين يمجّدون ﴿وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾.

الرابع : قتل الأنبياء .

الخامس : أسباب الضلالة والفسوق التي وراء قتل الكافرين لعدد من الأنبياء لقوله تعالى ﴿بَغْيٌ حَقٌّ﴾.

السادس : عذاب الذين كفروا ، وكيفيته .

قانون إحصاء الأقوال في القرآن

لابد من تأليف مجلدات في علوم القرآن تتعلق بالإحصاء من جهات :
الأولى : أقوال الأنبياء ، ومن خصائص هذه الأقوال إتصافها بالحسن الذاتي والغيري وأنها شعبة من الوحي .

الثانية : موضوعية أقوال الأنبياء الواردة في القرآن مقدمة وبشارة لبعثة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

الثالثة : لقد ورد قوله تعالى ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾^(١) ويتلو كل مسلم ومسلمة هذه الآية سبع عشرة مرة في اليوم ، وتفضل الله عز وجل وأنزل في القرآن أقوالاً للأنبياء في الدعوة إلى الله ، وإقامتهم الحجة على قومهم ووصاياهم إلى أصحابهم ، وفي وصية يعقوب لبنيه ورد في التنزيل ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهاً وَاحِداً وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾^(٢).

الرابعة : ثبوت صدق نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالإلتقاء والإتحاد والتشابه بين سنته وسنن الأنبياء .

(١) سورة الفاتحة ٦.

(٢) سورة البقرة ١٣٣.

الخامسة : توثيق أقوال المؤمنين والصالحين من الأمم السابقة الواردة

في القرآن ، منها ما ورد بخصوص حبيب النجار ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ * اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُنْهَدُونَ * وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ * أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِدْنِي الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِذُونِ * إِنِّي إِذَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ * إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمِعُونِ ۝﴾^(١).

السادسة : إحصاء أقوال النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم الواردة

في القرآن مثل قوله تعالى ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ۝﴾^(٢).

وقال تعالى ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝﴾^(٣) وهل يدخل مع لفظ ﴿قُلْ﴾ الأمر الصادر من عند الله للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم الجواب نعم ، فما من أمر في القرآن ﴿قُلْ﴾ إلا قاله الرسول مرات متعددة في الصلاة ، وعلى المنبر وقد بدأت خمس آيات متتالية بكلمة ﴿قُلْ﴾ تبدأ بقوله تعالى ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَنِئْىَ وَفُرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ۝﴾^(٤).

(١) سورة يس ٢٠-٢٤.

(٢) سورة الفرقان ٣٠.

(٣) سورة النجم ٣.

(٤) سورة سبأ ٤٦.

وقد ورد لفظ ﴿قُلْ﴾ خمس مرات في آية واحدة وهو قوله تعالى ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهُ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ (١).

وورد في آية أخرى أربع مرات كما في قوله تعالى ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَتَيْنَكُمْ لَتُشْهَدُوا بِأَنَّا مَعَ اللَّهِ إِلَهٌ آخَرُ قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ وَإِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾ (٢).

ومن الإعجاز في الآيتين أعلاه مجئ الأمر إلى النبي بأن يبادر إلى السؤال ثم يقوم بالجواب ليكون كلاً منهما بياناً وحجة على الناس .
وتحدد في القرآن (٣٣٢) إذ جاءت في باب التشريع والعبادات والعقائد .

وما ورد في التشريع على قسمين :

أولاً : الأوامر كما في قوله تعالى ﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَرُدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (٣).
ثانياً : النواهي كما في قوله تعالى ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّي عَلَيْكُمْ الْأَشْرَافُ بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا

(١) سورة الرعد ١٦.

(٢) سورة الأنعام ١٩.

(٣) سورة التوبة ١٠٥.

الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكَمُ وصَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١﴾

ومن إعجاز القرآن أن الأمر من الله إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم ﴿قل﴾ يبدأ الإمتثال له في ساعة نزوله ، إذ أن تبليغ النبي صلى الله عليه وآله وسلم أي آية من آيات ﴿قل﴾ للناس هو مصداق للإمتثال في الآية الكريمة ليتلو المسلمون ذات القول آلاف المرات كل يوم .

وجاء (قل) في القرآن في الحوار واحتجاج النبي صلى الله عليه وآله وسلم على المشركين وفي نبذ الخصومة والفتنة بين المسلمين وأهل الكتاب كما في قوله تعالى ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ (٢) .

وفي الآية ترغيب للمسلمين بالحوار وتبادل الأفكار والعلوم مع أهل الكتاب وتدل في مفهومها على لزوم نبذ القتال بين المسلمين وأهل الكتاب ، ليفيد معنى الأمر للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالقتال في القرآن الدفاع المحض ، والحيلولة دون الظلم والهجوم المباغت على المسلمين في عقر دارهم .

وليس من أمة تمتثل لأمر (قل) مثل المسلمين من جهات :

الأولى : قول المسلمين والمسلمات كل يوم من أيام الدنيا (قل) في الصلاة بصيغة القرآنية .

الثانية : كثرة القائلين (قل) في كل ساعة من ساعات الحياة الدنيا .

(١) سورة الأنعام ١٥١.

(٢) سورة آل عمران ٦٢.

الثالثة : إتصاف المسلمين بقانون ، وهو قولهم (قل) مع إمتثالهم لمضامين ومقول القول ، كما في قوله تعالى ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾^(١) وفيه وجوه :

الأول : تلاوة المسلمين هذه الآية .

الثاني : إقرار المسلمين بأن هذه الآية نازلة من عند الله خطاباً للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

الثالث : إدراك المسلمين بأن خطابات القرآن الموجهة إلى النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم تتوجه إليهم أيضاً بالإلحاق إلا ما دل الدليل على خلافه من مختصات النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم مثل قوله تعالى ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ فَنَ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾^(٢) .

الرابع : تلاوة المسلمين آيات ﴿قل﴾ في الصلاة وخارجها .

الخامس : إتخاذ المسلمين آيات ﴿قل﴾ موضوعاً للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فيما بينهم ، ومع عموم الناس ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾^(٣) .

السادس : صيرورة لفظ ﴿قل﴾ القرآني حرزاً للمسلمين من القتال والغزو ، فمعنى آية ﴿قل﴾ أي يا أيها النبي بلغ ، وتكلم ، وأقم الحجة ، واتل القرآن ، ومنه قوله تعالى ﴿قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتَدْعُونَ

(١) سورة الإخلاص ١.

(٢) سورة الكهف ١١٠.

(٣) سورة آل عمران ١١٠.

إِلَى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تَقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسَلِّمُونَ فَإِنْ تَطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِنْ تَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١﴾.

السابع : بيان معجزة للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وهي كفاية ﴿قل﴾ في دعوة الناس للهداية والإيمان ، ولا تصل النوبة للقتال .

وتقدير معنى ﴿قل﴾ على وجوه :

الأول : قل يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

الثاني : اتل آيات القرآن على المسلمين وغيرهم ، قال تعالى ﴿وَاتْلُ مَا

أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾ (٢).

الثالث : إذكر منهاج الإيمان .

الرابع : قل ما يبدي الناس إلى الصراط المستقيم .

الخامس : قل فان الناس بحاجة إلى سماع قول النبي .

السادس : قل ما يأتيك من الوحي .

السابع : بلغ الأحكام الشرعية .

الثامن : قل ما يسوق الناس إلى الجنة .

التاسع : قل ما يحجب الناس عن النار .

العاشر : قل ففي قولك كفاية وغنى عن القتال .

الحادي عشر : قل وسيجعل الله أمة تسمع لقولك .

الثامن : بيان موضوعية القول السليم في إحقاق الحق ، ودرء الباطل ،

وكان أتباع الأنبياء يتوارثون البشارات ببعثة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ومن العقلاء من يأبى بالفطرة عبادة الأوثان ، خاصة وأن دعوة

(١) سورة الفتح ١٦.

(٢) سورة الكهف ٢٧.

إبراهيم للتوحيد حاضرة في مجتمعات قريش ، وصار الناس يتطلعون إلى بعثة نبي آخر الزمان لإنقاذ المجتمعات من مستنقع الضلالة.

(عن أبي أمامة قال: قال عمرو بن عبسة السلمي

: كنت وأنا في الجاهلية أظن أن الناس على ضلالة وأنهم ليسوا على شيء وهم يعبدون الأوثان فسمعت برجل بمكة يخبر أخبارا فقعدت على راحلتي فقدمت عليه فإذا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مستخفيا جراء عليه قومه فتلطفت حتى دخلت عليه بمكة فقلت له ما أنت.

قال : أنا نبي فقلت وما نبي.

قال : أرسلني الله . فقلت : وبأي شيء أرسلك.

قال : أرسلني بصلة الأرحام وكسر الأوثان وأن يوحد الله لا يشرك به شيء .

قلت : له فمن معك على هذا ، قال : حر وعبد (قال ومعه يومئذ أبو بكر وبلال ممن آمن به) .

فقلت : إني متبعك .

قال : إنك لا تستطيع ذلك يومك هذا ألا ترى حالي وحال الناس ؟ ولكن ارجع إلى أهلِكَ فإذا سمعت بي قد ظهرت فأتني .

قال : فذهبت إلى أهلي وقدم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المدينة وكنت في أهلي فجعلت أنخبِر الأخبار وأسأل الناس حين قدم المدينة حتى قدم على نفر من أهل يثرب من أهل المدينة .

فقلت : ما فعل هذا الرجل الذي قدم المدينة ؟

فقالوا : الناس إليه سراع وقد أراد قومه قتله فلم يستطيعوا ذلك فقدمت المدينة فدخلت عليه فقلت يا رسول الله أتعرفني ؟

قال : نعم أنت الذي لقيتني بمكة ؟ فقلت : بلى .

فقلت يا نبي الله أخبرني عما علمك الله وأجهله أخبرني عن الصلاة ؟
قال صل صلاة الصبح ثم أقصر عن الصلاة حتى تطلع الشمس حتى ترتفع
فإنها تطلع حين تطلع بين قرني شيطان وحينئذ يسجد لها الكفار ثم صل
فإن الصلاة مشهودة محضورة حتى يستقل الظل بالرمح ثم أقصر عن
الصلاة فإن حينئذ تسجر جهنم .

فإذا أقبل الفياء فصل فإن الصلاة مشهودة محضورة حتى تصلي
العصر .

ثم أقصر عن الصلاة حتى تغرب الشمس فإنها تغرب بين قرني شيطان
وحينئذ يسجد لها الكفار .

قال فقلت يا نبي الله فالوضوء ؟ حدثني عنه قال ما منكم رجل يقرب
وضوءه فيتمضمض ويستنشق فينتشر إلا خرت خطايا وجهه وفيه وخياشيمه
ثم إذا غسل وجهه كما أمره الله إلا خرت خطايا وجهه من أطراف لحيته
مع الماء ثم يغسل يديه إلى المرفقين إلا خرت خطايا يديه من أنامله مع الماء
ثم يمسح رأسه إلا خرت خطايا رأسه من أطراف شعره مع الماء ثم يغسل
قدميه إلى الكعبين إلا خرت خطايا رجليه من أنامله مع الماء .

فإن هو قام فصلى فحمد الله وأثنى عليه ومجده بالذي هو له أهل
وفرغ قلبه لله إلا انصرف من خطيئته كهيئته يوم ولدته أمه .

فحدث عمرو بن عبسة بهذا الحديث أبا أمامة صاحب رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم .

فقال له أبو أمامة يا عمرو بن عبسة انظر ما تقول في مقام واحد يعطى
هذا الرجل .

فقال عمرو يا أبا أمامة لقد كبرت سني ورق عظمي واقترب أجلي وما
بي حاجة أن أكذب على الله ولا على رسول الله لو لم أسمع من رسول

الله صلى الله عليه وآله وسلم إلا مرة أو مرتين أو ثلاثاً (حتى عد سبع مرات) ما حدثت به أبداً ولكني سمعته أكثر من ذلك) (١) .

ومن الإعجاز ما جعل الله عز وجل من السعة والمندوحة للقول والخطاب على المنبر وفي المسجد الحرام والمسجد النبوي ، وفي حال الحضر والسفر ، وفي المجالس ، وفي الكتائب ، وفي سوح القتال وحال الدفاع ، فحينما أمر الله عز وجل النبي بالقول والكلام والتبليغ فانه سبحانه هيئ له مقدمات وأسباب الإستماع ، وجعل أمة من الناس تنصت وتستمع له ، وتعمل بما جاء به من عند الله عز وجل .

وهل تلحق الكتابة والتأليف بالقول وأمر الله ﴿قل﴾ الجواب نعم ، فالكتابة والتدوين لسان وعلم ، وإذ ينقطع الكلام في أوانه ويبقى أثره ، فان الكتابة تبقى بذاتها ورسمها وأثرها ، ويضاف لها ترجمتها إلا كلام الله والنبي فهما باقيان إلى يوم القيامة .

وتتعدد المضامين القدسية للأمر الإلهي (قل) ، ولا تختص بظاهر الآية والفرد المأمور به ، إنما تأتي الأوامر بالأصول لتتفرع عنها علوم وأوامر ونواهي متعددة ، وتقتبس منها المواعظ .

ويدل لفظ (قل) في القرآن في مفهومه على أن الإفتقار إلى الله سبب لإفاضة الإرزاق والمواهب السنية ، ويتجلى في تكراره وكثرة مواضعه قانون وهو أن الإسلام انتشر بلفظ (قل) النازل من السماء ، وأنه يحرم الإرهاب والقتل العشوائي ، لأنه ضد للفظ (قل) إذ أن تكرار (قل) في القرآن من مصاديق قوله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (٢) ، فيهتدي الناس إلى الإيمان بالحجة والبرهان .

(١) صحيح مسلم ٥٦٩/١ .

(٢) سورة الأنبياء ١٠٧ .

وكل فرد من أفراد (قل) في القرآن والموضوع ، الذي يختص به رحمة
بالناس وضياء ينير لهم دروب الهداية والصلاح ، من غير إرهاب وإكراه
﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا
لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾^(١).

بحث كلامي

ورد لفظ السميع في القرآن خمساً وأربعين مرة ، وتدل هذه الكثرة
على موضوعية السمع ولزوم إحتراز الناس من فاحش القول ، ومن
النميمة والغيبة والفتنة ، قال تعالى ﴿وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ﴾^(٢).

وتحذر هذه الكثرة في ذكر القرآن لصفة السميع الناس من قول ﴿إِنَّ
اللَّهَ فَقِيرٌ﴾ إذ أخبرت الآية أن الله عز وجل سمع هذا القول ، ولا بد من
جعل موضوعية في باب صفة السميع للإخبار عن سمع الله عز وجل
لأقوال صدرت أو تصدر من الناس كما في قوله تعالى ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ
الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا﴾^(٣) فحالما نطق هؤلاء
بهذا الكلام سمعه الله عز وجل ثم أنزل به قراناً ، ولكنه لم يكتب قولهم
ويدونه في الحال ليحاسبهم عليه حيثئذ ، إنما أمهلهم بقوله تعالى ﴿سَنَكْتُبُ﴾
وفيه بشارة للمؤمنين والناس جميعاً في إمهال الناس ، وعدم مؤاخذتهم في
الحال على ذنوبهم ، عند صدورها منهم .
وتحتمل مدة إمهال الله عز وجل للعباد بين المؤمن والكافر وجوهاً :

(١) سورة الكهف ٢٩.

(٢) سورة البقرة ١٩١.

(٣) سورة آل عمران ١٨١.

الأول : التساوي في مدة الإمهال بين المؤمن والكافر عند اتحاد المعصية مثل الغيبة ومراتب من الظلم .

الثاني : مدة إمهال المؤمن أقل من مدة إمهال الكافر لأن الإيمان عهد وميثاق .

الثالث : مدة إمهال المؤمن أطول من مدة إمهال الكافر .
والصحيح هو الأخير وهو من فضل الله ، ومن لطفه سبحانه أنه يذكر المؤمن بمعصيته ليستغفر الله عز وجل ويتوب عنها .

السمع الإستجابة وعن عبد الله (عن ابن مسعود قال : كان دعاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : أعوذ بالله من دعاء لا يسمع ومن قلب لا يخشع ومن علم لا ينفع ومن نفس لا تشيع)^(١) . من دعاء لا يستجاب سواء لذات موضوعه أو للعوائق الخاصة وأسباب حجب الإستجابة .

ويسمع الله عز وجل المناجاة بين الناس ، والكلام الخفي بينهم سواء كان بالحق أو الباطل ، وورد الإنذار للذين كفروا بقوله تعالى ﴿أَمْ يَحْسُبُونَ أَنَا لَنَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلْنَا لَدَيْهِمْ يَكْفُورُونَ﴾^(٢) .

وانفرد قوله تعالى ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾^(٣) بأمور :

الأول : ذكر سمع الله للقول بصيغة الفعل الماضي (سمع) .

(١) الدر المنثور ٦/١٥١.

(٢) سورة الزخرف ٨٠.

(٣) سورة المجادلة ١.

الثاني : سماع الله عز وجل للحوار بين النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم والمرأة التي اشتكت زوجها عنده بقوله تعالى ﴿وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا﴾.

الثالث : ذكر الآية لاسم الجلالة أربع مرات مع اسمين آخرين من الأسماء الحسنى .

الرابع : ورود اسم ﴿سَمِيعٌ﴾ في الآية .

الخامس : إختتام الآية مع قلة كلماتها بثلاثة أسماء لله عز وجل .
تدل الآية على منزلة المرأة في الإسلام ولزوم العناية بها والإصغاء إلى شكواها ، واختلف في اسم هذه المرأة التي شرفها الله عز وجل بنزول آية من القرآن على وجوه :

الأول : خولة بنت خويلد عن ابن عباس^(١) .

الثاني : خولة بنت حكيم ، عن عمر بن الخطاب .

الثالث : هي خميلة ، عن عائشة .

الرابع : خويلة بنت ثعلبة (قالت عائشة : تبارك الله الذي أوعى سمعه كل شيء ، سمع كلام خولة بنت ثعلبة وأنا في ناحية البيت ما أسمع بعض ما تقول ، وهي تقول : يا رسول الله أكل شبابي وانقطع ولدي ونثرت له بطني حتى إذا كبرت سني ظاهر مني اللهم إني أشكو إليك ، فما برحت حتى نزل جبريل بهذه الآية .

{ والله يسمع تحاوركما إن الله سميع بصير }^(٢) والمحاورة مراجعة الكلام ، قال عنتره :

(١) المحرر الوجيز ٦ / ٣١٥ .

(٢) سورة المجادلة ١ .

لو كان يدري ما المحاورة اشتكى ... ولكان لو علم الكلام مكلمي^(١) وكان الظهار في الجاهلية طلاقاً بائناً ونهائياً ، ولا إباحة بعده .

الخامس : خويلة بنت دليج ، عن أبي العالية

السادس : خولة بنت الصامت عن ابن عباس .

السابع : خولة بنت ثعلبة عن محمد بن كهب القرظي .

الثامن : خولة بنت مالك بن ثعلبة ، وقد تصغر فيقال خويلة^(٢) .

وأختلف في اسم الزوج أيضاً على وجوه :

الأول : أوس بن الصامت ، وهو المشهور .

الثاني : عبادة بن الصامت .

الثالث : سلمة بن صخر البياضي .

والآية مدنية ، ذكر (عن ابن عبد الله بن سلام، عن خويلة بنت ثعلبة قالت: في-والله-وفي أوس بن الصامت أنزل الله صَدْرَ سورة "المجادلة"، قالت: كنت عنده وكان شيخاً كبيراً قد ساء خلقه، قالت: فدخل عليّ يوماً فراجعته بشيء فغضب فقال: أنت عليّ كظهر أمي.

قالت: ثم خرج فجلس في نادي قومه ساعة، ثم دخل عليّ فإذا هو يريدني عن نفسي.

قالت: قلت: كلا والذي نفس خويلة بيده، لا تخلص إليّ وقد قلت ما قلت، حتى يحكم الله ورسوله فينا بحكمه.

قالت: فوائبني وامتنعت منه، فغلبته بما تغلب به المرأة الشيخ الضعيف، فألقيته عني،

(١) النكت والعيون ٢٤٣/٤.

(٢) تفسير ابن كثير ٣٦/٨.

قالت: ثم خرجتُ إلى بعض جاراتي، فاستعرت منها ثياباً، ثم خرجتُ حتى جئت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فجلست بين يديه، فذكرت له ما لقيت منه، وجعلت أشكو إليه ما ألقى من سوء خلقه. قالت: فجعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: "يا خويلة ابنُ عمك شيخ كبير، فاتقي الله فيه".

قالت: فوالله ما برحت حتى نزل في القرآن، فتغشى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما كان يتغشاه، ثم سرّي عنه، فقال لي: "يا خويلة قد أنزل الله فيك وفي صاحبك". ثم قرأ علي: { قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ } إلى قوله ﴿وَاللَّكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

قالت: فقال لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "مريه فليعتق رقبة". قالت: فقلت يا رسول الله، ما عنده ما يعتق. قال: "فليصم شهرين متتابعين".

فقلت: والله إنه شيخ كبير، ما به من صيام. قال: "فليطعم ستين مسكيناً وسقاً من تمر".

فقلت: يا رسول الله، ما ذاك عنده.

قالت: فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "إننا سنعيّنه بعرقٍ من تمر".

فقلت: يا رسول الله، وأنا سأعيّنه بعرقٍ آخر، قال: "فقد أصبت وأحسنّت، فاذهبي فتصدقني به عنه، ثم استوصي بآبن عمك خيراً". قالت: ففعلت. ^(١)

وتبين آية ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾^(١) وعناية النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالمرأة وإصلاحه للصلات الزوجية ، ولو بالإعانة في تهئية الكفارة على نزول القرآن وجهاد النبي صلى الله عليه وآله وسلم في بناء الحفظ برزخ دون الإرهاب ، ومانع من مقدماتها ، إذ تتولى الأسرة مجتمعة تربية الأبناء وتنشئهم على الهدى وسنن الإيمان ، والحرص على التنزه عن الظلم والعدوان .

ويمكن أن نؤسس قانوناً وهو وجود شواهد من القرآن والسنة لكل اسم من أسماء الله عز وجل الحسنى ، فلا بد من تأليف مجلد خاص بهذا القانون ، بأن يذكر كل اسم من أسماء الله عز وجل ، ثم تذكر الشواهد التي تدعى عليها .

فمن مصاديق قوله تعالى ﴿وَزَكَّنَّا عَلَيْكَ الْكِتَابَ بُيُوتًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾^(٢) ورود أسماء الله عز وجل في القرآن مع الدلائل والشواهد على كل اسم منها وعلى اجتماع اسمين أو أكثر بخصوص موضوع ومسألة واحدة .
(وأخرج أبو نعيم عن محمد بن جعفر قال : سألت أبي جعفر بن محمد الصادق عن الاسماء التسعة والتسعين التي من أحصاها دخل الجنة؟ فقال : هي في القرآن ، ففي الفاتحة خمسة أسماء . يا الله ، يا رب ، يا رحمن ، يا رحيم ، يا مالك .

وفي البقرة ثلاثة وثلاثون اسماً : يا محيط ، يا قدير ، يا عليم ، يا حكيم ، يا علي ، يا عظيم ، يا تواب ، يا بصير ، يا ولي ، يا واسع ، يا كافي ، يا رؤوف ، يا بديع ، يا شاکر ، يا واحد ، يا سمیع ، يا قابض ، يا باسط ،

(١) سورة المجادلة ١.

(٢) سورة النحل ٨٩.

يا حي ، يا قيوم ، يا غني ، يا حميد ، يا غفور ، يا حلیم ، يا إله ، يا قريب ، يا مجيب ، يا عزيز ، يا نصير ، يا قوي ، يا شديد ، يا سريع ، يا خبير .

وفي آل عمران : يا وهَّاب ، يا قائم ، يا صادق ، يا باعث ، يا منعم ، يا متفضل .

وفي النساء : يا رقيب ، يا حسيب ، يا شهيد ، يا مقيت ، يا وكيل ، يا علي ، يا كبير .

وفي الأنعام : يا فاطر ، يا قاهر ، يا لطيف ، يا برهان .

وفي الأعراف : يا محيي ، يا مميت . وفي الأنفال : يا نعم المولى ، يا نعم النصير . وفي هود : يا حفيظ ، يا مجيد ، يا ودود ، يا فعال لما يريد . وفي الرعد : يا كبير ، يا متعال . وفي إبراهيم : يا منَّان ، يا وارث . وفي الحجر : يا خلاق .

وفي مريم : يا فرد . وفي طه : يا غفار . وفي قد أفلح : يا كريم . وفي النور : يا حق ، يا مبين . وفي الفرقان : يا هادي . وفي سبأ : يا فتاح . وفي الزمر : يا عالم . وفي غافر : يا غافر ، يا قابل التوبة ، يا ذا الطول ، يا رفيع . وفي الذاريات : يا رزاق ، يا ذا القوة ، يا متين . وفي الطور : يا بر . وفي اقتربت : يا ملك ، يا مقتدر . وفي الرحمن : يا ذا الجلال والإكرام ، يا رب المشرقين ، يا رب المغربين ، يا باقي ، يا مهيمن . وفي الحديد : يا أول ، يا آخر ، يا ظاهر ، يا باطن . وفي الحشر : يا ملك ، يا قدوس ، يا سلام ، يا مؤمن ، يا مهيمن ، يا عزيز ، يا جبار ، يا متكبر ، يا خالق ، يا بارئ ، يا مصور .

وفي البروج : يا مبدئ ، يا معيد . وفي الفجر : يا وتر . وفي الإخلاص : يا أحد ، يا صمد^(١) .

ويمكن انشاء قانون من وجوه :

الأول : الأسماء الحسنى حرب على الإرهاب .

الثاني : الأسماء الحسنى داعية إلى الله .

الثالث : في الأسماء الحسنى غنى عن الغزو .

وورد اسم ﴿السميع﴾ في القرآن على وجوه :

الأول : جاء منفرداً مرة واحدة بقوله تعالى ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ

لِيَ عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾^(١).

الثاني : جاء مقترناً باسم قريب مرة واحدة في قوله تعالى ﴿قُلْ إِنْ

ضَلَلْتُ فَأِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي وَإِنْ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ﴾^(٢).

الثالث : إقتران اسم ﴿السميع﴾ إحدى عشرة مرة مع ﴿البصير﴾ منها أربعة على نحو الإطلاق ، ومن غير تعريف بالألف واللام .

وكلها بتقديم اسم ﴿سَمِيعٌ﴾ وبصيغة ﴿أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾^(٣) وفي النصف الثاني من القرآن .

وورد أربع مرات بالتعريف بالألف واللام منها ما ورد في أول سورة

الإسراء ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾^(٤).

(١) سورة إبراهيم ٣٩.

(٢) سورة سبأ ٥٠.

(٣) سورة الحج ٦١ ، سورة الحجر ٧٥ ، سور لقمان ٢٨ ، سورة المجادلة ١.

(٤) سورة الاسراء ١.

ومنها بصيغ النصب وكلها بصيغة ﴿كَانَ اللَّهُ سَمِيْعًا بَصِيْرًا﴾^(١) ومن الإعجاز أنها كلها في سورة واحدة هي سورة النساء .

واقترن اسم ﴿السَّمِيْعُ﴾ مع اسم ﴿الْعَلِيْمُ﴾ أكثر من ثلاثين مرة في القرآن وهو من الإعجاز الدلالي في أسماء الله الحسنى ، والجمع بينها في القرآن . ومن السنة النبوية أحاديث عديدة بخصوص اسم السميع منها ما ورد (عن أبي موسى كنا مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم فجعلنا في وهدة من الأرض فرفع الناس أصواتهم بالتكبير فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يا أيها الناس أربعوا على أنفسكم إنكم لا تدعون أصم ولا غائبا إنكم تدعون سميعا قريبا فقال وكنت قريبا منه يا عبد الله بن قيس ألا أدلك على كلمة من كنوز الجنة .

قلت بلى قال لا حول ولا قوة إلا بالله السميع البصير^(٢) . وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم في أكثر في دعائه من التضرع إلى الله والثناء عليه سبحانه .

و(عن ابن عباس كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذا قام يتهجّد بالليل قال اللهم لك الحمد أنت نور السماوات والأرض ومن فيهن ولك الحمد أنت قيم السماوات والأرض ومن فيهن ولك الحمد أنت رب السماوات والأرض ومن فيهن أنت الحق وقولك حق ووعدك حق ولقاؤك حق والجنة حق والنار حق والساعة حق والنبيون حق ومحمد صلى الله عليه وآله وسلم حق .

(١) سورة النساء ١٣٤ .

(٢) السنن الكبرى للنسائي ٣٩٨/٤ .

اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت وإليك أنبت وبك خاصمت وإليك حاكمت فاغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت أنت المقدم وأنت المؤخر لا إله إلا أنت السميع^(١).
ويتضمن إخبار الله عز وجل للناس في القرآن بأنه (السميع) وبصيغة الإطلاق البشارة والإنذار ، البشارة للذين يعملون الصالحات قولاً وفعلًا ، والإنذار للذين يرتكبون المعاصي والسيئات .

ويبحث اسم (السميع) لله عز وجل النفرة في النفوس من التعدي والظلم والإرهاب ، قال تعالى ﴿ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُمْ رَاْعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُمْ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُمْ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يَنْبِئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ^(٢) .

قانون علة جعل الناس أغنياء وفقراء

لقد أبى الله عز وجل إلا أن يجعل الدنيا دار إمتحان وإبتلاء ، ومثلما إبتلى آدم عليه السلام وحواء بالنهي عن أكل الشجرة ، فيوسوس إليهما إبليس بالأكل منها ، ويزين لهما هذا الأكل ، ومنافعه ومنها إدعاء الخلود والنعيم ﴿ أَوَتَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ^(٣) ﴾ ، فهبطا إلى الأرض ، ولو لم يغويهما إبليس بالأكل من الشجرة لابتلاههم الله عز وجل بغيره بما يهبطان معه إلى الأرض لأن علة خلق آدم هي الخلافة في الأرض بقوله تعالى ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً^(٤) ﴾ .

(١) السنن الكبرى للنسائي ٤/٤٠٥.

(٢) سورة المجادلة ٧.

(٣) سورة الأعراف ٢٠.

(٤) سورة البقرة ٣٠.

ولو لم يأكل آدم وحواء من الشجرة التي نهيا عنها هل يكون الإبتلاء والإمتحان التالي أشد أم أخف ، الجواب هو الثاني ، ويكون معه أو مع الإبتلاء الثالث أو الرابع الهبوط إلى الأرض لكم من غير ظلم للنفس الذي ذكر في قوله تعالى ﴿فَكُنَّا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾^(١).

لأنه لم يرد في القرآن نهى لآدم وحواء وهما في الجنة إلا بخصوص الأكل من الشجرة مما يدل أن الإبتلاء الثاني وما بعده على فرض وقوعه يكون في غير النهي ، نعم إن الله عز وجل يعلمه أن آدم وحواء لم يتجاوزا إمتحان الأكل من الشجرة .

لقد كذب إبليس على آدم وحواء ، وقال بأن الأكل من هذه الشجرة يؤدي إلى أحد أمرين :

الأول : إتصاف آدم وحواء بخصال ومزايا الملائكة والتصور بأي هيئة ، وطول أعمار الملائكة لآلاف السنين وقربهم من الموت .

الثاني : الخلود في نعيم الجنة ، فلا يغادرونها إلى الأرض إذ تدل خاتمة قوله تعالى ﴿فَوَسَّسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لُبْدِي لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوَاتِهِمَا وَقَالَ وَقَالَ مَا تَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَينِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ﴾^(٢) أن آدم وحواء يعلمان بقرب مغادرتهم الجنة وأنهما لا يقيان فيها طويلاً ، وأن الموت يدركهما .

والظاهر أنه من مصاديق قوله تعالى ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾^(٣) وقام آدم بتعليم حواء سُنْخِيَة حياتهما مثلما علم الملائكة بالأسماء .

(١) سورة البقرة ٣٥.

(٢) سورة الأعراف ٢٠.

(٣) سورة البقرة ٣١.

ومن معاني الوسوسة في قوله تعالى ﴿فَوَسَّوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ﴾^(١) تكرار حديث إبليس الخفي مع آدم وحواء وعلى انفراد ، وكان يقسم لهما بأنه يريد مصلحتهما ونفعهما كما ورد في التنزيل ﴿وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنُ النَّاصِحِينَ﴾^(٢) .

ومن إعجاز القرآن ورود لفظ ﴿النَّاصِحِينَ﴾ في القرآن ثلاث مرات فبعد أن اثبت إبليس أنه ليس بناصح ، وورد النصح والصدق وإخلاص العبودية لله عند الأنبياء ، مع حبهم للناس وهدايتهم كما في قوله تعالى بخصوص النبي صالح ، فتولى عنهم ، وقال ﴿يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رَسُولَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ﴾^(٣) .
لتدل الآية أعلاه على مسائل :

الأولى : الملازمة بين النبوة والنصح ، ويقال نصحه نصحاً ونصاحه ، والناصح من الأشياء الخالي من الشوائب ، وكل شئ خلق فقد نصح والنصيحة في الإصطلاح الدعوة إلى الصلاح ، وجلب المنعة ودفع المفسدة ، ترى ما هي النسبة بين النصيحة وبين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر المختار هو العموم والخصوص المطلق لأن موارد النصيحة أعم ، وتشمل الموعدة والكلمة الطيبة ، وتغني النصيحة عن الإرهاب .
الثانية : قيام أصحاب النبي صالح بالنصيحة لقومهم .

(١) سورة الأعراف ٢٠ .

(٢) سورة الأعراف ٢١ .

(٣) سورة الأعراف ٧٩ .

الثالثة : ترشح النصح بين الناس عن تجلي المعجزة النبوية فلما خلق الله ناقة صالح بمعجزة ، فقد نهاهم النبي صالح وأصحابه وعدد من الأشراف والناس عن قتلها .

(ويروى أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين مر بالحجر في غزوة تبوك قال لأصحابه : لا يدخلن أحد منكم القرية ولا تشربوا من مائها ولا تدخلوا على هؤلاء المعذبين إلا أن تكونوا باكين أن يصيبكم مثل الذي أصابهم .

وقال عليه الصلاة والسلام لعلي عليه السلام : يا علي أتدري من أشقى الأولين؟ قال : الله ورسوله أعلم ، قال : عاقر ناقة صالح ، أتدري من أشقى الآخرين؟ قال : الله ورسوله أعلم ، قال : قاتلك)^(١).

والحجر مدينة ثمود وهي المقصودة في قوله تعالى ﴿وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾^(٢) ورئيسهم الذي عقر الناقة هو قدار بن سالف .

(عن ابن عباس؛ أن صالحاً بعثه الله إلى قومه فآمنوا به ، ثم إنه لما مات كفر قومه ورجعوا عن الإسلام ، فاحيا الله لهم صالحاً وبعثه إليهم فقال : أنا صالح فقالوا : قد مات صالح ، إن كنت صالحاً فأت بآية إن كنت من الصادقين)^(٣)، فبعث الله الناقة فعقروها وكفروا فاهلكوا ، وعاقرها رجل نساج يقال له قدار بن سالف)^(٤).

(١) تفسير أبي السعود ٥/٣.

(٢) سورة النمل ٤٨.

(٣) سورة الشعراء ١٥٤.

(٤) الدر المنثور ٤٠٥/٧.

كما ذكر لفظ ﴿النَّاصِحِينَ﴾ في القرآن بخصوص نجاة موسى عليه السلام ، قال تعالى ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لَيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ﴾^(١) وفيه دعوة للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم والمسلمين إلى يوم القيامة للإستماع للناصح والعناية بنصيحته ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾^(٢) .

لقد خفف الله عز وجل عن ذرية آدم وحواء وحذرهم من إبليس ، ورزقهم إجتياز الكثير من ضروب الإبتلاء والإمتحان ، ومن عجز عن الإجتياز جاءت آيات التنزيل لذمه وبيان قبح فعله كما في آية السياق والبحث لتكون فيه موعظة وعبرة ، ولإصلاح الناس لإجتياز ذات الإبتلاء وغيره ، قال تعالى ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾^(٣) .

فمن إعجاز القرآن أن النهي عن فعل مذموم حرب عليه ، ومنع من إتساعه ، وكل تلاوة من مسلم أو مسلمة للآية التي تتضمن هذا الدم سهم نافذ ضد الفعل القبيح فهي تذكير وإنذار من عند الله وتويخ سماوي على لسان المؤمنين الذين يرتكبون ذات المعصية وأمثالها ، فلذا تفضل الله عز وجل وجعل تلاوة القرآن واجباً عينياً في كل ركعة من الركعات السبع عشرة مرة في الصلاة اليومية .

ولو جعل الله عز وجل الناس كلهم أغنياء لما انقطعت حاجتهم إلى الله ، وحاجة بعضهم إلى بعض ، إذ يأتي أكثر الغنى وجمع الأموال من

(١) سورة القصص ٢٠.

(٢) سورة المدثر ٣١.

(٣) سورة يوسف ١١١.

تسخير الناس بعضهم لبعض ، وهذا يكون مالكاً والآخر أجيراً ، وهذا بائعاً لعين بئس رخيص وآخر يشتريها لبيعها بئس أكثر وأغلى ، أو ينتفع منها لتدر عليه المال والريح ، وفي التنزيل ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾^(١) وتستحب المسامحة في البيع والشراء وفيها ثواب ، (عن حذيفة بن اليمان ، عن أبي بكر قال :

أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم ، فصلى الغداة ، ثم جلس حتى إذا كان من الضحى ضحك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وجلس مكانه حتى صلى الأولى والعصر والمغرب والعشاء كل ذلك لا يتكلم ، حتى صلى العشاء الآخرة ، ثم قام إلى أهله .

فقال الناس لأبي بكر : سل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما شأنه ؟ صنع اليوم شيئاً لم يصنعه قط ، فسأله ، فقال : نعم ، عرض علي ما هو كائن من أمر الدنيا والآخرة ، فجمع الأولون والآخرين بصعيد واحد حتى انطلقوا إلى آدم عليه السلام ، والعرق يكاد يلجمهم ، فقالوا : يا آدم أنت أبو البشر اصطفاك الله ، اشفع لنا إلى ربك .

فقال : لقد لقيت مثل الذي لقيتم ، فانطلقوا إلى أبيكم بعد أبيكم ، إلى نوح ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾^(٢).

فينطلقون إلى نوح ، فيقولون : اشفع لنا إلى ربك فإنه اصطفاك الله ، واستجاب لك في دعائك ، فلم يدع على الأرض من الكافرين دياراً ، فيقول : ليس ذاكم عندي ، فانطلقوا إلى إبراهيم ، فإن الله اتخذته خليلاً ،

(١) سورة البقرة ٢٧٥ .

(٢) سورة آل عمران ٣٣ .

فيأتون إبراهيم ، فيقول : ليس ذاكم عندي ، فانطلقوا إلى موسى ، فإن الله قد كلمه تكليما .

فيقول موسى : ليس ذاكم عندي ، ولكن انطلقوا إلى عيسى ابن مريم ، فإنه يبرئ الأكمه ، والأبرص ، ويحيي الموتى .

فيقول عيسى : ليس ذاكم عندي ، ولكن انطلقوا إلى سيد ولد آدم ، فإنه أول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة ، انطلقوا إلى محمد ، فليشفع لكم إلى ربكم . قال : فينطلقون وآتي جبريل ، فيأتي جبريل ربه ، فيقول الله : ائذن له وبشره بالجنة .

قال : فينطلق به جبريل ، فيخر ساجدا قدر جمعة ، ثم يقول الله تبارك وتعالى : يا محمد ارفع رأسك ، وقل يسمع ، واشفع تشفع ، فيرفع رأسه ، فإذا نظر إلى ربه خر ساجدا قدر جمعة أخرى .

فيقول الله : يا محمد ارفع رأسك ، وقل يسمع ، واشفع تشفع ، فيذهب ليقع ساجدا ، فيأخذ جبريل بضبعيه ، ويفتح الله عليه من الدعاء شيئا لم يفتحه على بشر قط ، فيقول : أي رب جعلتني سيد ولد آدم ولا فخر ، وأول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة ولا فخر ، حتى إنه ليرد على الخوض يوم القيامة أكثر ما بين صنعاء ، وأيلة .

ثم يقال : أدع الصديقين فيشفعون ، ثم يقال : أدع الأنبياء فيجيء النبي معه العصاة ، والنبي معه الخمسة والستة ، والنبي ليس معه أحد ، ثم يقال : ادع الشهداء فيشفعون لمن أرادوا ، فإذا فعلت الشهداء ذلك يقول الله جل وعلا : أنا أرحم الراحمين ، أدخلوا جنتي من كان لا يشرك بي شيئا ، فيدخلون الجنة .

ثم يقول الله تعالى : انظروا في النار هل فيها من أحد عمل خيرا قط ، فيجدون في النار رجلا ، فيقال له : هل عملت خيرا قط ، فيقول : لا غير أني كنت أسامح الناس في البيع .

فيقول الله : اسمحوا لعبدي كإسماحه إلى عبيدي ، ثم يخرج من النار آخر يقال له : هل عملت خيراً قط ، فيقول : لا ، غير أنني كنت أمرت ولدي ، إذا مت فاحرقوني في النار ، ثم اطحنوني ، حتى إذا كنت مثل الكحل ، فاذهبوا بي إلى البحر ، فذروني في الريح . فقال الله : لم فعلت ذلك ؟ . قال : من مخافتك .

فيقول : انظروا إلى ملك أعظم ملك ، فإن لك مثله وعشرة أمثاله ، فيقول : لم تسخر بي ، وأنت الملك ؟ فذلك الذي ضحكت منه من الضحى^(١) .

ثم أن الإنفاق وإخراج الزكاة لا يختص بالإعطاء إلى الفقراء إنما يشمل إنشاء الجسور وتعميد الطرق وبناء المساجد والأعمال الخيرية العامة ، وإصلاح ذات البين ، وعموم الإنفاق في سبيل الله ، لذا من إعجاز آية السياق أنها لم تقل : لا يحسبن الذين ييخلون عن الفقراء والمساكين ، إنما وردت الآية بصيغة الإطلاق في موضوع البخل وعدم تقييده بباب من أبواب الإنفاق وما يصرف ، ويكون من وجوه تقدير الآية وجوه :
الأول : ولا يحسبن الذين ييخلون في الإنفاق في المصالح العامة .
الثاني : ولا يحسبن الذين ييخلون في تعظيم شعائر الله ونشر علوم التوحيد .

الثالث : ولا يحسبن الذين ييخلون حتى على أنفسهم وذرائعهم وبما يؤدي إلى الضرر والإضرار .

و(عن أبي كبشة قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: "ثلاث أقسم عليهن، وأحدنكم حديثاً فاحفظوه، فأما الثلاث التي أقسم عليهن: فإنه ما نقص مال عبد من صدقة، ولا ظلم عبد مظلمة فصبر

(١) صحيح ابن حبان ٤٨٤/٢٦ .

عليها إلا زاده الله بها عزا، ولا يفتح عبد باب مسألة إلا فتح الله له باب فقر، وأما الذي أحدثكم حديثا فاحفظوه، فإنه قال: إنما الدنيا لأربعة نفر: عبد رزقه الله مالا وعلما فهو يتقي فيه ربه ويصل رحمه، ويعمل لله فيه حقه، قال: "فهذا بأفضل المنازل .

وعبد رزقه الله علما ولم يرزقه مالا فهو يقول: لو كان لي مال عملت بعمل فلان" قال: "فأجرهما سواء .

وعبد رزقه الله مالا ولم يرزقه علما فهو يخبط في ماله بغير علم لا يتقي فيه ربه، ولا يصل فيه رحمه، ولا يعمل لله فيه حقه، فهذا بأخبث المنازل .

وعبد لم يرزقه الله مالا ولا علما فهو يقول: لو كان لي مال لفعلت بعمل فلان". قال: "هي نيته فوزرهما فيه سواء" (١).

الرابع : ولا يحسبن الذين ييخلون بما ينجيهم من العذاب يوم القيامة.
الخامس : ولا يحسبن الذين ييخلون مع أن الله عز وجل كتب لهم الغنى في كل الأحوال.

السادس : ولا يحسبن الذين ييخلون حين يتولون أمور الرعية ، (عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى عليه وآله وسلم : من ولي من أمر أمتي شيئا فحسنت سريره رزق الهيبة في قلوبهم ، وإذا بسط يده لهم بالمعروف رزق المحبة منهم ، وإذا وفر عليهم أموالهم وفر الله عليه ماله ، وإذا أنصف الضعيف من القوي قوى الله سلطانه ، وإذا عدل مد في عمره) (٢).

(١) تفسير ابن كثير ١/٦٦.

(٢) الدر المنثور ٤/٢٢٤.

السابع : الذين ييخلون بالإمتناع عن أداء الواجبات المالية مثل حج البيت الحرام إذ أن غنى العبد أمانة على تحقق الإستطاعة للحج ، قال تعالى ﴿ وَلِلّٰهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾^(١).

الثامن : ولا يحسن الذين ييخلون بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومقدمات كل فرد منهما.

التاسع : ولا يحسن الذين ييخلون وقد أمروا بالإتفاق سبيل الله .

العاشر : الذين ييخلون بالحقوق بينما ينفقون الأموال في المعاصي وإرتكاب الآثام .

الحادي عشر : الذين ييخلون فيما آتاهم الله من فضله في عمل الصالحات والإعانة للذات والغير في أداء الفرائض والعبادات .

الثاني عشر : الذين ييخلون بما آتاهم الله من فضله فيما أمرهم به بينما ينفقون الأموال في محاربة النبوة والتنزيل ، قال تعالى ﴿ إِنِّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُخْشَرُونَ ﴾^(٢).

ولو جعل الله عز وجل الناس كلهم أغنياء لكثرت البطر وشاع الفساد في الأرض وأتبع الشهوات ، وتعددت الحروب ، وسفكت الدماء ، واستولى بعض الناس على أموال بعضهم الآخر ، وسلبوا صفة الغنى منهم ، وفي التنزيل حكاية عن الكافر ، قال (فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا)^(٣).

(١) سورة آل عمران ٩٧.

(٢) سورة الأنفال ٣٦.

(٣) سورة الكهف ٣٤.

ولما أخبر الله عز وجل الملائكة وقال ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾^(١)، احتجت الملائكة وجنحوا إلى الله عز وجل بأن الإنسان يكثر من الفساد إذ قالوا ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾^(٢)، ولم يحتجوا على أصل وموضوع الخلافة يدركون قانون ملكية السموات والأرض لله عز وجل وأنه سبحانه العالم الحكيم ، ولكنهم سألوا الله عز وجل تنزيه الأرض من الفساد ومن سفك الدماء فأجابهم الله عز وجل بقول ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٣).

ومن علم الله عز وجل أنه سبحانه لم يجعل الناس كلهم أغنياء وقد يزداد القتال وسفك الدماء وسوف يعود شطر منهم إلى حال الفقر ، وتتجدد الثارات ، وقد قال تعالى ﴿وَلَكُمْ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾^(٤)، إنما جعل الله عز وجل شطراً من الناس أغنياء وشطراً فقراء ليتلى بعضهم ببعض بما يصلح الأرض ، وتدوم الحياة فيها ، ويقلل من حال القتال ويمنع تفشي الفساد بينهم.

لقد جعل الله عز وجل الناس أغنياء وفقراء لتتجلى لكل انسان النعم التي تفضل الله عز وجل بها عليه وعلى غيره وعلى نحو التعدد بلحاظ كبرى كلية وهي عدم انحصار النعم بالمال واكتنازه ، ولو أجريت دراسة مقارنة بين صحة البدن وبين المال عند شخصين متساويين من الجهات الأخرى ، ففيه وجوه :

(١) سورة البقرة ٣٠.

(٢) سورة البقرة ٣٠.

(٣) سورة البقرة ٣٠.

(٤) سورة آل عمران ١٤٠.

الأولى : المال الكثير نعمة أكبر من العافية والصحة في البدن .

الثالث : التفصيل من جهتين :

الأولى : كثرة أو قلة المال .

الثانية : شدة وطأة المرض وطول مدته أو خفته وقلة مدته .

الرابع : الصحة والعافية أسمى وأحسن من المال الكثير .

والمختار هو الأخير ، وعليه تسالم العقلاء ، وعن (ابن عباس عن النبي (عليه السلام) أنه قال : نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس : الصحة والفراغ^(١) .

وتدل صيغة التذكير (نعمتان) على تعدد النعم من عند الله ، قال تعالى ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾^(٢) ليكون الذين قالوا ﴿إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ﴾ من مصاديق قوله تعالى ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا﴾^(٣) .

ويلزم تلقي بعثة الأنبياء بالقبول والتصديق ، الأمر الذي تجلّى خاصة بالنسبة للفقراء في بداية الدعوة النبوية ، وكثير من الشواهد في رسالة خاتم الأنبياء ، وهو موضوع الإحتجاج من قبل قيصر ملك الروم على وفد قريش برئاسة أبي سفيان حينما بلغته رسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بواسطة دحية الكلبي يدعوه إلى التوحيد والإسلام ، إذ لقي دحية قيصر بمدينة حمص والتي لا تزال تحمل ذات الاسم فسلمه الكتاب ، فدعا قيصر بالترجمان ليترجم له ما كتبه النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وكان المتعارف إذا كان المرسل هو الأكبر والأعلى مرتبة يبدأ بكتابة اسمه ، أما إذا كان المرسل هو الأدنى فيقدم اسم المرسل إليه كما لو قيل : إلى الخليفة فلان .

(١) الكشف والبيان للثعلبي ٢٠٥/١٤ .

(٢) سورة إبراهيم ٣٤ .

(٣) سورة النحل ٨٣ .

من: الوالي فلان .

وقرأ الترجمان في الكتاب : من محمد رسول الله إلى قيصر صاحب

الروم (١).

وكان أخ للقيصر حاضراً يستمع فغضب وقال للقيصر (تنظر في كتاب رجل بدأ بنفسه قبلك ، وسماك قيصر صاحب الروم ولم يذكر أنك ملك ، قال له قيصر :

إنك والله ما علمت أحقق صغيراً ، مجنوناً كبيراً : تريد أن تحرق كتاب رجل قبل أن أنظر فيه ، فلعمري لئن كان رسول الله كما يقول : فبنفسه أحق أن يبدأ بها مني ، وإن كان سماني صاحب الروم ، فلقد صدق ، ما أنا إلا صاحبهم وما أملكهم ، ولكن الله سخرهم لي ولو شاء لسلطهم علي ، ثم قرأ قيصر الكتاب ، فقال : يا معشر الروم ، إني لأظن هذا الذي بشر به عيسى ابن مريم ، ولو أعلم أنه هو مشيت إليه حتى أخدمه بنفسي ، لا يسقط وضوءه إلا على يدي .

قالوا : ما كان الله ليجعل ذلك في الأعراب الأميين ويدعنا ، ونحن أهل الكتاب قال : فأصل الهدى بيني وبينكم الإنجيل ، ندعو به فنتحبه ، فإن كان هو إياه اتبعناه ، وإلا أعدنا عليه خواتمه كما كانت إنما هي خواتيم مكان خواتم .

قال : وعلى الإنجيل يومئذ اثنا عشر خاتماً من ذهب ختم عليه هرقل ، فكان كل ملك يليه بعده ظاهر عليه بخاتم آخر ، حتى ألقى ملك قيصر وعليه اثنا عشر خاتماً ، يخبر أولهم لآخرهم أنه لا يحل لهم أن يفتحوا الإنجيل في دينهم ، وإنهم يوم يفتحونه يغير دينهم ويهلك ملكهم ، فدعا بالإنجيل ففرض عنه أحد عشر خاتماً حتى بقي عليه خاتم واحد ، فقامت الشماسة

والأساقفة والبطارقة ، فشقوا ثيابهم وصكوا وجوههم وفتحوا رؤوسهم !
قال : ما لكم .

قالوا : اليوم يهلك ملك بيتك ، وتغير دين قومك .
قال : فأصل الهدى عندي . قالوا : لا تعجل حتى نسأل عن هذا
ونكاتبه وننظر في أمره ؟ .

قال : فمن نسأل عنه ؟ .
قالوا : قوماً كثيراً بالشام ، فأرسل يبتغي قوماً يسألهم ؟ .
فجمع له أبو سفيان وأصحابه ، فقال : أخبرني يا أبا سفيان عن هذا
الرجل الذي بعث فيكم ، فلم يأل أن يصغر أمره ما استطاع ، قال : أيها
الملك ، لا يكبر عليك شأنه ، إنا لنقول : هو ساحر ، ونقول : هو شاعر ،
ونقول : هو كاهن .

قال قيصر : كذلك والذي نفسي بيده كان يقال للأنبياء عليهم السلام
قبله . قال : أخبرني عن موضعه فيكم . قال : هو أوسطنا . قال : كذلك
بعث الله كل نبي من أوسط قومه . أخبرني عن أصحابه . قال : غلماننا
وأحداث أسنانهم والسفهاء ، أما رؤساؤنا فلم يتبعه منهم أحد . قال :
أولئك والله أتباع الرسل ، أما الملأ والرؤوس فأخذتهم الحمية . قال :
أخبرني عن أصحابه هل يفارقونه بعدما يدخلون في دينه ؟ قال : ما يفارقه
منهم أحد .

قال : فلا يزال داخل منكم في دينه ؟ قال : نعم . قال : ما تزيدوني عليه
إلا بصيرة ، والذي نفسي بيده ليوشكن أن يغلب على ما تحت قدمي . يا
معشر الروم ، هلموا إلى أن نجيب هذا الرجل إلى ما دعا إليه ونسأله الشام
أن لا يظأ علينا أبداً . فإنه لم يكتب قط نبي من الأنبياء إلى ملك من الملوك

يدعوه إلى الله فيجيبه إلى ما دعاه ، ثم يسأله مسألة إلا أعطاه مسأله ما كانت ، فأطيعوني .

قالوا : لا نطاوعك في هذا أبداً . قال أبو سفيان : والله ما يمنعني من أن أقول عليه قولاً أسقطه من عينه إلا أنني أكره أن أكذب عنده كذبة يأخذها علي ، ولا يصدقني حتى ذكرت قوله ليلة أسري به . قلت : أيها الملك ، أنا أخبرك عنه خبراً تعرف أنه قد كذب .

قال : وما هو؟ قلت : إنه يزعم لنا أنه خرج من أرضنا أرض الحرم في ليلة فجاء مسجدكم هذا مسجد إيليا ، ورجع إلينا في تلك الليلة قبل الصباح قال : وبطريق إيليا عند رأس قيصر .

قال البطريق : قد علمت تلك الليلة . فنظر إليه قيصر فقال ما علمك بهذا؟ قال : إني كنت لا أبيت ليلة حتى أغلق أبواب المسجد ، فلما كانت تلك الليلة أغلقت الأبواب كلها غير باب واحد غلبنني ، فاستعنت عليه عمالي ومن يحضرني كلهم ، فعالجته فلم نستطع أن نحركه كأنما نزاوّل به جبلاً .

فدعوت الناجرة ، فنظروا إليه ، فقالوا هذا باب سقط عليه النجاف والبنيان ، فلا نستطيع أن نحركه حتى نصبح فننظر من أين أتى ، فرجعت وتركته مفتوحاً فلما أصبحت غدوت ، فإذا الحجر الذي من زاوية الباب مثقوب ، وإذا فيه أثر مربوط الدابة ، فقلت لأصحابي ما حبس هذا الباب الليلة إلا على نبي ، فقد صلى الليلة في مسجدنا^(١) .

فان قيل إذا كان أبو سفيان قد سمع هذا البرهان الجلي على صدق نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم فلماذا حاربه وقاد الجيوش لقتاله ، والجواب لقد بعث النبي صلى الله عليه وآله وسلم دحية الكلبي إلى هرقل

عظيم الروم في مدة هدنة صلح الحديبية الذي تم في السنة السادسة للهجرة ، ولم يحشد ابو سفيان بعده الجيوش ضد النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأن اراد الحشد فليس من قبائل تناصره .

ويتعذر عليه جمع آلاف من المرتزقة كما في معركة أحد ، وهذا التعذر لوجوه :

الأول : دخول جماعات وطوائف في الإسلام ، ومن القبائل ما دخل أفرادها في الإسلام بعد صلح الحديبية إذ كانوا يخشون من بطش كفار قريش وحلفائهم ، قال تعالى ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ * وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْ لَهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴾ (١).

الثاني : من شرائط صلح الحديبية أن يكف كل فريق عن قتال الفريق الآخر ، وفيه مندوحة لقيام النبي صلى الله عليه وآله وسلم والمسلمين بالتبليغ ، وضربهم في الأرض جماعات وسرايا.

الثالث : دلالة صلح الحديبية على أن النبي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم لا يريد القتال ، ولا يسعى إليه ، كما يدل على جواز مصالحة المشرك الكافر لدفع المفسد .

وقد تفاعل النبي صلى الله عليه وآله وسلم يوم الحديبية بالأسماء فحينما بعثت قريش سهيل بن عمرو وحويطب بن عبد العزى ومكرز بن حفص ، ورأى النبي صلى الله عليه وآله وسلم سهيلاً قال لأصحابه : سهل أمركم أي أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم تفاعل بالأسماء بالإضافة إلى مسألة من علم الغيب في المقام وهي دخول سهيل الإسلام عام الفتح .

الرابع : لقد كان المشركون قبل صلح الحديبية هم الذين يهجمون ويحددون أوان هجومهم على المدينة ، فجاء صلح الحديبية دليلاً على خيبتهم وعجزهم ، وهل يتضمن قوله تعالى ﴿لَيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتُهُمْ فَيَنْتَقِلُوا خَائِبِينَ﴾^(١) ، والذي نزل في معركة أحد البشارة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم والمسلمين بقرب أوان صلح الحديبية ، الجواب نعم ، لذا كان هذا الصلح نصراً وفتحاً .

الخامس : التخفيف عن المؤمنين ، وسلامتهم من كثرة تهديد المشركين لهم ، وهذا السلامة من مقدمات تلقي الأحكام الشرعية بالإمثال الأمثل ، والتفقه في الدين .

السادس : زجر وخزي المنافقين ، وبعث اليأس في نفوسهم ، مع دعوتهم للتوبة والإنابة وتنزيه السرائر .

قانون كتابة الأفعال

يمكن تسمية الحياة الدنيا (دار كتابة الأفعال) فكل قول وفعل لابد وأن يكتبه الله عز وجل ، ويدل عليه قوله تعالى ﴿سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا﴾ وتقدير الآية على وجوه :

الأول : سنكتب ما يقولون .

الثاني : سنكتب ما يقوله الواحد منهم .

الثالث : سنكتب ما يفعلون .

الرابع : سنكتب تلاوة الذين آمنوا للقرآن .

الخامس : سنكتب ما تفعلون .

السادس : سنكتب ما قالوا ونحن أعلم بما قالوا ومن قبل أن يخلقوا .

السابع : إن لم يتوبوا من قول ﴿إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ﴾ سنكتب ما قالوا .

ومن معاني ومصاديق قوله تعالى ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾^(١)
 إمهال الذين كفروا بعدم كتابة وتدوين معاصيهم ساعة الفعل .
 ومن وجوه تقدير قوله تعالى ﴿سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا﴾ تدوين الملائكة لأفعال
 البشر لتكون السين في ﴿سَنَكْتُبُ﴾ دليلاً للملائكة بالتريث في كتابة السيئات
 ، قال تعالى ﴿وَإِنْ عَلَيْكُمْ لِحَافِظِينَ * كِرَامًا كَاتِبِينَ * يَعْلَمُونَ مَا
 تَعْمَلُونَ﴾^(٢) وتحتل كتابة الملائكة في موضوعها وجوهاً :

الأول : كل ما يقوله الإنسان ، ومنه المباحات كالطلب والسؤال
 والأكل والشرب .

الثاني : تختص الكتابة بما فيه الأجر أو الوزر .

الثالث : كتابة المباحات ثم تمحى في آخر النهار أو بعدئذ إلا إذا كانت
 مقدمة لقصد اتیان فعل صالح أو ضده ، فقد يكون الفعل مباحاً على نحو
 جهتي وليس مطلقاً .

والمختار أن أفعال العبد تكتب كلها بما فيه المباح والأنين من المرض
 والنظرة واستراق السمع ، قال تعالى ﴿مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ
 وهو من أسرار تولي الله عز وجل بنفسه الكتابة بقوله تعالى
 ﴿سَنَكْتُبُ﴾ وفيه شاهد بأنه ليس للملائكة ترك بعض ما يفعل الناس
 والتسامح مع بعضهم أو التشديد على بعض آخر .

(١) سورة الأعراف ١٥٦ .

(٢) سورة الانفطار ١٠-١٢ .

(٣) سورة ق ١٨ .

ويقرأ كل مسلم سبع عشرة في الصلاة قوله تعالى ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾^(١) وهما اسمان من أسماء الله الحسنى ، وجاءا بآية مستقلة من سورة الفاتحة لبيان موضوعية وحاجة الناس إلى رحمة الله في الدنيا وفي الآخرة ، ومن رحمته تعالى بعث الأنبياء ، إذ أكرم الله عز وجل الناس بالنبوة وملازمتها لوجود الإنسان في الأرض ، وليس من حصر لمنافع النبوة والوحي ، ومنها محاربة الكفر والظلم مجتمعين ومتفرقين ، ولقد اتخذ الأنبياء منهاجاً مستقيماً في محاربة الإرهاب والنهي عنه بالقول والفعل .

لقد جاء الأنبياء بقانونين متلازمين :

الأول : قانون نشر شأبيب المودة والمحبة .

الثاني : نبذ الكراهية ومقدمات العداوة .

وجاءت سيرة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وقصة حياته شاهداً على كيفية تلقي الناس للرسول عند قيامهم بتبليغ الأحكام والسنن وهو على أقسام :

الأول : طائفة تؤمن بالنبي ، وتبدأ نشأة هذه الطائفة بإيمان أفراد قلائل ثم تزداد وتتسع حتى تكون أمة ، ويدرك الكفار هذا القانون من الإرادة التكوينية ، ويعلمون أن السبيل الوحيد لمنع دخول أبنائهم وبناتهم الإسلام واثباتهم الفرائض العبادية هو قتل النبي الذي يدعو ذات الآباء إلى إقامة الصلاة ودفع الزكاة والإنفاق في سبيل الله ، بينما لم يسع أي نبي من الأنبياء إلى قتل وإبادة رؤساء الكفر لجلب الناس إلى منازل الهدى والإيمان إنما تتوجه الدعوة إلى ذات الرؤساء بعرض واحد مع عامة الناس ، ومما

تتصف به دعوة الأنبياء التساوي والتكافؤ بين الناس مع رجحان كفة التقوى ، قال تعالى ﴿إِنْ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ اتَّقَاكُمْ﴾^(١).

الثاني : إنتشار أمر ودعوة النبي بين الناس وتناقل الركبان لمعجزاته ، وصيرورتها بفضل من الله حديث المنتديات والمجالس .

الثالث : بعث الرأفة والرحمة في قلوب الناس نحو النبي والمؤمنين ، والإنكار العام لإيذائهم من قبل الطاغوت ورؤساء الكفر ، وأدركت قريش استياء الناس من توالي هجومها على المدينة خاصة عندما عجزوا عن جمع الرجال لقتال النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعد معركة الخندق ، وفيه معجزة للأمر القرآني للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه بالصبر المقرون بالحيلة والحذر ، قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾^(٢).

وحينما يرى رؤساء الكفر اتباع الناس للنبي زمانهم وظهور الميل إليه حتى في حاشيتهم وبيوتهم يسعون في التخلص منه ومن دعوته ، وهو الذي تجلّى في سعي قريش في تعذيب أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم من الرجال والنساء .

فمن عادة العرب إجتتاب مؤاخذه النساء على أقوالهن ، ومع هذا حينما واجهت سمية بنت خياط أم عمار بن ياسر أبا جهل بايمانها وثباتها على الإيمان طعنها في قلبها وارداها مضرجة بدمها.

ولم يوجه له رجالات قريش اللوم على ما فعل مع أنهم تعاقدوا على الذب عن الذي يتعرض للظلم في مكة ، كما في حلف الفضول الذي عقد في دار عبد الله بن جدعان التي دخلت في توسعة المسجد الحرام أيام

(١) سورة الحجرات ١٣.

(٢) سورة آل عمران ٢٠٠.

المهدي العباسي، وقال النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بخصوص حلف الفضول (لقد حضرت في دار ابن جدعان حلفاً لو دعيت إليه الآن لأجبت) ^(١).

وعقد هذا الحلف بعد انقضاء حرب الفجار التي وقعت بين كنانة قيس عيلان وكنانة، وكانت قريش جزءاً من كنانة، وعقد حلف الفضول في شهر ذي القعدة من سنة ٥٩٠ ميلادية، وسمي الفضول لأن قريشاً تعاقبت على رد الفضول إلى أهله.

وسبب هذا الحلف مجئ رجل من زبيد من اليمن إلى مكة فباع سلعة له على العاص بن وائل السهمي، فعظله الثمن ولم يدفع له، فقام الرجل وصعد جبل أبي قبيس الذي يطل على البيت الحرام من جهة جبل الصفا، إذ أنه يجاوره، وكان رجال قريش حينئذ حول الكعبة.

(فنادى بشعر يصف فيه ظلامته. رافعاً صوته منادياً يقول:

يا للرجال المظلوم بضاعته ... يبطن مكة ناس الحي والنفير

إن الحرام لمن تصت حرامته ... ولا حرام لثوب الفاجر الغدر

فمشت قريش بعضها إلى بعض، وكان أول من سعى في ذلك الزبير بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، واجتمعت قبائل قريش في دار الندوة وكانت للحل والعقد، ومن اجتمع بها من قريش بنو هاشم بن عبد مناف، وبنو المطلب بن عبد مناف، وزهرة بن كلاب وتيم بن مرة، وبنو الحارث بن فهر، فاتفقوا على أنهم ينصفون المظلوم من الظالم، فساروا إلى دار عبد الله بن جدعان، فتحالفوا هنالك؛ ففي ذلك يقول الزبير بن عبد المطلب:

حلفت لنعقدن حلفاً عليهم ... وإن كنا جميعاً أهل دار

نسميه الفضول إذا عقدنا ... يعزبه الغريب لذي^(١) الجوار
 ويعلم من حوالى البيت أنا ... أباة الضيم نهجر كل عار^(٢).
 وحين بعث الله عز وجل النبي محمداً صلى الله عليه
 وآله وسلم سعت قريش لإسكاته ومنع استمراره في دعوته
 إلى الله ، وتحذثوا إلى عمه أبي طالب عدة مرات للضغط
 على النبي صلى الله عليه وآله وسلم أو تركهم وإياه كي
 يسجنوه أو يقتلوه ، ولكنه أبى عليهم ، وأصر على حمايته
 بصفته نبي زمانه ، يتلو آيات التنزيل فعزمت قريش على
 قتله في فراشه ، فهاجر أكثر أصحابه إلى المدينة بعد أن
 هاجرت طائفة منهم إلى الحبشة ، واستولت قريش على
 أموالهم وأملأهم ، فتضمن القرآن ذم الكفار والجاحدين
 والذين يمتنعون عن الصلاة والذين يخلون بالزكاة والحق
 الشرعي ، وينكرون الزكاة ، ليكون من باب الأولوية
 القطعية لوم وذم الكفار الذين استحوذوا على بيوت
 وأموال النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه في مكة ،
 قال تعالى ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ
 أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا﴾^(٣) وقال تعالى ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اقْنُطُوا مِنَّا
 رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا الَّذِينَ كَفَرُوا قَالُوا الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْطَعُمُ
 مِن لَّوْيشَاءُ اللَّهِ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾^(٤).

(١) في الأصل (للي) وهو سهو من النساخ.

(٢) مروج الذهب ٢٧٨/١.

(٣) سورة الفرقان ٦٠.

(٤) سورة يس ٤٧.

قانون شرائط الصلاة احتراز من الإرهاب

لقد أدرك الناس ترتب فرائض عبادية متعددة على دخول الإسلام فكان بعضهم يتردد في دخول الإسلام ، فلم يأذن النبي صلى الله عليه وآله وسلم بارجاء الفرائض العبادية عن الذي يدخل الإسلام ، ومن هذه الفرائض :

الأولى : أداء كل مكلف ذكراً أو أنثى الصلاة خمس مرات في اليوم ، وفيه أحكام يجب أن يدركها ويؤتيها الذي يدخل الإسلام وهي :

الأول : شرط الطهارة التعيينية المخصوصة كمقدمة للصلاة (وقال ابن عمر : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، يقول : لا تقبل صلاة إلا بطهور ، ولا صدقة من غلول)^(١).

الثاني : تعدد ركعات كل صلاة من الصلوات اليومية وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾^(٢).

الثالث : ضبط أفعال الصلاة من الواجبات والأركان ، وهو من مصاديق حديث (مالك بن الحويرث قال : قال لنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : صلوا كما رأيتموني أصلي فإذا حضرت الصلوة فليؤذن لكم أحدكم وليؤمكم أكبركم)^(٣).

الرابع : تعيين وقت أداء كل فريضة من أفراد الصلاة اليومية ، فيمتد وقت صلاة الصبح من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس ، ثم ليس من صلاة فريضة إلى زوال الشمس عن كبد السماء حيث يحل أوان صلاة الظهر ،

(١) صحيح ابن حبان ٢٣٤/١٤.

(٢) سورة البقرة ٢٣٨.

(٣) البيهقي / السنن الكبرى ٣٤٥/٢ .

ويدرك الذي يدخل الإسلام أن عدد ركعات صلاة الظهر ضعف ركعتي صلاة الصبح ، وأنه لو جاء بصلاة الظهر قبل الزوال لا تقبل ، للجمع بين أداء الفريضة والتدبر في الآيات الكونية ، وهو من الشواهد على قانون تعضيد الآيات الكونية وآيات التنزيل بعضها لبعض .

الخامس : وجوب تلاوة القرآن في كل ركعة من الصلوات اليومية ، وفيه معجزة في باب تشريع العبادات بأن تكون الصلاة وسيلة مباركة لأمر:

أولاً : تعاهد المسلمين لآيات وسور القرآن .

ثانياً : تجلي قانون (التدبر اليومي العام بآيات القرآن) ويأتي بيانه في الأجزاء التالية ان شاء الله .

ومن خصائص الصلاة تلاوة آيات القرآن بحال الخشوع والخضوع لله عز وجل ، وهو مناسبة كريمة للتفكير والتدبر في آيات القرآن ودلالاتها ، وباعث للنفرة في النفوس من الإرهاب والقتل والإضرار بالناس .

ثالثاً : توارث المسلمين والمسلمات آيات وسور القرآن ، وهو من حفظ الأمانة في الأرض ، ومصاديق الخلافة في قوله تعالى ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾^(١) .

رابعاً : تجديد الأخوة الإيمانية بين المسلمين بالصلاة ، وتلاوة القرآن وهو من عمومات قوله تعالى ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾^(٢) .

خامساً : تنزيه النفوس والمجتمعات من النفاق والرياء .

سادساً : السلامة من غلبة النفس الغضبية ومقدمات إيذاء الآخرين .

(١) سورة البقرة ٣٠ .

(٢) سورة الحجرات ١٠ .

سابعاً : تنمية ملكة الصبر ، وهو واقية من الإرهاب ومن الرد عليه بالمثل ، قال تعالى ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾^(١).

السادس : وجوب افتتاح الصلاة بتكبيرة الإحرام للبيان العملي على التنزه من الشرك الظاهر والخفي .

السابع : تضمن كل ركعة من الصلاة وجوب كل من :
أولاً : القيام .

ثانياً : الركوع .

ثالثاً : السجود مع الذكر والتسبيح .

الثامن : عدم سقوط الصلاة على أحد من المكلفين ، حتى المسافر والمريض ، ومن لم يقدر على أدائها قياماً يؤديها بالحال التي يقدر عليها . وعن الإمام جعفر الصادق عليه السلام عن أبيه الباقر عن الإمام علي بن الحسين عن الإمام الحسين عن الإمام علي بن أبي طالب عليهم السلام (عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال يصلي المريض قائماً ان استطاع فان لم يستطع صلى قاعداً فان لم يستطع ان يسجد أوماً وجعل سجوده اخفض من ركوعه ، فان لم يستطع ان يصلي قاعداً صلى على جنبه الايمن مستقبلاً القبلة ، فان لم يستطع ان يصلي على جنبه الايمن صلى مستلقياً رجله مما يلي القبلة)^(٢).

لقد اقترن أداء الصلاة ببعثة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ومن أول ما اعلنه النبي صلى الله عليه وآله وسلم من نبوته أدائه الصلاة في

(١) سورة فصلت ٣٤ .

(٢) البيهقي / السنن الكبرى ٣٠٧/٢ .

المسجد الحرام وتلاوة القرآن منه ، وفيه إعلان يومي متجدد للناس جميعاً بأن رسالة الإسلام سلام وأمن للجميع وأنها عبادة خالصة لله عز وجل ، فليس في الصلاة إيذاء لمذهب أو طائفة أو أمة من الناس ، واستمرت مدة نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم ثلاثاً وعشرين سنة وفي كل سنة تنزل آيات تؤكد وجوب إقامة الصلاة .

وفي رواية عن ابن عباس أن آخر سورة انزلت على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم هي سورة النصر^(١) ، ومجموع كلماتها ست عشرة كلمة وهي ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ * وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْ لَهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴾^(٢).

وفيها دليل على أن النصر وفتح مكة جاء من عند الله ولم يتم غنوة ، وليس بغزو من قبل النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه ، وتدل عليه وجوه :

الأول : الإعجاز في سرية الفتح.

الثاني : عدم حصول قتال معتد به عند دخول النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه إلى مكة .

الثالث : مباردة أهل مكة للدخول في الإسلام في ذات يوم الفتح .

وفي السورة أعلاه بعث للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم والمسلمين والمسلمات للتسبيح والإستغفار ، ويتجلى التسبيح بأداء الفرائض اليومية لتبدأ أيام الإسلام في

(١) تفسير ابن كثير ٥/٢.

(٢) سورة النصر ١-٥.

الأرض بأداء الصلاة وتختتم حياة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالأمر من عند الله له بتعاهد الصلاة وجعلها الميراث العام المبارك للمسلمين.

وهذا الميراث واقية من الإرهاب ، وحجة على الناس جميعاً بأن الإسلام دين صلاة ، وليس من نبي إلا وجاء لقومه بأداء الصلاة وأوصى أصحابه والأتباع بتعاهداها ، وفي عيسى عليه السلام ورد في التنزيل ﴿وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾^(١) والمراد من الصلاة في المقام هي العبادة والوقوف بين يدي الله بهيئة مخصوصة كما في مريم في قوله تعالى ﴿يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾^(٢).

أما الزكاة في الآية أعلاه فهي إخراج الحق الشرعي المعين من المال ، وقيل المراد من الصلاة في الآية أعلاه الدعاء ، ومن الزكاة التطهر من الذنوب ، ولكن هذا القول خلاف الظاهر والمتبادر الذي هو من علامات الحقيقة ، فان قيل ليس عند عيسى أموال يخرج زكاتها ، والجواب إنما جاءت الوصية له ، وليقوم بتبليغ حكم الصلاة والزكاة لأنصاره وأتباعه وأهل ملته .

وأمر الله عيسى عليه السلام بالبر بوالدته لقداستها وطهارتها ، وليكون معصوماً من الإنصات للذين افتروا عليها إذ ولدته من غير أب ، وفيه تنمية للملكة السلامة والعصمة من الإفتاء الذي قد يكون سبباً لبروز أثر النفس الغضبية على السلوك .

(١) سورة مريم ٣١.

(٢) سورة آل عمران ٤٣.

حكم القصاص زاجر عن الإرهاب

قال تعالى ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾ ^(١) جاءت الآية بصيغة الجملة الخبرية مع أنها انشاء وحكم ، كما في قوله تعالى ﴿وَلَهُ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ ^(٢) إذ تدل هذه الآية على وجوب الحج ، وقال النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بمحصر وجوب الحج بمرة واحدة في العمر إلا أن يكون مستحباً ، وكذا بالنسبة لآية القصاص وبينهما عموم وخصوص مطلق ، فأية الحج أعلاه متوجهة للناس جميعاً بدليل ورود لفظ ﴿عَلَى النَّاسِ﴾ لإفادة التكليف العام للذكر والأنثى ، وورد الإستثناء العرضي اللاحق بقوله تعالى ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا﴾ ^(٣) أما آية القصاص توجّهت إلى أولي الأبواب وهو أخص من لفظ الناس إذ أن الذي يقع عليه حكم القصاص هو ظالم لنفسه ولغيره وآية وحكم القصاص زاجر عن الإرهاب الشخصي والنوعي .

وعندما أخبر الله عز وجل الملائكة ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ ^(٤) احتجت الملائكة بأمرين :

الأول : فساد طائفة من الناس .

(١) سورة البقرة ١٧٩.

(٢) سورة آل عمران ٧٩.

(٣) سورة التوبة ٢٨.

(٤) سورة البقرة ٣٠.

الثاني : قيام بعض الناس بقتل بعض آخر منهم كما ورد في التنزيل ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾^(١) فجاء الرد والجواب من عند الله عز وجل بقوله ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٢) ليكون من علم الله الذي ذكرته الآية أعلاه نزول حكم القصاص .

ومن خصائص هذا الحكم أنه سلامة من القتل للذي يهم به والذي يتعرض للقتل ، فاذا علم الإنسان أنه إذا قتل غيره يقاد به فانه يتجنب القتل فيكون حكم القصاص سبباً لإستدامة حياة كل من :

الأول : الذي يراد قتله .

الثاني : الذي يهم أو يشرع بالقتل .

الثالث : الذرية المحتملة من الذي ينجو من القتل .

الرابع : الذرية المحتملة من الذي يتجنب القصاص .

ويمحتمل المراد بالحياة في الآية وجوهاً :

الأول : ارادة استدامة الحياة والسلامة من القتل وأجل اضافي .

الثاني : الحياة بمعنى الإيمان ، كما في قوله تعالى ﴿أَوْمَنَ كَانَ

مِيثَاقَ حَيْثِيَّاهُ﴾^(٣).

الثالث : الحياة العامة تتغشى الجميع بالسكينة والطمأنينة .

الرابع : الإنقطاع إلى العبادة والذكر ، وعدم الخوف والخشية من

القتل .

وهذه الآية بشارة ثني الوسادة وتولي المسلمين الحكم بحيث يكونون قادرين على الشروع بتنفيذ القصاص من منازل السلطان، وهل المراد في

(١) سورة البقرة ٣٠ .

(٢) سورة البقرة ٣٠ .

(٣) سورة الأنعام ١٣٣ .

الآية خصوص تنفيذ القصاص أم مطلق الحكم وان لم ينفذ كما لو صدر الحكم بالقصاص لمن يقتل عمداً ولكن يبقى في السجن ويرجى تنفيذ الحكم .

المختار هو الثاني .

ويدل عليه إمكان العفو عن صدر عليه حكم القصاص لعموم قوله تعالى ﴿وَإِنْ تَغْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾^(١).

ومن الإعجاز في الصلة بين الآيتين أن آية القصاص تجعل الرجاء مرتبة وطريقاً للعفو .

ومن السنة التي هي المصدر الثاني للتشريع ، ورد تأكيد النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالقول والفعل على استحباب العفو ، ومن خصائص التشريع في المقام جواز رضا ولي المقتول عمداً بالدية ، والدية على ستة أصناف :

الأول : ألف دينار ، وكل دينار مثقال ذهب عيار ثمانى عشرة حبة .
الثاني : عشرة آلاف درهم فضة ، وكل درهم ٢,٥٢ غرام على خلاف في وزنه .

الثالث : مائة ناقة مع اختلاف أسنانها .

الرابع : ألف شاة غنم .

الخامس : مائتا بقرة .

السادس : مائتا حلة كل حلة من قطعتان أو حسب اللباس المتعارف في حينه .

ترى من الذي يختار صنف الدية ، الجواب هو الجاني نفسه .
 وإن رضي ولي الدم بالدية فتكون على الجاني نفسه ، وليس على العاقلة كما في قتل الخطأ لأنه يشتري رقبته .

وهل من تعارض بين حكم القصاص والعفو ، وإذا كان في القصاص حياة فهل في العفو حياة أيضاً أم أنه يبعث على التهاون والتجراً في الدماء . الجواب ليس من تعارض بينهما ، وكما أن في القصاص حياة فإن في العفو حياة لأنه لم يأت إلا بعد ثبوت حكم القصاص وعدم التفريط به ، وحكم القصاص زاجر جلي عن الإرهاب ، وعن الشروع بالقتل والتدبر والسعي في زهوق الأرواح .

وتتجلى معجزة الأحكام الجنائية ، كما في قوله تعالى ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾^(١) .
وهناك مسألتان :

الأولى : حكم القصاص أعم من أن يختص بالقود والقتل ، فيشمل القصاص بالأعضاء .

الثانية : تقدير الآية أعلاه على وجوه :

الأولى : ولكم في حكم القصاص فذات الحكم زاجر عن ارتكاب الجناية ضد الغير ، وإن لم ينفذ القصاص كما لو تم العفو أو الصلح والتراضي ، قال تعالى ﴿وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾^(٢) .

الثانية : ولكم في تلاوة آية القصاص حياة يا أولي الألباب ، فهذه التلاوة تأديب وباعث على الطمأنينة في النفوس من القتل ظلماً .

الثالثة : ولكم في التذكير بالقصاص سعي في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وهل يجب في الأمر وجود الأمر والمأمور ، أم تكفي التلاوة ، المختار هو الثاني ، فذات تلاوة قوله تعالى ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا

(١) سورة البقرة ١٧٩ .

(٢) سورة البقرة ٢٣٧ .

أُولَى الْأَبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١﴾ ، من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ليكون ثواب المسلمين بقراءة القرآن مضاعفاً بلحاظ تعدد كل من :
الأولى : كلمات التلاوة .

الثانية : مضامين التلاوة ، فكل آية في شأن .

الثالثة : الغايات والمقاصد السامية من التلاوة .

الرابعة : الأثر والنفع العظيم للتلاوة .

الخامسة : صيرورة تلاوة القرآن تذكرة ، وموعظة ، وأمرأ بالمعروف ، ونهياً عن المنكر.

الرابع : ولكم في العفو عن القصاص حياة يا أولي الأبواب ففيه حياة للجاني ومناسبة للتوبة والإنابة ، وفي العفو إزاحة للكدورة وطرده للنفرة من النفوس .

الخامس : ولكم في تنفيذ حكم القصاص حياة يا أولي الأبواب لما فيه زجر للناس عن التعدي والجناية والقتل .

لقد كان العرب قبل الإسلام يغزو بعضهم بعضاً ويحدث بينهم قتل ، وتتفرع عنه ثارات ثم يتم الصلح والتراضي بدفع الدية أو التنازل عنها ، وجاء الإسلام بحكم القصاص ليكون الإنسان قرير عين بأنه إذا قُتل فإن قاتله يلحق به ، وهذا الحكم سبيل لنجاة الإثنين معاً وغيرهم أيضاً ، إذ تكون ثقافة عامة عند الناس بأن القتل عن عمد لا يؤدي إلا إلى القود عن القتل .

السادس : في الآية انصاف للمظلوم وإزاحة التمايز في الحكم الطبقي بين الناس قال تعالى ﴿وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا

يَعْظُمُ بِهِ إِنْ أَلَّ اللَّهُ كَانَ سَمِيحًا بَصِيرًا^(١)، إذ وردت الآية مطلقة وتقديرها على وجوه :

أولاً : ولكم في القصاص من الظالم للمظلوم .

ثانياً : ولكم في القصاص من الغني للفقير .

ثالثاً : ولكم في القصاص من الأمر والمأمور .

رابعاً : تثبيت وتوارث قواعد الحكم مثل البينة على من أدعى واليمين على من أنكر ، قال الإمام علي عليه السلام : حَقٌّ عَلَى الْإِمَامِ أَنْ يَحْكُمَ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ ، وَأَنْ يُؤَدِّيَ الْأَمَانَةَ ، فَإِذَا فَعَلَ ذَلِكَ وَجَبَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ أَنْ يَسْمَعُوا لَهُ وَيَطِيعُوا ، وَأَنْ يُجِيبُوا إِذَا دُعُوا^(٢) .

خامساً : سيادة الإنصاف وحسن ولاية أمور الناس .

وتدل إطلاقات آية القصاص على مجئ النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالشرعية العادلة التي تتضمن الحكم بين الناس بالعدالة وفيه بعث للطمأنينة في النفوس ، والتوجه إلى الذكر والدعاء والتسبيح ، واجتناب الضرر والإضرار بالغير ، فالجميع متساوون أمام تنفيذ الشريعة ، وفيه شاهد على أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يغز أحداً ، إذ يدل حكم القصاص على احترام الدماء ، وعدم جواز إشاعة القتل بغير حق . وتبين الآية أن القصاص من القتل بالحق .

وهل كان حكم القصاص سبباً لدخول طائفة من الناس الإسلام ، الجواب نعم ، ومن خصائص حياة الجاهلية أن أكثر الناس مستضعفون ، فجاء تشريع حكم القصاص واقية لهم ، وسبيلاً لسلامتهم وانتزاعاً لحقهم ، ليكون من شكرهم لله عز وجل إعلان الإيمان والتصديق بالتنزيل ، وأن النبوة حق وصدق ، ومن الشكر أداء الفرائض العبادية ، قال تعالى

(١) سورة النساء ٥٨ .

(٢) تفسير ابن أبي حاتم ٢١٧/٤ .

﴿لَا إِلَافَ قُرَيْشٍ * إِلَّا لَهُمْ رَحَلَةُ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ * فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ * الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾^(١).

وفي آية القصاص غنى عن السيف في الدعوة إلى الإسلام ، ولكن رؤساء الكفر تصدوا للدعوة النبوية لأن فيها عزا للفقراء والضعفاء عند اختيارهم الإيمان ، ومن المفارقات في التأريخ أن رؤساء الكفر حاربوا النبوة والتنزيل بهؤلاء الفقراء ، وأهل القرى والعبيد ، وقد بعث الله عز وجل لهم مجتمعين ومتفرقين الأنبياء لإنقاذهم من رقبة الكفر واتباع الظالمين.

وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^(٢) وفي دخول الفقراء والمستضعفين الإسلام رحمة بهم وبرؤساء الكفر من قريش لأنهم يعجزون عن جمع الأنصار والاتباع لمحاربة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم والقرآن ، وهو الذي تجلّى في صلح الحديبية ، ثم في فتح مكة ، ووهن الذين كفروا ، فلم يبق معهم من الأتباع إلا أفراداً قلائل .

لقد كان رؤساء الكفر كأبي جهل وأمية بن خلف وأبو سفيان ونحوهم يخشون مساواتهم بالمستضعفين عند دخول الإسلام ، إذ تدل آية القصاص وقوله تعالى ﴿وَكَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنفَ بِالْأَنفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارٌ لَهُ وَمَن لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾^(٣) على التساوي والإقتصاص من الرئيس إذا اعتدى بجناية على المرؤوس ومن الغني إذا ظلم الفقير ،

(١) سورة قريش ١-٤.

(٢) سورة الأنبياء ١٠٧.

(٣) سورة المائدة ٤٥.

فصار الناس يتدبرون في هذه الحقائق وتميل نفوسهم إلى المساواة لأنه ملائم لدين الفطرة ، وهو باب للتقوى والصلاح ، قال تعالى ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾^(١).

ترى ما هي النسبة بين المساواة وحكم القصاص ، الجواب هو العموم والخصوص المطلق ، فالمساواة أعم ، وتشمل الأحكام العبادية والمعاملات ، وأكثر الناس لا يتلون بمسألة القصاص ، سواء مقتص منه أو يقتص له ، وهو من الإعجاز في دفع الله البلاء عن الناس بأحكام الشرائع ، لبيان منافع آنية ويومية لبعثة الأنبياء إلى جانب الثواب والأجر العظيم لمن يعمل بأحكام الشريعة ، إذ أن حبس النفس عن إرتكاب جناية وجريمة فيه ثواب وأجر ، قال تعالى ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَهَيَّئَ النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ﴾^(٢).

ومن الإعجاز في آية القصاص أنها تزجر عن الإرهاب الشخصي ، وتمنع من المناجاة والإجتماع فيه ، إذ تبين للمسلمين والناس جميعاً القبح الذاتي للإرهاب وعقوبته العاجلة ، مع بيان أن اجتنابه من التقوى ، لتقول الآية للناس أموراً :

الأول : إياكم والقتل .

الثاني : إجتنبوا سفك الدماء .

الثالث : تنفيذ الحاكم للقصاص .

الرابع : دفاع الشريعة السماوية عن المظلوم .

ولم يكن حكم القصاص خاصاً بالشريعة الإسلامية ، فما من رسول إلا وأتى بحكم القصاص ، قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ

(١) سورة الحجرات ١٣.

(٢) سورة النازعات ٤٠.

فِي الْقَتْلِ الْحُرِّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأَنْثَى بِالْأُنْثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتَّبِعْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءُ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنْ اعْتَدَى بِعَدْوٍ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ^(١) .

أي لا يفرض شيء وحكم في القرآن إلا الله عز وجل ، وهو القائل ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾^(٢) .

وهل يمكن تقدير آية القصاص : يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص كما كتب على الذين من قبلكم ، الجواب نعم ، والآية أعم من أن تختص بالمؤمنين .

ويدل عليه ما ورد بخصوص التوراة في التنزيل ﴿وَكُتِبَ عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنْ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾^(٣) .

وبينت الآية أعلاه أن العفو عن الجاني صدقة وكفارة للذنوب ، مثلما ورد قوله تعالى في خطاب للمسلمين ﴿وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾^(٤) .

وإن وردت الآية أعلاه في باب النكاح والطلاق ، وتمام الآية هو ﴿وَأِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً

(١) سورة البقرة ١٧٨ .

(٢) سورة البقرة ١٨٣ .

(٣) سورة المائدة ٤٥ .

(٤) سورة البقرة ٢٣٧ .

فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يُعْفُونَ أَوْ يُعْفُوا الَّذِي بِيَدِهِ عَقْدَةُ الثِّكَاحِ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ^(١)،
 لبيان مسألة وهي استحباب العفو مطلقاً .

والقصاص هو المساواة والتشابه والمماثلة .

ويقال (اقتُص منه أي أخذ منه)^(٢) .

(وفي الكتب المتقدمة: القتل أنفى للقتل. فجاءت هذه العبارة في القرآن أفصح، وأبلغ، وأوجز)^(٣) .

إلا أن عبارة القرآن حكم وبيان وحصر من جهات :
الأولى : القتل قصاصاً ، بينما ورد القول أعلاه مطلقاً ، وقد يدخل فيه القتل ظلماً .

الثانية : القصاص حكم سماوي لا يترتب إلا عند قيام شخص بقتل آخر ظلماً .

الثالثة : قيام الحاكم بالقصاص ، ليكون من معاني قوله تعالى ﴿يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾^(٤) ، التأكد من الجناية ، وثبوت القتل عمداً ، وعدم وجود شبهة الخطأ ونحوه .

الرابعة : إحصار القتل قصاصاً بالقاتل والجاني مطلقاً ، وكان العرب يثأرون من الجاني أو أخيه أو ابناء عمومته ، وقد لا يكتفون بالثأر من شخص واحد وإن كانت الجناية متحدة ، فيقع الدور في الثأر وسفك

(١) سورة البقرة ٢٣٧ .

(٢) العين ٣٦٨/١ .

(٣) تفسير ابن كثير ٤٩٢/١ .

(٤) سورة البقرة ١٧٩ .

الدماء ، وتشتل الفتنة بينهم ، وتتأجج الخصومة ، ويبقى الناس في حذر وحيطة ، وتتعمل الأعمال ز وتنشأ الحراسات في البيوت والقرى والمدن ، ويفتقد الأمن في الطرقات ، ويعيش الناس في إرهاب وخوف .
فنزل حكم القصاص من السماء رحمة عامة ، وأمنا وبعثا للسكينة في النفوس .

ليكون من معاني الحياة في قوله تعالى ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾^(١)،
منع الفتنة وتعدد سفك الدماء بالثأر المتبادل ، والحيلولة دون ظهور حالات من الإرهاب وأسباب الخوف والفرع بين الناس ، فيكون الأمن من الخوف والفرع سبباً لتعاهد الفرائض العبادية ، ومناسبة للإرتقاء في منازل التقوى .

قانون موعدة أبي سفيان لبدر الموعد إرهاب

لقد صدر الجزء الثالث والتسعون بعد المائة من هذا السفر المبارك في ذات قانون (لم يغز النبي (ص) أحداً) ويتضمن التحقيق في بدر الموعد وحدها إلى جانب قوانين متعددة بفضل من الله منها :

الأول : قانون معجزة النبي صلى الله عليه وآله وسلم في كل كتيبة .
الثاني : قانون أمن مكة مقدمة لبعثة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

الثالث : دعوة تعرض النبي لقافلة أبي سفيان مكر ، فلا أصل لهذه الدعوة.

الرابع : قانون ربح البيع.

الخامس : قانون التدريس عوض لأسرى بدر ، وغيره من القوانين.

وبخصوص كتيبة بدر الموعد ، مسائل :

الأولى : لم يخرج النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلا عن موعدة تحد من قبل أبي سفيان يوم معركة أحد في النصف من شهر شوال من السنة الثالثة ، إذ كان رأس جيش المشركين .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : ثُمَّ نَادَى أَبُو سُفْيَانَ : إِنَّهُ قَدْ كَانَ فِي قَتْلَاكُمْ مَثَلٌ وَاللَّهِ مَا رَضِيتُ ، وَمَا سَخَطْتُ ، وَمَا نَهَيْتُ وَمَا أَمَرْتُ . وَلَمَّا انْصَرَفَ أَبُو سُفْيَانَ وَمَنْ مَعَهُ نَادَى : إِنَّ مَوْعِدَكُمْ بِدَرٍّ لِلْعَامِ الْقَابِلِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِرَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِهِ قُلْ نَعَمْ هُوَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ مَوْعِدٌ^(١) .

الثانية : لم يقع قتال في كتيبة (بدر الموعد) ومع هذا تسمى غزوة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وهو لم يقصد بلدة أو قرية أو دار قوم .
الثالثة : لم يباغت النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم المشركين في مكة قبل حلول أوان (بدر الموعد) أو بعده .

الرابعة : عاد النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه إلى المدينة من بدر الموعد ولم يلقوا قتالاً ، فبعد أن انفصل أبو سفيان ومعه ألفان من مكة متوجهين إلى مياه بدر الموعد تدافعت أمام انظارهم صور هزيمتهم وقتلاهم في معركة بدر وصاروا يتحدثون بها ، ومنهم من حضر تلك المعركة فأخذوا يروون لأفراد الجيش سقوط سبعين قتيلاً منهم ، وذكروا أسماء عدد منهم من وجهاء قريش كعتبة بن ربيعة وأخيه شيبه ، وأبي جهل وأمية بن خلف ممن لهم شأن في مكة والقرى المحيطة بها والبلدان القريبة ، وبينوا لهم أمارات حضور القوى الغيبية التي آزرت النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم إذ كانت الملائكة تطارد جيش الذين كفروا ، قال تعالى ﴿فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾^(٢) .

(١) سيرة ابن هشام ٩٤/٢ .

(٢) سورة الأنفال ١٣ .

ومن لم يذكر المدد الملكوتي يذكر خروج عتبة بن ربيعة وأخيه شيبه وابنه الوليد بن عتبة بين الصفين ، وطلبهم المبارزة واصرارهم عليها ، فقتلوا في الحال إذ برز إليهم الإمام علي عليه السلام وحمزة بن عبد المطلب ، وعبيدة بن الحارث.

ومن إعجاز القرآن الغيري نزول قوله تعالى ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ﴾^(١) ، لتوثيق وقائع معركة بدر ، وتفصيل تلك المبارزة ، وحمل الناس من المسلمين وغيرهم على ذكرها كسبب أو موضوع للنزول وإن كانت الآية أعم في دلالتها وحكمها.

فامتلات قلوب جيش الذين كفروا بالخوف والرعب ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبَشِّرِ الظَّالِمِينَ﴾^(٢).

ليترشح عن هذا الرعب تباطئ وتلكأ المشركين في السير إلى بدر الموعد إلى جانب ادراك أفراد الجيش بأن خروجهم خلاف الحق.

وإلا فان أبا سفيان لم يتخذ قرار الرجوع من وسط الطريق من الروحاء إلا وقد رأى امتناع جنوده عن المسير وخشي من إنقلابهم عليه ، خاصة وأن معجزات النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ظاهرة للعيان ، وآيات القرآن تطرق الأسماع طوعاً وقهراً في الليل والنهار ، قال تعالى ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾^(٣).

(١) سورة الحج ١٩.

(٢) سورة آل عمران ١٥١.

(٣) سورة الأعراف ٢٠٤.

ليكون من معجزات النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم تلاوة آيات القرآن ، وسماع جيش المشركين الذي خرجوا إلى قتاله لآيات القرآن والتدبر في مضامينها القدسية ودلالاتها وذخائر التنزيل ، فتكون هذه التلاوة ورشحاتها سبباً لمناجاة جيش المشركين بالرجوع من وسط الطريق ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ﴾^(١).

ويتجلى قانون في المقام وهو أن سماع المشركين لآيات القرآن برزخ دون نشوب المعارك وسفك الدماء ، ومانع من مواصلة المشركين إرهاب الجيش الذي يخرج من مكة .

لقد كان المشركون يخرجون بجيوش عظيمة مثل خروجهم لمعركة أحد بثلاثة آلاف رجل ، ولمعركة الخندق بعشرة آلاف رجل بقصد نشر الرعب وسفك الدماء ، فتفضل الله عز وجل وألقى الرعب في قلوبهم ، وهو من مصاديق ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(٢).

وفيه بيان لمعجزة للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بخصوص السور المكية وهو قصرها وسهولة حفظها ، خاصة وأن العرب يتصفون بالحافظة والميل إلى إنشاد الشعر ، وحفظ القصائد الطويلة ، مع بيان مناسبتها واستحضارها عند تجدد ذات الموضوع أو عند المدح والهجاء ، مما سهل لهم حفظ آيات وسور القرآن ، ومن الإعجاز في المقام وجود أسباب لنزول كثير من آيات القرآن بما يلائم ميل العرب لمعرفة مناسبة القصيدة الشعرية ، ولكن بمرتبة أسمى لأمر :

الأول : المضامين القدسية لآيات القرآن .

(١) سورة الأحزاب ٢٥.

(٢) سورة آل عمران ١٨٩.

الثاني : إرتقاء آيات وسور القرآن في بلاغتها على الشعر وموازينه ، إذ يتفضل الله ويبين مصداقاً في كل آية لقانون وهو أن كلامه فوق كلام المخلوقين ، ولو اجتمعوا ، قال سبحانه ﴿ قُلْ لَنْ أَجْتَعِدَ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً ﴾^(١).

الثالث : التذكير المتعدد في السور المكية لعالم الآخرة ، وشدة عذاب النار ، وأنها مأوى الكافرين ، منه قوله تعالى ﴿ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ * فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقاً لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾^(٢) ، وهل صاحبت آيات الإنذار هذه المشركين في خروجهم إلى معركة بدر الموعد ، الجواب نعم ، وهو من مصاديق رحمة الله على عامة الخلق في قوله تعالى ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾^(٣).

وهل يمكن جعل مناجاة الناس عامة بآيات التنزيل من مصاديق قوله تعالى ﴿ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُمْ أَوْ أَرْبَاعَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَمَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾^(٤).

بلحاظ أن المراد من حضور الله معهم هو علمه بحالهم ، واستحضارهم لذكر الله وتلاوة التنزيل ، أما الأول وهو علم الله

(١) سورة الإسراء ٨٨.

(٢) سورة الملك ١٠-١١.

(٣) سورة الأنبياء ١٠٧.

(٤) سورة المجادلة ٧.

بجالهم فصحيح ، وأما استحضارهم لذكر الله ، فهو من معاني الآية أعلاه ولا يتعارض مع القدر المتيقن منها وهو بيان قانون من الإرادة التكوينية وهو أن كل شئ في قبضة الله عز وجل وأنه سبحانه أحاط بكل شئ علماً وأن الأشياء جميعاً حاضرة عنده ، ويفسر القرآن بعضه بعضاً ، ومن الآيات في المقام قوله تعالى ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾^(١) ، وفي التنزيل ﴿إِن مَّعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِي﴾^(٢) ، وقوله تعالى ﴿فَلَنَقُصَّنَّ عَنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ مَا هُمْ فِيهَا غَائِبِينَ﴾^(٣) .

كما ورد في التنزيل إحاطة الله علماً بما يعمله الملائكة ، قال تعالى ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ﴾^(٤) وغيرها من الآيات ، نعم مناجاة الناس بآيات القرآن سبب لبعث الخوف في قلوب الذين كفروا.

ولإظهار جيش المشركين إلى بدر الموعد الرغبة في الرجوع قبل أن يصلوا إلى وسط الطريق إليها من رشحات الآية الكريمة وعظيم نفعها ، وفيه شاهد بأن الله عز وجل يصرف صفوفاً وفصولاً من الإرهاب عن المسلمين وعامة الناس ، وهو سبحانه ﴿يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾^(٥) .

(١) سورة الحديد ٤.

(٢) سورة الشعراء ٦٢.

(٣) سورة الأعراف ٧.

(٤) سورة الأنفال ١٢.

(٥) سورة الأنفال ٢٤.

قانون التفكير في الآيات الكونية حرز من الإرهاب

لقد أكرم الله عز وجل الإنسان إذ رزقه العقل وجعله وسيلة التمييز بين الحق والباطل ، وسبيل الفلاح في أمور الدنيا والآخرة ، وهل نعمة العقل والانتفاع الأمثل منها من الصراط المستقيم في قوله تعالى ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾^(١).

الجواب نعم ، لذا تفضل الله عز وجل على كل مسلم ومسلمة بتلاوة هذه الآية سبع عشرة مرة في اليوم والليلة وعلى نحو الوجوب العيني في الصلاة ، وما تتصف به من حال الخشوع والإنقطاع إلى الذكر ، والإمتناع عن الإتيان بالمنافي ، إذ أن هذا الإمتناع أمر وجودي ، ومن وظائف العقل ، ومنها أن العقل حاجب للإنسان عن الإرهاب والظلم في القول والفعل ، ومانع من التعدي بسفك الدماء ، هذا التعدي الذي لا تختص القضية الشخصية منه بذات الفعل والذي يقع عليه ، إنما تضر المجتمع ، وتبعث الخوف في النفوس ، وفيه تعطيل للأعمال ، وإتخاذ الناس الحذر الزائد الذي فيه أعباء نفسية وجسدية وخسائر مالية .

وقد ملأ الله عز وجل حياة الإنسان بالآيات لتكون وسيلة لبعث الخوف في قلوب الكافرين ، ووسيلة لجذب الناس إلى سبيل الهدى والرشاد .

وهذا الجذب بذاته عزوف ونجاة من الإرهاب للتضاد بينه وبين الهدى ، قال تعالى ﴿وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾^(٢).

ولم يرد لفظ (بالآيات) في القرآن إلا مرتين وفي الآية أعلاه.

(١) سورة الفاتحة ٦.

(٢) سورة الإسراء ٥٩.

إن الآيات الكونية دلائل قاطعة على وجود الخالق ، وأنه الرب الذي يجب أن يعبد ولا يعبد سواه.

وقد نزل القرآن بتسميتها آيات كما في قوله تعالى ﴿إِن فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾^(١) ، وهو شاهد على صدق آيات التنزيل قال تعالى ﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَكِنُ الْمُرْسَلِينَ﴾^(٢).

وقال بعضهم أن المراد من الآية هنا معنى الجماعة لأن الآية القرآنية تتضمن عدداً من حروف وكلمات القرآن ، ويدفع هذا المعنى وصف العلامات الكونية الإعجازية بالآيات أي العلامات والدلالات ، إلا أن يراد الجماعة من العلامات والبراهين.

وقيل أن أصل آية هو آية ، بفتح الهمزة وفتح يائين بعدها. فصار موجب للإعلال في اليائين ، والأكثر في الإعلال في كلمة واحدة تصحيح الأول منهما وصيرورة الثاني ألفاً مثل : النوى ، والسجى ، الطوى ، والنجوى ، وقد يدخل الإعلال على الأول ويصحح الثاني كما في آية وغاية.

قال في الألفية :

من ياء أو واو بتحريك أصل ... ألفاً أبدل بعد فتح متصل^(٣).
وليس من حصر لآيات الله والعلامات الدالة على عظيم صنعه ، وإنفراده بالقدرة المطلقة ، ويكون التعضيد بين الآيات على وجوه :
الأول : تعضيد الآيات الكونية للآيات القولية والتنزيل.

(١) سورة آل عمران ١٩٠.

(٢) سورة البقرة ٢٥٢.

(٣) شرح ابن عقيل ٢٢٨/٤ .

الثاني : تعضيد الآيات القولية للآيات الكونية.

الثالث : تعضد كل آية كونية لآيات كونية أخرى.

الرابع : كل آية من التنزيل تعضد الآية الكونية ، وتهدي وترشد إليها.

الخامس : كل آية من التنزيل تعضد الآيات الأخرى^(١) ، وتؤكد صدق

نزولها من الله عز وجل ، وهو من الشواهد على سلامة القرآن من التحريف.

لقد واجه الطواغيت والمتكبرون الأنبياء بالصدود والإستهزاء وإعلان الحرب عليهم ، ولو آمنوا لما وقع قتال بينهم ، ولبقوا في ذات مراتبهم وشأنهم ، وإزدادوا رفعة لقانون : الملازمة بين الإيمان والرفعة.

ومن بديع صنع الله في الكواكب والآيات الكونية تفكر الناس بصنعها وعظيم خلقها ودقة أنظمتها وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يكثر من النظر إلى السماء في الليل وينظر إلى النجوم ثم يكثر من الدعاء أو يقوم إلى صلاة الليل .

وعن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم : خرج ذات ليلة بعد ما مضى ليل ، فنظر إلى السماء ، وتلا هذه الآية ﴿إِن فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾^(٢) ، إلى آخر السورة . ثم قال : "اللهم اجعل في قلبي نورا ، وفي سمعي نورا ، وفي بصري نورا ، وعن يميني نورا ، وعن شمالي نورا ، ومن بين يدي نورا ، ومن خلفي نورا ، ومن فوقني نورا ، ومن تحتي نورا ، وأعظم لي نورا يوم القيامة"^(٣).

(١) وقد صدر الجزء السادس والثمانون بعد المائة من هذا السفر المبارك في الصلة بين

الآية ١٨٠ والآية ١٨١ من سورة آل عمران .

(٢) سورة آل عمران ١٩٠.

(٣) تفسير ابن كثير ١٨٨/٢.

وعن الحسن البصري قال : خرج قوم إبراهيم عليه السلام إلى عيد لهم ، وأرادوا إبراهيم عليه السلام على الخروج ، فاضطجع على ظهره و {قال إني سقيم} ^(١) ، لا أستطيع الخروج ، وجعل ينظر إلى السماء ، فلما خرجوا أقبل على آلهتهم فكسرها ^(٢).

وفي هذا الزمان اعتادت كثير من العوائل بالسكن في شقق مسقفة قد لا يرون السماء في الليل ، فتفوت نعمة التدبر في أسرارها وعظمتها ، فأنعم الله عز وجل عليهم بوسائل الإعلام المرئية لرؤية تلك الآيات عن قصد إليها أو على نحو عرضي ، وفيه رافة بالناس لإستدامة التفكير في الخلائق وهل هذا التفكير برزخ دون الإرهاب وإشاعته الجواب نعم.

قانون إقتران دخول النبي المدينة ببناء مسجد

قانون بعث الصحابة والمسلمين بالعناية بالمسجد النبوي لأن اختياره بأمر من عند الله عز وجل.

تبعث الآيات الكونية متفرقة ومجموعة على التفكير والتأمل وإعمال العقل بالحقائق وأسرار الخلق وذخائر الكون ، وفيه تنمية لملكة الإيمان ، قال تعالى ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ ^(٣).

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في هذه الآية قال (ويل لمن قرأ هذه الآية فمَجَّ بها) ^(٤) ، أي لم يفكر بها ويتعظ منها .

ليان قانون وهو تفضل الله بتنزيه السموات والأرض عن الفساد ، وفيه زجر عن الإرهاب لأنه فساد وسفك للدماء - ليتجلى

(١) سورة الصافات ٨٩.

(٢) الدر المنثور ٨/٣٤٠.

(٣) سورة الأنبياء ٢٢.

(٤) الكشف والبيان ١/٢٨٩.

قانون وهو أن علم التوحيد برزخ دون الإرهاب سواء باسم الدين أو غيره.

ولم يرد لفظ ﴿لَفَسَدًا﴾ في القرآن إلا في الآية أعلاه وبصيغة النفي، لبيان أن الله عز وجل ينهى عن الفساد ويحرمه ، وأنه سبحانه يستأصله ، فلا عاقبة للفساد إلا الخسران.

لقد أراد الله عز وجل للناس الإستبصار والإتعاظ والإلهام والإعتبار من السنن الكونية والنظام الدقيق الذي يحكم تجلي الآيات في الآفاق ، ودلالاتها بأنها من عجائب قدرة الله والشواهد على لطفه وإحسانه وعظيم سلطانه وبديع حكمته .

وفيه إنصراف للإذهان عن الإضرار بالغير ، لأن التدبر في الآيات حاجز وبرزخ دون إستحواذ النفس الغضبية على الإنسان (عن الحارث ، أن عليا ، عليه السلام سأل ابنه الحسن عن أشياء وقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : لا فقر أشد من الجهل ، ولا مال أعود من العقل ، ولا وحدة أوحش من العجب ، ولا مظاهرة أوثق من المشاورة ، ولا عقل كالتدبير ، ولا حسن كحسن الخلق ، ولا ورع كالكف ، ولا عبادة كالتفكر ، ولا إيمان كالحياء والصبر)^(١).

وهل يمكن القول أن الحياة الدنيا (دار التفكير) الجواب نعم لأنه فرع نعمة العقل الذي هو مناط التكليف ، وجاء القرآن بالثناء على أولي العقول والألباب الذين يتفكرون في بديع صنع الله ، ويتخذونه باعثاً للشوق للعبادة ، والإنقطاع للذكر ، وإتيان الصالحات ، وإجتنب المحرمات .

ولقد ذم القرآن الذين كفروا لإعراضهم عن الآيات الكونية قال تعالى ﴿أَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجْلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾^(١).

ومن خصائص ومنافع التفكير وجوه :

الأول : إنه طريق للهداية وسبيل للرشاد ، وفي التنزيل ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾^(٢).

الثاني : التفكير واقية من الإرهاب والتحريض عليه ، فلا يقدر الفرد على الإرهاب من تلقاء نفسه وغالباً ما يكون هناك محرض ومؤازر ليكون التفكير في الخلق والنشأة وعالم الأكوان مانعاً من هذا التحريف ومن المناجاة بالإرهاب .

الثالث : التفكير في آيات الله سبب لطاعة الله ، والإمتناع عن الإضرار بالغير .

الرابع : تفويض الأمور إلى الله عز وجل وإظهار حسن التوكل عليه سبحانه ، وفي التنزيل ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾^(٣).

(١) سورة الأعراف ١٨٥.

(٢) سورة آل عمران ١٩١.

(٣) سورة القصص ٥٦.

علة تسمية قريش

قريش قبيلة كبيرة ولها تاريخ مجيد ، وترشحت منزلة قريش في التأريخ من أمور :

الأول : سدانة البيت الحرام ، والعناية بشؤون البيت ، وإكرام وفد الحاج .

الثاني : تولي شؤون التجارة بين مكة والشام ومكة واليمن .

الثالث : قيام رجالات قريش بالصلح بين القبائل ، وبذل الأموال لتمام الصلح والألفة بين القبائل ، وفيه تسهيل لمرور قوافل قريش في أراضي تلك القبائل ، فمن تتداخل قريش لتسوية خلافاته مع غيره ، وتدفع دونه الأموال ، ويكون مستعداً لحماية قوافل قريش ، ويتنزه عن التعرض لها (عن قتادة، قوله (لإيلاف قريش إيلافهم)).

قال : كان أهل مكة تجاراً يتعاورون ذلك شتاء وصيفا، آمنين في العرب، وكانت العرب يغير بعضها على بعض، لا يقدرّون على ذلك، ولا يستطيعونه من الخوف، حتى إن كان الرجل منهم ليُصاب في حيٍّ من أحياء العرب، وإذا قيل حُرِّمَ خُلِّيَ عنه وعن ماله، تعظيماً لذلك فيما أعطاهم الله من الأمن^(١).

والإيلاف من التأليف والوفاق والإجماع على ملة إبراهيم ، وقيل كانت قريش تألف الملوك والأمراء في الشام واليمن .

الرابع : قيام قريش باقراض المحتاج ، وإعانة الملهوف واشباع الجائع .

الخامس : إجهاد قريش في خدمة وفد الحاج ، وبذل الطعام والشراب لهم ، فمثلاً كانت لهم بساتين في الطائف لزراعة الكروم ، ليلقى العنب في ماء بئر زمزم لتحليلته وقد لا يكفي فيشترون كميات منه في موسم الحج ، والسقاية عند بني هاشم .

السادس : الدفع عن المظلوم في مكة .

السابع : فضل الله عز وجل في اختيار قريش للشأن الرفيع ، وهذا الشأن مقدمة لبعثة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

وقد أكرم الله عز وجل قريشاً فذكرهم في القرآن وخصهم بسورة كاملة وتبين اسمهم ، ورفعت منزلتهم إلى يوم القيامة ، وهو من إعجاز القرآن ، وبيانه لفضل الله عز وجل على قريش ، فلم تنفعهم أموالهم في الشأن والخلود ولكن بعثة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم سبب إكرامهم ، ومع هذا كانوا أشد الناس عليها وجهزوا الجيوش لمحاربتة .

ومن معاني قوله تعالى ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ﴾^(١) أي ليحرصوا على الإقامة في مكة ولا يجعلوا كل أيامهم للضرب بالتجارة بين مكة والشام ، ومكة واليمن أو مكة وفارس ، أو فارس والشام ، فلا بد من أمة من قريش تحافظ على الإقامة في مكة .

وهذه الإقامة ليست مجردة بل لابد أن تقوم بعبادة الله والنسك وتحقق هذه العبادة بالإقرار بالتوحيد والتصديق بنبو محمد صلى الله عليه وآله وسلم ونبد الأصنام وتنزيه البيت الحرام منها .

الثامن : تشريف قريش ببعث النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم رسولاً للناس من ذات القبيلة ، قال ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ﴾^(٢) ، وأسمى بيوتها - ليكتب الله عز وجل لقريش الشرف الرفيع إلى يوم القيامة بما يجعل غيرهم يعجز عن منافستهم في النسب ، ولكن باب التقوى والسعي إلى النعيم الدائم أعظم منه ، وهو مفتوح على مصارعيه للناس جميعاً ،

(١) سورة قريش ٣.

(٢) سورة سبأ ٢٨.

للتحلي بالتقوى والخشية من الله بالقول والفعل ، قال تعالى ﴿خَتَامُ مِسْكِ﴾^(١) وفي ذلك فليتنافس المتنافسون^(٢).

ووردت ألفاظ في هذه الآية مع قلة كلماتها لم ترد في آية أخرى ، وهي كل من:

الأول : ختامه .

الثاني : مسك .

الثالث : فليتنافس .

الرابع : المتنافسون .

وفيه علامة بأن التنافس ليس في جمع المال أو الجاه والشأن في الدنيا أو كثرة الأولاد والحفدة ، إنما في طاعة الله وإخلاص العبادة له سبحانه ، وسميت قريش لوجوه :

الأول : كانت قريش تسمى بني النضر لأنهم ولد النضر بن كنانة ، وجمعهم قصي بن كلاب جد النبي صلى الله عليه وآله وسلم وبه سميت قريشاً ، (وقال حذافة بن غانم العدوي لأبي لهب بن عبد المطلب :

أبوكم قصي كان يدعى مجمعا ... به جمع الله القبائل من فهر)^(٣).

ومخاطبة حذافة لأبي لهب خاصة وبالمدح والثناء شاهد على منزلة أبي لهب بين الناس لبيان مسألة وهي تسخير هذه المنزلة في إيذاء النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وتحريض الناس عليه ، لبيان أسباب نزول سورة في ذمه وزوجه .

الثاني : سميت قريشاً لإجتماعهم إلى الحرم بعد التفرق (عن سعيد بن محمد بن جبير بن مطعم أن عبد الملك بن مروان سأل محمد بن جبير: متى

(١) سورة المطففين ٢٦.

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد ٧١/١.

سميت قريش قريشاً؟ قال: حين اجتمعت إلى الحرم من تفرقها، فذلك التجمع القرش، فقال عبد الملك: ما سمعت هذا، ولكن سمعت أن قصياً كان يقال له القرشي، ولم تسم قريش قبله^(١).

الثالث : سميت قريشاً تشبيهاً لهم بدابة في البحر لكثرة كسبهم وانتفاعهم من الناس ، وعلو شأنهم .

(وأخرج البيهقي في الدلائل عن أبي ریحانة العامري أن معاوية قال لابن عباس : لم سميت قريش قريشاً؟ قال : بدابة تكون في البحر أعظم دوابه يقال لها القرش لا تمر بشيء من الغث والسمين إلا أكلته . قال : فأشدني في ذلك شيئاً فأنشده شعر الجمحي إذ يقول :

وقريش هي التي تسكن البحر ... بها سميت قريش قريشاً
تأكل الغث والسمين ولا تترك ... منها لذي الجناحين ريشاً
هكذا في البلاد حي قريش ... يأكلون البلاد أكلاً كميثاً
ولهم آخر الزمان نبي ... يكثر القتل فيهم والخموشا)^(٢).

قرأ عكرمة (ليألف قريش إلفهم رحلة الشتاء والصيف وقريش : ولد النضر بن كنانة سموا بتصغير القرش : وهو دابة عظيمة في البحر تعبت بالسفن ، ولا تطاق إلا بالنار)^(٣).

ومن القراء من أسقط الياء من إيلافهم ، إذ يقرأها (إلافهم) واستدل عليهم (بقول ابي طالب يوصي أبا لهب برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

ولا تتركه ما حييت لمعظم
وكن رجلاً ذا نجدة وعفاف

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ٧١/١.

(٢) الدر المنثور ٢٥٨/١٠.

(٣) الكشف ٣٢٨/٧.

تذود العدا عن عصبة هاشمية

إلافهم في الناس خير إلاف^(١) .

وكان هذه الوصية وشواهد أخرى إنذارا لأبي لهب ودعوة له للنجاة من الذم في القرآن ، ولكنه أصر على الإقامة على الكفر .

قانون أمن مكة مقدمة لبعث النبي محمد ص

لقد وردت آيات القرآن التي تخبر عن كون مكة بلداً آمناً للناس ، قال تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾^(٢).

وهناك آيات تدل بالدلالة التضمنية أو الإلزامية على هذا المعنى وتدعو لتعاهد الأمن في البيت الحرام وتنعم مجاوريه وعماره وزائريه بالأمن في أجسادهم وأموالهم ، منها قوله تعالى في خطاب لإبراهيم ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾^(٣) ، فهم يأتون مكة للعبادة والنسك ، ويكونون في حال تعب وضعف ، عاجزين عن التعدي ، ولا يهتمون به لأنه ضد للغاية العبادية التي جاءوا من أجلها .
ولابد من تأمين سلامتهم والذب عنهم ، لذا كانت قريش قد تحالفت على نصرة المظلوم ، وكما حصل في حلف الفضول الذي عقد في شهر ذي القعدة قبل البعثة النبوية بعشرين سنة ، منصرف قريش والقبائل عن حرب الفجار .

وأول من دعا إلى حلف الفضول الزبير بن عبد المطلب وعقد في دار عبد الله بن جدعان ، واجتمعت فيه كل من :

(١) الكشف والبيان للثعلبي ٢٢٦/١٤ .

(٢) سورة إبراهيم ٣٥ .

(٣) سورة الحج ٢٧ .

الأول : بنو هاشم .

الثاني : بنو زهرة .

الثالث : بنو أسد بن عبد العزى .

(فتعاقدوا وتعاهدوا بالله لنكونن مع المظلوم حتى يؤدي إليه حقه ما بل بحر صوفة ، أي ما يبل البحر قطعة الصوف إذا أدخلت فيه ، لإرادة التأيد في العقد ، وأنه يشمل الذراري .

وقال عليه السلام ما أحب أن لي بحلف حضرته في دار ابن جدعان حمر النعم وأنى أغدر به بعينه^(١) ، وقد تقدم الكلام فيه .

ولكن عندما بعث النبي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم اشتدت محاربتهم له ولأصحابه فكأنهم حاربوا الله عز وجل في نقض صبغة الأمن التي أرادها الله عز وجل لمكة وإلى يوم القيامة ، وهو من أسباب تعجيل فتح مكة ، وإزاحة الأصنام عن البيت الحرام .

وقال تعالى ﴿وَمَا لَهُمْ آلَ يَعْتَبِئُهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أُولِيَاءُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٢).

ومن خصائص هذا الفتح خلوه من الإضرار بطائفة أو جماعة أو أشخاص فهو خير محض حتى للذين كانوا يحاربون النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذ صار سبباً لهدايتهم سواء بخصوص أهلها أو غيرهم ، وهو من مصاديق تسمية مكة أم القرى بقوله تعالى ﴿وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا﴾^(٣).

(١) عيون الأثر ١/٦٨ .

(٢) سورة الأنفال ٣٤ .

(٣) سورة الأنعام ٩٢ .

ومن الآيات التي تدل على لزوم تعاهد الأمن في مكة قوله تعالى ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾^(١)، ويكون تقديره بلحاظ الأمن على وجوه:

الأول : إن أول بيت وضع أمناً للناس للذي ببكة .

الثاني : إن أول بيت وضع للناس ليتوارثوا التوحيد.

الثالث : إن أول بيت وضع للناس ليعرفوا ربهم ووجوب عبادته.

الرابع : أبى الله إلا أن يكون أول بيت وضع للناس من قبله سبحانه وخاصاً بعبادته وأمناً لهم .

الخامس : ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ﴾^(٢) يبعث من جواره خاتم النبيين .

السادس : ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ﴾^(٣) فلا تطردوا المؤمنين من جواره .

السابع : ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ﴾^(٤) مباركاً باطلالة ضياء الإيمان من جواره .

الثامن : إن أول بيت وضع للناس حباً من الله عز وجل لهم ورحمة بهم .

التاسع : ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ﴾^(٥) مباركاً بنزول القرآن في جواره .

(١) سورة آل عمران ٩٦.

(٢) سورة آل عمران ٩٦.

(٣) سورة آل عمران ٩٦.

(٤) سورة آل عمران ٩٦.

(٥) سورة آل عمران ٩٦.

العاشر: ﴿إِنْ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ﴾ ^(١) ليتناقلوا بشارة بعثة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ويتطلعوا لها .

الحادي عشر: إن أول بيت آمن ويفيض بالأمان وضع للناس للذي بيكة .

الثاني عشر: ﴿إِنْ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ﴾ ^(٢) ﴿سَوَاءَ الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِي﴾ ^(٣) والمراد من العاكف أهل مكة ، والبادي الذي يأتي من الآفاق للعمرة والحج والإعتكاف ، في تعظيم حرمة البيت ، ويجب على أهل مكة أن يهبوا لهم أسباب أدائهم المناسك .

(عن ابن عباس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في قول الله تعالى: سَوَاءَ الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِي} قال: سواء المقيم والذي يرحل) ^(٤).

ويفسر القرآن بعضه بعضاً إذ أن وضع البيت للناس كافة دعوة لأهل مكة وغيرهم لعدم الإستحواذ عليه ، وعلى الحياة العامة في مكة ، وكان أهل مكة لا يضعون أبواباً لبيوتهم إنما ينزل الحاج في فضاء البيت ، وعن عبد الله بن عمرو قال : لا يحل بيع دور مكة ولا كراؤها.

عن سمع عطاء يقول ﴿في قوله﴾ {سَوَاءَ الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِي}، قال: ينزلون حيث شاءوا.

وروى الدارقطني من حديث ابن أبي نجيح، عن عبد الله بن عمرو موقوفاً من أكل كراء بيوت مكة أكل ناراً) ^(٥).

(١) سورة آل عمران ٩٦.

(٢) سورة آل عمران ٩٦.

(٣) تفسير ابن أبي حاتم ٢٦٨/٩.

(٤) سورة آل عمران ٩٦.

(٥) تفسير ابن كثير ٤١٠/٥ .

لقد أراد الله عز وجل أن تكون مكة بلد اسلام والأمن ، وكما دحيت الأرض من تحتها فان السلام يتتشر في ربوع الأرض من مفاهيم العبادة ومناسك الحج ومفاهيم السلم والرحمة في البيت الحران ، بالعصمة من الإرهاب والعنف.

قانون إقامة النبي (ص) في المسجد دفع للإرهاب

من قوانين الإرادة التكوينية أنه ليس من شئ إلا وله مالك ، وصفة التمليك على قسمين :

الأول : الملك الدائم للأشياء ، وهو خاص بالله عز وجل ، ولا يقع فيه خلاف وخصومة لنتفاء الشريك لله تعالى ﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا﴾^(١).

الثاني : الملك المؤقت ، وهو يتعلق بملك الإنسان للأشياء وتحدد أسباب التمليك وكذا أسباب مفارقتها ، وهو نعمة عظمى على الناس ليذكروا الله عز وجل ، والأرض كلها ملك طلق لله عز وجل ، وجعل سبحانه بقعة منها ملكاً خاصاً له لا يحل لأحد أن يملكها أو يتجاوز عليها وهو البيت الحرام ، وأذن للناس ببناء المساجد ودور عبادته تعالى قال سبحانه ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾^(٢).

وبين الله عز وجل مسألة وهي أن المساجد في الأرض سابقة لبعثة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بدليل ذكر القرآن للمسجد الحرام والمسجد الأقصى ، قال سبحانه ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ

(١) سورة الفرقان ٢.

(٢) سورة الجن ١٨.

الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنَ الْأَيْمَانِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ^(١) .

لتبني المساجد ودور العبادة بالقصب والحجارة الصغيرة ، وتبنى بأبهي عمارة في الأرض ، وليس من تعارض بينها.

ومن فضل الله عز وجل على المسلمين والناس جميعاً بعثة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في مكة بجوار البيت الحرام ، وسيأتي قانون بعثة النبي صلى الله عليه وآله وسلم بجوار المسجد الحرام.

لقد أكرم الله عز وجل البيت الحرام بأن نسبه الى نفسه ، وذكره في القرآن بهذه النسبة مرتين ، قال تعالى ﴿وَعَهَدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ^(٢)﴾ ، ليكون هذا التطهير مقدمة لبعثة النبي محمد وبياناً لقانون وهو لزوم تطهير النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم المسجد الحرام من دنس الأوثان ، فذات العمل الجهادي الذي تحمل أعباءه إبراهيم وإسماعيل يتحمله النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم لإتحاد سنخية النبوة والغايات الحميدة من الرسالة ، مع أن إبراهيم وإسماعيل تعاونوا وتأزرا في تطهير البيت مع قلة عدد الناس حواله ، فان النبي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم بعثه الله عز وجل وسط مدينة كبيرة هي مكة يدين أهلها بالشرك ، وقاموا هم والقبائل المحيطة بها بنصب ثلاثمائة وستين صنماً في البيت الحرام .

ولم يكن أيام إبراهيم وإسماعيل أصنام في البيت بدليل قوله تعالى ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ^(٣)﴾ ،

(١) سورة الاسراء ١.

(٢) سورة البقرة ١٢٥.

(٣) سورة البقرة ١٢٧.

وقولهما (ربنا) لبيان مسألة وهي إقرارهما بالوحدانية ، وسلامتهما من الشرك قبل وبعد بناء البيت .

ولأن البيت يزدهم بالأصنام والمشركون فقد كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يخرج إلى غار حراء قبل أن ينزل عليه جبرئيل .

ليكون إنفراده في غار حراء مناسبة للتفكير وانتظار الوحي بعيداً عن المشركين ، وقد نزل فيما بعد قوله تعالى ﴿ إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا ﴾ ^(١) .

وصحيح أن الآية أعلاه مدنية أي نزلت بعد هجرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى المدينة ، ولكن صفة النجس مصاحبة للمشركون قبل نزولها وبعدها ، وهي باعث لهم لدخول الإسلام ونبذ عبادة الأصنام وعندما عزمت قريش على قتل النبي صلى الله عليه وآله وسلم في فراشه ليلة المبيت نزل جبرئيل بأمره بالخروج من مكة والهجرة لأنه صار في ليلة واحدة بين أمرين :

الأول : أن يقتل في فراشه من قبل عشرة من فتيان قريش يقومون بضربه ضربة رجل واحد.

الثاني : الخروج من مكة .

فكان الثاني بالوحي وبأمر من جبرئيل ، وعندما غادر النبي صلى الله عليه وآله وسلم مكة وَوَقَّفَ عَلَى الْحَزْوَرَةِ ^(٢) ، وَنَظَرَ إِلَى الْبَيْتِ فَقَالَ " وَاللَّهِ

(١) سورة التوبة ٢٨ .

(٢) الحزورة : لغة الربوة الصغيرة ، والحزورة سوق في مكة أمام المسجد الحرام يسمى سوق الخناطين ، وتباع فيه لحوم البقر والأسماك والحبوب والفواكه والحضروات ، وقد دخل في توسعة المسجد الحرام.

إِنَّكَ لَأَحَبُّ أَرْضِ اللَّهِ إِلَيَّ وَإِنَّكَ لَأَحَبُّ أَرْضِ اللَّهِ إِلَيَّ اللَّهُ وَلَوْلَا أَنْ أَهْلَكَ
أَخْرَجُونِي مِنْكَ مَا خَرَجْتُ^(١).

وقال ياقوت الحموي (٥٧٤-٦٢٦ هجرية) وكانت الحزورة سوق مكة
وقد دخلت في المسجد لما زيد فيه. وفي الحديث وقف النبي صلى الله عليه
وسلم، بالحزورة فقال يا بطحاء مكة ما أطيبك من بلدة وأحبك إلي ولولا
أن قومي أخرجوني منك ما سكنت غيرك^(٢).

وياقوت الحموي هو شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الحموي ، من
أصل رومي من مواليد اليونان ، وقيل بلاد الروم سكن بغداد وجاءه لقب
الحموي من مولاه التاجر عسكر بن أبي نصر البغدادي الحموي الذي
اشتراه وعامله معاملة الأب لابنه ، حرص عسكر على أخذ ياقوت معه في
رحلاته التجارية إلى كثير من البلدان وهو صغير ، ويسر له أسباب التعلم
وقراءة وحفظ القرآن .

إذ تعلم ياقوت القراءة والكتابة والحساب وحفظ القرآن في مسجد
صغير اسمه مسجد الزيدي بدرب دينار.

وصار يكثر من التردد على مكتبة ذات المسجد ، وكان إمام المسجد
يعيره الكتب ، ويسهل له أسباب المطالعة وسافر ياقوت مع سيده إلى جزيرة
قيس^(٣).

(١) الروض الأنف ٢/٢١٤.

(٢) معجم البلدان ٢/٨١.

(٣) جزيرة قيس نسبة إلى الأمير العربي قيس بن عمية لأن ابنائه هم
بنوها وتسمى أيضاً جزيرة كيش ، وتقع وسط الخليج ، وهي محل غوص
للؤلؤ وتبلغ مساحتها اثنين وتسعين كيلو متراً مربعاً ، وهي قديمة وعامرة ،
وزارتها جيوش الأسكندر المقدوني قبل أكثر من ألفين وثلاثمائة سنة ونزل
فيها الرحالة ابن بطوطة ، وماركو بولو ، ويتكلم أهلها الأصليون اللغة
العربية باللهجة العراقية الدارجة ومن القبائل التي تسكنها البوعينين، آل

وحالما بعث النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم صلى في المسجد الحرام أول يوم الاثنين وصلت خديجة معه مساءً ، وصلى الإمام علي عليه السلام يوم الثلاثاء من الغد^(١).

لتكون الدعوة إلى الله ودخول الإسلام من وجوه :

الأول : إعلان النبي صلى الله عليه وآله وسلم نبوته.

الثاني : تجدد وتوالي معجزات النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

الثالث : تلاوة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم آيات القرآن.

الرابع : أداء النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم الصلاة.

الخامس : أداء النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته الصلاة جماعة في المسجد الحرام.

السادس : كيفية أداء النبي صلى الله عليه وآله وسلم الصلاة وتلاوة

القرآن فيها ، وهي رسالة لأهل مكة ووقوع الحاج والمعتمرين ومن خلفهم

الصباح ، السودان (السويدي) ، البشر.

وتبعد عن ميناء الخرج ثمانية عشر كيلو متراً ، وعن ميناء هندروابي ثمانية وعشرين كيلو متراً ومما ذكره (وفيها مساكن وعمارات يسكنها جند ملك جزيرة قيس وهم رجال أجلاء أكفاء لهم صبر وخبرة بالحرب في البحر وعلاج للسفن والمراكب ليس لغيرهم وسمعت غير واحد من جزيرة قيس يقول أهدي إلى بعض الملوك جوار من الهند في مراكب فرفأت تلك المراكب إلى هذه الجزيرة فخرجت الجواربي يتفسحن فاخططنهن الجن وافترشن فولدن هؤلاء الذين بها يقولون هذا لما يرون فيهم من الجلد الذي يعجز عنه غيرهم ولقد حدثت أن الرجل منهم يسبح في البحر أياماً وأنه يجالذ بالسيف وهو يسبح مجالدة من هو على الأرض).

(١) أنظر عيون الأثر ١/٢٢٤.

من الناس ، وهو من مصاديق تسمية مكة أم القرى ، ولتخاذها منبراً ومحلاً للإنذار ، قال تعالى ﴿تَذَرُ أُمُّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا﴾^(١).

وعن عفيف الكندي قال : كنت امرأة تاجراً فقدمت مكة أيام الحد فأتيت العباس ، فبينما نحن عنده إذ خرج رجل فقال تجاه الكعبة يصلي ، ثم خرجت امرأة تصلي معه ، ثم خرج غلام فقال يصلي معه . فقلت : يا عباس ما هذا الدين ؟ .

فقال : هذا محمد بن عبد الله ابن أخي ، زعم أن الله أرسله وأن كنوز كسرى وقيصر ستفتح عليه ، وهذه امرأته خديجة أمنت به ، وهذا الغلام علي بن أبي طالب آمن به ، وإيم الله ما أعلم على ظهر الأرض أحداً على هذا الدين إلا هؤلاء الثلاثة ! .

قال عفيف : ليتني كنت رابعاً .

وقال محمد بن المنذر وربيعة بن أبي عبد الرحمن وأبو حازم المدي والكلبي : أول من أسلم علي . قال الكلبي : كان عمره تسع سنين ، وقيل : إحدى عشرة سنة .

وقال ابن إسحاق : أول من أسلم علي وعمره إحدى عشرة سنة . وكان من نعمة الله عليه أن قريشاً أصابتهم أزمة شديدة ، وكان أبو طالب ذا عيال كثيرة ، فقال يوماً رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، لعمه العباس : يا عم إن أبا طالب كثير العيال فانطلق بنا نخفف عن عيال أبي طالب ، فانطلقا إليه وأعلماه ما أرادا ، فقال أبو طالب : اتركنا لي عقيلاً واصنعنا ما شئتما ، فأخذ رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، علياً ، وأخذ العباس جعفرأ ، فلم يزل علي عند النبي ، صلى الله عليه وسلم ، حتى أرسله الله فاتبعه .

وكان النبي، صلى الله عليه وسلم، إذا أراد الصلاة انطلق هو وعلي إلى بعض الشعاب بمكة فيصليان ويعودان. فعثر عليهما أبو طالب فقال: يا ابن أخي ما هذا الدين، قال: دين الله وملائكته ورسله، ودين أبينا إبراهيم، بعثني الله تعالى به إلى العباد، وأنت أحق من دعوته إلى الهدى وأحق من أجابني. قال: لا أستطيع أن أفارق ديني ودين آبائي، ولكن والله لا تخلص قريش إليه بشيء تكرهه ما حييت.

فلم يزل جعفر عند العباس حتى أسلم واستغنى عنه. قال: وقال أبو طالب لعلي: ما هذا الدين الذي أنت عليه؟ قال: يا أبة! آمنت بالله وبرسوله وصليت معه. فقال: أما إنه لا يدعونا إلا إلى الخير فالزمه^(١).

السابع: توالي دخول الأفراد في الإسلام رجالاً ونساءً، ومن داخل وخارج مكة.

ترى هل كان لقدوم وفد الأنصار من يثرب المدينة ومبايعتهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم في العقبة في البيعة الأولى ثم البيعة الثانية في السنة التالية في موسم الحج موضوعية وسبباً في غلبة النفس الغضبية وحمية الجاهلية الأولى على رجال قريش لإرادة قتل النبي صلى الله عليه وآله وسلم ليلة مغادرته إلى المدينة، أم ليس لها موضوعية وأثر وأن المشركين لم يعلموا بهاتين البيعتين.

المختار هو الأول، فإن المشركين علموا بهما، وعلموا بصيرورة وجود أنصار للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم خارج مكة خاصة وأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعث معهم مصعب بن عمير لتعليمهم أحكام الصلاة وتلاوة القرآن ودعوة أهل المدينة إلى الإسلام.

ومصعب بن عمير من شباب قريش المعروفين، وكانت أمه تحبه حباً جماً، مما يدل على أنها لا تصبر على فراقه، فلا بد من الحديث عن مغادرته

مكة مع صغر سنه ، وهيئته الجميلة إذ كانت تنفق عليه كثيراً ، وهي امرأة غنية ، وذكر ابن اسحاق بيعة ثلاثة في العقبة ، والمعروف أن كل بيعة في موسم الحج وبين كل واحدة وأخرى سنة كاملة ، قال ابن إسحاق : ثم ان مصعب بن عمير رجع إلى مكة وخرج من خرج من الانصار من المسلمين إلى الموسم مع حجاج قومهم من أهل الشرك حتى قدموا مكة فواعدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم العقبة من أوسط أيام التشريق فحدثني معبد بن كعب بن مالك ان أخاه عبدالله وكان من أعلم الانصار حدثه أن أباه كعباً حدثه وكان ممن يشهد العقبة وبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم بها قال خرجنا من حجاج قومنا من المشركين وقد صلينا وفقهنا ومعنا البراء بن معرور سيدنا وكبيرنا فلما وجهنا لسفرنا وخرجنا من المدينة قال البراء لنا يا هؤلاء إني قد رأيت رأياً والله ما أدري أتوافقوني عليه أم لا .

قلنا وما ذاك قال رأيت أن لا أدع هذه البنية منى بظهر يعنى الكعبة وأن أصلى إليها قال قلنا والله وما بلغنا أن نبينا يصلى إلا إلى الشام وما نريد أن نخالفه قال فقال إني لمصل إليها .

قلنا له لكننا لا نفعل قال فكنا إذا حضرت الصلاة صلينا إلى الشام وصلى إلى الكعبة حتى قدمنا مكة وقد كنا عينا عليه ما صنع وأبى إلا الإقامة على ذلك .

فلما قدمنا مكة قال لي يا ابن أخي انطلق بنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أسأله عما صنعت في سفري هذا فانه والله لقد وقع في نفسي منه شيء لما رأيت من خلافكم إياي فيه .

قال فخرجنا نسأل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكنا لا نعرفه ولم نره قبل ذلك فلقينا رجلاً من أهل مكة فسألناه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فقال: هل تعرفانه .

قلنا: لا قال: فهل تعرفان العباس بن عبدالمطلب عمه قلنا: نعم قال: وكنا نعرف العباس كان لا يزال يقدم علينا تاجرا قال فإذا دخلتما المسجد هو الرجل الجالس مع العباس .

قال فدخلنا المسجد فإذا العباس جالس ورسول الله صلى الله عليه وسلم معه فسلمنا ثم جلسنا إليه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للعباس: هل تعرف هذين الرجلين يا أبا الفضل قال: نعم هذا البراء بن معرور سيد قومه وهذا كعب بن مالك .

قال : فوالله ما أنسى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم الشاعر قال نعم قال فقال له البراء بن معرور يا نبي الله إني خرجت في سفري هذا وقد هداني الله للاسلام فرأيت أن لا أجعل هذه البنية منى بظهر فصليت إليها وخالفني أصحابي في ذلك حتى وقع في نفسي من ذلك شئ فماذا ترى يا رسول الله .

قال لقد كنت على قبة لو صبرت عليها^(١) ، وفي الحديث بشارة تحويل القبة.

واستشهد مصعب في معركة أحد وهو يدافع عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وليس عليه ثياب كافية لتكفينه بها.

وروي عن عبد الرحمن بن عوف أنه أعتق في يوم واحد ثلاثين عبداً ولما حضرته الوفاة بكى بكاء شديداً فسئل عن بكائه فقال: إن مصعب بن عمير كان خيراً مني توفي على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يكن له ما يكفن فيه وإن حمزة بن عبد المطلب كان خيراً مني لم نجد له كفناً وإنني أخشى أن أكون ممن عجلت له طبياته في حياة الدنيا وأخشى أن أحتبس عن أصحابي بكثرة مالي^(٢).

(١) عيون الأثر ٢١٥/١.

(٢) الإستيعاب في معرفة الأصحاب ٢٥٦/١.

إن إتخاذ النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم المسجد الحرام مأوى وملجأ ومركزاً لبث دعوته سبيل لنشر مفاهيم الإيمان ، وزاجر لقريش من إتخاذ الإرهاب والتعذيب وسيلة لملاقاة نبوته ، والحرب على أصحابه.

ولكنهم لم يتعظوا ، ولم يختاروا طريق العقل والحكمة ، فقاموا بايذاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم ورميه بالسحر والجنون ، وهما أمران متضادان ، وفي التنزيل ﴿وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ﴾^(١) ، ﴿وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ﴾^(٢).

ويبدو أن الكفار من الأمم السابقة والذين جحدوا نبوة أنبياء زمانهم كانوا أفاقه من الكفار من قريش ، إذ كان هؤلاء الكفار ينسبون النبي إلى أحد أمرين أما السحر أو الجنون وليس هما معاً ، كما ورد في قوله تعالى ﴿كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجْنُونٌ﴾^(٣).

ولاقي أصحاب النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أشد الأذى من قريش في مكة ومن مصاديق قانون المسجد بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأنه دفع للإرهاب شواهد جلية ، فقد كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يوصي الأنصار في بيعة العقبة ببناء المساجد والصلاة فيها.

وروي عن جابر قال : لقد لبثنا بالمدينة قبل أن يقدم علينا النبي صلى الله عليه وسلم ستين نعمر المساجد ونقيم الصلاة ، ولذا قيل : كان المتقدمون في الهجرة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والانصار بقاء قد

(١) سورة ص ٤.

(٢) سورة ن ٥١.

(٣) سورة الذاريات ٥٢.

بنوا مسجدا يصلون فيه، يعني هذا المسجد، فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم، وورد قباء صلى بهم فيه^(١).
وأول ما نزل النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في المدينة حلّ بقباء عند بني عمرو بن عوف .

فبادر إلى بناء مسجد قباء قال عمار بن ياسر : ما لرسول الله صلى الله عليه وسلم بد من أن يجعل له مكانا يستظل به إذا استيقظ ويصلي فيه^(٢).
وصلى باصحابه فيه جماعة لإرسال رسالة إلى أهل المدينة وغيرهم بأن الإسلام دين العبادة والذكر والسلام ، وأنه منزّه عن الإرهاب والقتال ، فلم يأمر أصحابه بشحن السيوف ، وصنع الدروع والخوذ ، ولم يتفقد ما عندهم من الخيل والإبل استعداداً لغارة أو غزو .

وروى الطبراني عن جابر بن سمرة^(٣) لما سأل أهل قباء النبي صلى الله عليه وسلم أن يني لهم مسجداً قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ليقيم بعضكم فيركب الناقة، فقام أبو بكر فركبها فحركها فلم تنبث فرجع فقعده

(١) سبل الهدى ٢/٢٦٧.

(٢) سبل الهدى ٣/٢٦٧.

(٣) جابر بن سمرة بن عمرو بن جندب بن حجير بن رباب بن حبيب بن سواء وقيل جابر بن سمرة بن جنادة بن جندب بن عمرو بن جندب ابن حجير بن رباب السوائي ومنهم من يسقط حبيباً من نسبه فيقول جابر بن سمرة بن عمرو بن جندب بن حجير بن رباب بن سواء السوائي من بني سواء بن عامر بن صعصعة حليف بنى زهرة ، يكنى أبا عبد الله ، وقيل أبا خالد وهو ابن أخت سعد بن أبي وقاص أمه خالدة بنت أبي وقاص نزل جابر بن سمرة الكوفة وابتنى بها داراً في بني سواء وتوفي في إمرة بشر بن مروان عليها وقيل توفي جابر بن سمرة سنة ست وستين أيام المختار ابن أبي عبيد.

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أحاديث كثيرة منها قوله : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في ليلة مقمرة وعليه حلة حمراء فجعلت أنظر إليه وإلى القمر فلهو عندي أحسن من القمر ومنها قوله عليه السلام : المستشار مؤتمن.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه (ليقيم بعضكم فيركب الناقة)، فقام علي فلما وضع رجله في غرز الركاب وثبت به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أرخ زمامها وابنوا على مدارها فإنها مأمورة). وروى الطبراني بسند رجاله ثقات عن الشموس بفتح الشين المعجمة بنت النعمان قالت: (نظرت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدم ونزل وأسس هذا المسجد: مسجد قباء، فرأيت أنه يأخذ الحجر أو الصخرة حتى يهصره الحجر، وأنظر إلى بياض التراب على بطنه أو سترته فيأتي الرجل من أصحابه ويقول: يا رسول الله بأبي أنت وأمي اعطني أكفك، فيقول: (لا خذ مثله)، حتى أسسه، ويقول: (إن جبريل عليه السلام هو يؤم الكعبة) قالت: فكان يقال: إنه أقوم مسجد قبلة^(١).

وعندما كانوا يبنون مسجد قباء ورد عن عتبة بن مساعدة أنه (جاءنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ونحن نبني مسجد قباء فقال: قد أفلح من بنى المساجد وقرأ القرآن قائماً وقاعداً)^(٢).

وعن عروة قال: كان موضع مسجد قباء لامرأة يقال لها لينة كانت تربط حماراً لها فابتنى فيه سعد بن خيثمة مسجداً فقال أهل مسجد الضرار: أنحن نصلي في مربوط حمار لينة لا لعمر الله لكننا نبني مسجداً فنصلي فيه إلى أن يجيء أبو عامر فيؤمنا فيه فأنزل الله تعالى ﴿والذين اتخذوا مسجداً ضراراً﴾^{(٣)(٤)}.

ومع أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يبق في قباء إلا بضعة أيام فإنه أول ما وصل شرع في بناء المسجد، وعن سهل بن حنيف قال: قال

(١) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد ٢٦٨/٣.

(٢) الإصابة في معرفة الصحابة ٤٠٨/٢.

(٣) سورة التوبة ١٠٧.

(٤) الإصابة في معرفة الصحابة ٥٧/٤.

رسول الله صلى الله عليه وسلم : من خرج حتى يأتي هذا المسجد - مسجد قباء - فيصل في فيه كان كعدل عمرة^(١).

وعندما خرج النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم من قباء وتوجه إلى وسط مدينة يثرب كان أهل أحياء وأرباع المدينة ، يستقبلونه ويعترضون ناقته ويعرضون عليه النزول عندهم ويتعهدون بالذب عنهم ، وكل فريق يقول (هلم إلينا إلى العدد والعدة والمنعة)^(٢) ، ولكنه كان يجيب كل جماعة منهم أدخلوا سبيل الناقة فانها مأمورة^(٣).

وعن ابن عباس أن رجلاً لعن الريح فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : لا تلعن الريح فإنها مأمورة ، وأنه من لعن شيئاً ليس له بأهل رجعت اللعنة عليه^(٤).

كما ورد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : إن نبياً من الأنبياء قاتل أهل مدينة ، حتى إذا كاد أن يفتحها خشي أن تغرب الشمس فقال : أيتها الشمس إنك مأمورة وأنا مأمور ، بحرمتي عليك إلا وقفت ساعة من النهار . قال : فحبسها الله تعالى حتى افتتح المدينة ، وكانوا إذا أصابوا الغنائم قربوها في القربان فجاءت النار فأكلتها ، فلما أصابوا وضعوا القربان فلم تجئ النار تأكله . فقالوا : يا نبي الله ، ما لنا لا يقبل قرباننا ، قال : فيكم غلول .

قالوا : وكيف لنا أن نعلم من عنده الغلول؟ قال : وهم اثنا عشر سبطاً قال : يبايعني رأس كل سبط منكم ، فبايعه رأس كل سبط ، فلزقت كفه بكف رجل منهم ، فقالوا له : عندك الغلول .

(١) الدر المنثور ٥/١٦٣.

(٢) عيون الأثر ١/٢٥٥.

(٣) ابن كثير / السيرة النبوية ٢/٢٧٢.

(٤) الدر المنثور ١/٢٣١.

فقال : كيف لي أن أعلم؟ قال تدعو سبطك فتبايعهم رجلاً رجلاً ، ففعل ، فلزقت كفه بكف رجل منهم قال : عندك الغلول . قال : نعم ، عندي الغلول . قال : وما هو؟ .
قال : رأس ثور من ذهب أعجبني فغللته ، فجاء به فوضعه في الغنائم ، فجاءت النار فأكلته^(١).

ليان قانون وهو أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم سوف لا يخرج في كتيبة ولا يرجع منها إلا بالوحي وبأمر من عند الله عز وجل ، خاصة وأن هذه الناقة لم تستمر في السير بل بركت في مريد ومخزن لجمع التمور يعود لسهل وسهيل غلامين يتيمين واسم أبيهما عمرو من بني مالك بن النجار ، وبني النجار أخوال النبي صلى الله عليه وآله وسلم وكانا في حجر معاذ بن عفراء .

قال ابن إسحاق : لما بركت الناقة برسول الله صلى الله عليه وسلم لم ينزل عنها ، حتى وثبت فسارت غير بعيد ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم واضع لها زمامها لا يثنيها به ، ثم التفت خلفها فرجعت إلى مبركها أول مرة فبركت فيه ، ثم تحلحلت ورزمت ووضعت جرانها .
فنزل عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم .
فاحتمل أبو أيوب خالد بن زيد ، رحله فوضعه في بيته ، ونزل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وسأل عن المريد لمن هو ، فقال له معاذ بن عفراء : هو يا رسول الله لسهل وسهيل ابني عمرو وهما يتيمان لي ، وسأرضيهما منه فاتخذ مسجدا .
فأمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبنى .

ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم في دار أبي أيوب حتى بنى مسجده ومساكنه فعمل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون من المهاجرين والأنصار^(١).

لقد استقبل النبي صلى الله عليه وآله وسلم إقامته في المدينة ببناء المسجد واشترك بنفسه في بنائه ونقل الحجر إليه ، وكذا المهاجرون والأنصار وفيه شكر لله عز وجل لنجاته وأصحابه من عذاب وبطش قريش ، خاصة وأن هذا العذاب والإرهاب لم ينحصر بمكة إنما استمر في طريق الهجرة إذ طلبوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم وجعلوا قيمة دية كاملة مائة ناقة لمن يأتي به وكذا بالنسبة لصاحبه ، قال تعالى ﴿لَا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّا اللَّهُ مَعَنَا فَاَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾^(٢).

ليكون أول عمل للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم عند وصوله أطراف المدينة بناء مسجد قباء ، وعند وصوله إلى داخلها قيامه والمهاجرين والأنصار ببناء المسجد النبوي ، وإقامة الصلاة فيه ، أي أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم بنى المسجد قبل أن يبني بيتاً ومسكناً له ، وفيه دعوة لقريش للكف عن ملاحقة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه ولكنهم أصروا على الكفر ، وقاموا بتجهيز الجيوش عقب الجيوش لمحاربة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه الذين كانوا يسمعون بزحف هذه الجيوش من غير أن يغادروا المسجد أو يتلكأوا أو يتباطأوا في أداء الصلوات اليومية الخمس جماعة في المسجد النبوي فجزاهم الله عز وجل جزاء عاجلاً بأن أنزل

(١) ابن كثير / السيرة النبوية ٢/٢٧٣.

(٢) سورة التوبة ٤٠.

ملائكة مدداً لهم في معركة بدر وأحد والخندق وحنين ، قال تعالى ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾^(١).
وسيا تي قانون نزول الملائكة بيدر وأحد حرب على الإرهاب.

قانون الملازمة بين الإيمان والرحمة

من خصائص الإيمان استيلاؤه على الجوارح والأركان فلا تصدر الأفعال إلا عن أحكام الشريعة ، وسنن الحلال والحرام لتكون النسبة بين الإيمان والفقا هه العموم والخصوص المطلق بتقريب أن الإيمان باعث على التفقه في الدين .

وهل مدرسة الإصلاح ذاتية وما يسمونه بواعر الضمير ، وأثر ومنافع الإيمان في عالم الأفعال من مصاديق قوله تعالى ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُمُ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾^(٢) الجواب نعم ، وهو أحد وجوه الإصلاح .

ومن خصائص الإيمان عدم خذلانه لصاحبه ، فهو مصاحب حاضر في الحل والترحال ، وفي حال السراء والضراء ، والسلم والحرب ، قال تعالى ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ الْحَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةَ فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾^(٣) .

(١) سورة الأنفال ٩.

(٢) سورة فصلت ٥٣.

(٣) سورة الفتح ٢٦.

لتبين الآية أعلاه التضاد بين صبغة التعدي والعدوان عند المشركين ، وحال الدعة والأمن وصفة السلام عند المؤمنين ، لتأكيد قانون وهو لزوم إمتناع المؤمن عن مقابلة الظلم والإرهاب بمثله لأن هناك طريقاً اسماً لتثبيت سنن الإيمان في الأرض ، وهو الصبر والتحلي بالأخلاق الحميدة . ومن أسماء الله الحسنى : الرحمن والرحيم وهما مشتقان من الرحمة لبيان رحمة الله عز وجل للخلائق كلها ، وهل يدل ذكرهما في القرآن والكتب السماوية السابقة على رحمة خاصة بالناس ، الجواب نعم .

ومن الدلائل في المقام ابتداء كل سورة بقوله تعالى ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ باستثناء سورة براءة ، وكأن رحمة النازلة في القرآن حجت عنهم لإصرارهم على الكفر بعد سني النبوة والتبليغ .

فمع اتصاف السور المكية بصيغة الإنذار والوعيد فإن كل واحدة منها ابتدأت بالبسملة ، ولكن سورة براءة نزلت في السنة التاسعة للهجرة ، وبعد فتح مكة وتوالي النعم على الناس ومنهم الذين بقوا في مستنقع الشرك والضلالة ، قال تعالى ﴿وَمَا تَقْوَ إِلَّا أَنْزَلْنَا إِلَهُكُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾^(١).

ونزلت في سورة براءة وتسمى أيضاً سورة التوبة فرائض الصدقات إلى جانب كون الإنفاق قرباناً يتقرب به المسلمون إلى الله عز وجل حسب اليسر والجهد والمقدرة كما في قوله تعالى ﴿وَمَا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾^(٢).

للتجلى مسألة في سورة براءة ، وهي منع المشركين من السلطان والتأثير على الناس في دخول الإسلام ، ومن دفع الزكاة ، وفي بدايات نزول أحكام الإنفاق في سبيل الله صار المشركون والمنافقون يستهزئون كما في قوله تعالى

(١) سورة التوبة ٧٤.

(٢) سورة الحج ٣٥.

﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتَلَهُمُ الْأَنْبِيَاءُ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ (١)(٢)(٣).

أخذت مكة صلحاً وليس عنوة

لقد كان يوم فتح مكة العيد الأكبر الذي تتوهج وتترشح عند أعياد متعددة كل عام ، بل هو عيد في كل يوم وإلى يوم القيامة ، لغايات حميدة منها الشكر لله وعمارة المسجد الحرام وتعاهد سنن التقوى في مكة إذ كسرت يوم فتح مكة الأصنام التي نصبت في المسجد الحرام والتي علقت داخل الكعبة.

ومن الآيات أن النبي محمدا صلى الله عليه وآله وسلم هو الذي كسرها وكان يتلو قوله تعالى ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ (٤) .

وأختلف هل فتحت مكة صلحاً أو عنوة وبالقوة والسلاح ، وهذا الاختلاف لفظي لأن ذات الواقع والحال نفسه ، وحتى الأحكام التي تترتب عليه ليست بمقدار وكيفية فتح من البلدان حرمة مكة .

وكل من الفريقين القائلين بفتحها صلحاً أو عنوة استدلت بقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم (من دخل دار أبي سفيان فهو آمن) (٥)، والذي جعله دليلاً على العنوة قال أن الصلح يلزم منه الأمن العام .

(١) سورة آل عمران ١٨١.

(٢) أنظر الجزء السادس والثمانين بعد المائة الذي أختص بالصلة بين هذه الآية والآية التي قبلها .

(٣) أنظر الجزء السابع والثمانين بعد المائة الذي أختص بتفسير هذه الآية المباركة .

(٤) سورة الإسراء ٨٣.

(٥) ابن كثير / السيرة النبوية ٥٤٨/٣.

والمختار أن هذا الحديث دليل على فتحها صلحاً لما فيه من الترغيب بالأمن والدعوة إلى حقن الدماء، والمنع من بروز أناس من المشركين يصرون على القتال ، مما يسبب بقتل الأبرياء ووقوع الفتنة والحمية وفعلاً فقد خرجت مثل هذه الجماعة .

ولكن لم يقع قتال عند دخول مكة إلا من جهة ومكان واحد ، وسرعان ما فروا من أمام المسلمين.

وقيل لم يصالح النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أهل مكة قبل الفتح ولا جاءوه وعرضوا عليه الصلح وسألوه الأمان لأهلها .

الجواب إن مكة حرم الله عز وجل لذا بين القرآن قانوناً وهو أن ولاية البيت الحرام بيد المؤمنين ، قال تعالى ﴿وَمَا لَهُمْ آلِيَعَذِّبُهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنْ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَاءُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(١) ، فولاية النبي على المسجد قبل وبعد الفتح.

وذكرت مسألتان في الإستدلال على فتح مكة عنوة وهما :

الأولى : أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم بقتل نفر يوم فتح مكة

وهم :

الأول : عكرمة بن أبي جهل.

الثاني : عبد الله بن سعد بن أبي سرح.

الثالث : عبد الله بن خطل .

الرابع : مقبس بن ضبابة ، مع جاريتين كانتا تكثران من هجاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم مع النساء والذرية لا يقتلون حتى في دار الحرب فكيف في مكة ، ولكن لساعة الحلية ولشدة إيذائهن للنبي صلى الله عليه وآله وسلم والمؤمنين .

واسم إحدى الجارتين قُرْبِيَّةَ تصغير قريية ، واسم الأخرى فَرْتَنِي ومعنى فَرْتَنِي في اللغة (المرأة الفاجرة)^(١) ، وارنب مولاة لابن خطل وقيل اسمها سارة ، ومنهم من مقال إنما المجموع جاريتان وليست ثلاثة وإن أرنب أو سارة هي إحدى الجاريتين وهي مولاة لبني عبد المطلب واستؤمن لفَرْتَنِي فاسلمت.

وذكر أبو معشر أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أهدر دم أفراد آخر ولم يثبت ، وتدل الوقائع بأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يهد دمهم ومنهم :

الأول : هند بنت عتبة .

الثاني : وحشي بن حرب .

الثالث : الحارث بن هشام ، وهو الذي رأى عدو الله إبليس يوم بدر بهيئة سراقه بن مالك أمير مدلج ، وقال ﴿إِنِّي بَرِيٌّ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾^(٢) ، والحارث أخو أبي جهل وقد فر يوم بدر أيضاً فعيّره حسان بن ثابت في قصيدة منها :

إِنْ كُنْتُ كَاذِبَ الَّذِي حَدَّثَنِي ... فَفَجَوْتُ مَنْجَى الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ
تَرَكَ الْإِحْبَةَ أَنْ يُقَاتِلَ دُونَهُمْ ... وَنَجَا بِرَأْسِ طِمْرَةٍ وَلِجَامٍ
تَذَرُ الْعَنَاجِيحُ الْجِيَادُ بِقَفْرَةٍ ... مَرَّ الدِّمُوكُ بِمُحْصِدٍ وَرِجَامٍ
مَلَأَتْ بِهِ الْفَرْجَيْنِ فَاَرْمَدَتْ بِهِ ... وَثَوَى أَحِبَّتَهُ بِشَرِّ مَقَامٍ
وَبَنُو أَبِيهِ وَرَهْطُهُ فِي مَعْرَكٍ ... نَصَرَ إِلَاهَهُ بِهِ ذَوِي الْإِسْلَامِ
طَحَّتْهُمْ وَاللَّهُ يَنْفِذُ أَمْرَهُ ... حَرْبٌ يَشِبُّ سَعِيرُهَا بِضُرَامٍ
لَوْ لَا إِلَاهُهُ وَجَرِيهَا لَتَرَكْنَهُ ... جَزَرَ السَّبَاعُ وَدَسَنَهُ بِجَوَامِي

(١) القاموس المحيط ١/١٦١.

(٢) سورة الأنفال ٤٨.

مَنْ بَيْنَ مَأْسُورٍ يُشَدُّ وَثَاقُهُ ... صَقَرَ إِذَا لَاقَى الْأَسِنَّةَ حَامِي
وَمُجَدِّلٍ لَا يَسْتَجِيبُ لِدَعْوَةٍ ... حَتَّى تَزُولَ شَوَامِخُ الْأَعْلَامِ
بِالْعَارِ وَالذَّلِّ الْمُمِينِ إِذْ رَأَى ... بِيضَ السِّیُوفِ تَسُوقُ كُلِّ هَمَامٍ
بِيَدَيَّ أَغْرَ إِذَا انْتَمَى لَمْ يُخْزِهِ ... نَسَبُ الْقِصَارِ سَمِیدَعٍ مُقْدَامٍ
بِيضٌ إِذَا لَاقَتْ حَدِيدًا صَمَمَتْ ... كَالْبَرْقِ تَحْتَ ظِلَالِ كُلِّ غَمَامٍ
فَأَجَابَهُ الْحَارِثُ بْنُ هِشَامٍ ، فِيمَا ذَكَرَ ابْنُ هِشَامٍ ، فَقَالَ
اللَّهُ أَعْلَمَ مَا تَرَكْتُ قِتَالَهُمْ ... حَتَّى حَبَّوْا مَهْرِي بِأَشْقَرِ مُزَبَدٍ
وَعَرَفْتُ أَنِّي إِنْ أَقَاتِلُ وَاحِدًا ... أَقْتُلُ وَلَا يَنْكِى عَدُوِّي مُشْهَدِي
فَصَدَدْتُ عَنْهُمْ وَالْأَحْبَةَ فِيهِمْ ... طَمَعًا لَهُمْ بِعِقَابِ يَوْمٍ مُفْسِدٍ^(١).

الرابع : الشاعر كعب بن زهير ، ولكنه بقي في مكة ولما انصرف النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه من الطائف كتب بجير بن زهير وهو أخو كعب بأن عدداً من شعراء قريش ممن كان يهجو النبي صلى الله عليه وآله عليه وآله وسلم ويؤذيه قال له (أَنْ مَنْ بَقِيَ مِنْ شُعْرَاءِ قُرَيْشٍ ، ابْنُ الزَّبْعَرَى وَهَبِيرةُ بْنُ أَبِي وَهَبٍ ، قَدْ هَرَبُوا فِي كُلِّ وَجْهٍ فَإِنْ كَانَتْ لَكَ فِي نَفْسِكَ حَاجَةٌ فَطِرْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِنَّهُ لَا يَقْتُلُ أَحَدًا جَاءَهُ تَائِبًا ، وَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَفْعَلْ فَانْجُ إِلَى نَجَائِكَ مِنَ الْأَرْضِ وَكَانَ كَعْبُ بْنُ زُهَيْرٍ قَدْ قَالَ

أَلَا أَبْلَغَا عَنِّي بُجَيْرًا رِسَالَةً ... فَهَلْ لَكَ فِيمَا قُلْتَ وَيْحَكَ هَلْ لَكَ ؟
فَبَيَّنَ لَنَا إِنْ كُنْتَ لَسْتَ بِفَاعِلٍ ... عَلَى أَيِّ شَيْءٍ غَيَّرَ ذَلِكَ دَلَّكَ
عَلَى خُلُقٍ لَمْ أَلْفِ يَوْمًا أَبَالَهُ ... عَلَيْهِ وَمَا تُلْفِي عَلَيْهِ أَبَا لَكَ
فَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَفْعَلْ فَلَسْتَ بِأَسَفٍ ... وَلَا قَائِلٍ لِمَا عَثَرْتَ لَعَا لَكَ
سَقَاكَ بِهَا الْمَأْمُونُ كَأَسَا رَوِيَّةٍ ... فَأَنْهَلَكَ الْمَأْمُونُ مِنْهَا وَعَلَاكَ

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : وَيُرَوَّى "الْمَأْمُورُ" ، وَقَوْلُهُ "فَبَيْنَ لَنَا" عَنْ غَيْرِ ابْنِ إِسْحَاقَ .

مَنْ مَبْلُغٌ عَنِّي بُجَيْرًا رِسَالَةً ... فَهَلْ لَكَ فِيمَا قُلْتَ بِالْخَيْفِ هَلْ لَكَ
شَرِبْتَ مَعَ الْمَأْمُونِ كَأَسَا رَوِيَّةً ... فَأَنْهَلَكَ الْمَأْمُونُ مِنْهَا وَعَلَكَا
وَحَالَفَتْ أَسْبَابَ الْهُدَى وَاتَّبَعْتَهُ ... عَلَى أَيِّ شَيْءٍ وَيَبَ غَيْرِكَ دَلَكَا
عَلَى خُلُقٍ لَمْ تُلَفْ أَمَّا وَلَا أَبَا ... عَلَيْهِ وَلَمْ تُدْرِكَ عَلَيْهِ أَخَا لَكَ
فَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَفْعَلْ فَلَسْتَ بِأَسَفٍ ... وَلَا قَائِلٍ إِمَّا عَثَرْتَ لَعَا لَكَ
قَالَ وَبَعَثَ بِهَا إِلَى بُجَيْرٍ فَلَمَّا أَتَتْ بُجَيْرًا كَرِهَ أَنْ يَكْتُمَهَا رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَنْشَدَهُ إِيَّاهَا ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
لَمَّا سَمِعَ سَقَاكَ بِهَا الْمَأْمُونُ صَدَقَ وَإِنَّهُ لَكَذُوبٌ أَنَا الْمَأْمُونُ : وَلَمَّا سَمِعَ
عَلَى خُلُقٍ لَمْ يُلَفْ أَمَّا وَلَا أَبَا عَلَيْهِ " قَالَ أَجَلَ لَمْ يُلَفْ عَلَيْهِ أَبَاهُ وَلَا أُمَّهُ ثُمَّ
قَالَ بُجَيْرٌ لَكَعْبِ

مَنْ مَبْلُغٌ كَعْبًا فَهَلْ لَكَ فِي النَّبِيِّ ... تَلُومُ عَلَيْهَِا بَاطِلًا وَهِيَ أَحْزَمُ
إِلَى اللَّهِ (لَا الْعَزَى وَلَا اللَّاتِ) وَحَدَهُ ... فَتَنْجُو إِذَا كَانَ النِّجَاءُ وَتَسْلَمُ
لَدَى يَوْمٍ لَا يَنْجُو وَلَيْسَ بِمُفْلِتٍ ... مِنَ النَّاسِ إِلَّا طَاهِرُ الْقَلْبِ مُسْلِمُ
فَدَيْنُ زُهَيْرٍ وَهُوَ لَا شَيْءَ دِينُهُ ... وَدَيْنُ أَبِي سَلَمَى عَلَيَّ مُحَرَّمٌ^(١) .
أَيُّ أَنْ كَعْبًا قَدَمٌ مُقَدِّمَةٌ وَهِيَ قَصِيدَةٌ يَمْدَحُ بِهَا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ
وَسَلَّمَ وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ ، تَهَادُوا ،
فَإِنَّ الْهَدْيَةَ تَسْلُ السَّخِيمَةَ ، وَتَوَرِّثُ الْمَوْدَةَ ، فَوَاللَّهِ لَوْ أَهْدَيْتُ إِلَى كِرَاعٍ
لَقَبِلْتُ ، وَلَوْ دَعَيْتُ إِلَى ذِرَاعٍ لَأُجِبْتُ^(٢) .

وَحَرَّصَ بِجَيْرٍ عَلَى إِبْلَاحِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَصِيدَةَ كَعْبِ ،
لِيُوطِئَ لِقَدُومِ أَخِيهِ وَيَسْتَأْمِنَ لَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ

(١) الروض الأنف ٤/٢٧٨ .

(٢) الطبراني / المعجم الأوسط ٤/٤٤ .

الذي أنصت للقصيدة ولما سمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (سَقَاكَ الْمَأْمُونُ) قَالَ صَدَقَ وَإِنَّهُ لَكَذُوبٌ أَنَا الْمَأْمُونُ .

وَلَمَّا سَمِعَ عَلَى خُلُقٍ لَمْ تَلَفْ أَمَا وَلَا أَبَا عَلَيْهِ " فَقَالَ أَجَلٌ . قَالَ لَمْ يُلَفْ عَلَيْهِ أَبَاهُ وَلَا أُمَّهُ .

ثُمَّ قَالَ بُجَيْرٌ لَكَعْبُ :

مَنْ مَبْلَغُ كَعْبًا فَهَلْ لَكَ فِي الَّتِي... تَلُومُ عَلَيْهَا بَاطِلًا وَهِيَ أَحْزَمُ
إِلَى اللَّهِ لَا الْعُزَى وَلَا اللَّاتُ وَحْدَهُ .. فَتَنْجُو إِذَا كَانَ النِّجَاءُ وَتَسْلَمُ
لَدَى يَوْمٍ لَا يَنْجُو وَلَيْسَ بِمُفْلِتٍ .. مِنَ النَّاسِ إِلَّا طَاهِرُ الْقَلْبِ مُسْلِمُ
فَدَيْنٍ زَهِيرٍ وَهُوَ لَا شَيْءَ دِينُهُ وَدَيْنُ أَبِي سَلَمَى عَلَيَّ مُحَرَّمُ
فَلَمَّا بَلَغَ كَعْبًا الْكِتَابَ ضَاقَتْ بِهِ الْأَرْضُ وَأَشْفَقَ عَلَى نَفْسِهِ وَأَرْجَفَ بِهِ
مَنْ كَانَ فِي حَاضِرِهِ مِنْ عَدُوِّهِ فَقَالَ هُوَ مَقْتُولٌ فَلَمَّا لَمْ يَجِدْ مِنْ شَيْءٍ بَدَأَ قَالَ
قَصِيدَتُهُ الَّتِي يَمْدَحُ فِيهَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَذَكَرَ خَوْفَهُ
وَأَرْجَافَ الْوُشَاةِ بِهِ مِنْ عَدُوِّهِ .

ثُمَّ خَرَجَ حَتَّى قَدِمَ الْمَدِينَةَ فَنَزَلَ عَلَى رَجُلٍ كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ مَعْرِفَةٌ مِنْ
جُهَيْنَةَ كَمَا ذَكَرَ لِي فَعَدَا بِهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ صَلَّى
الصُّبْحَ فَصَلَّى مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ أَشَارَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ هَذَا رَسُولُ اللَّهِ فَقُمَ إِلَيْهِ فَاسْتَأْمَنَهُ^(١) .

فَقَامَ كَعْبٌ وَجَلَسَ بَيْنَ يَدَيِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَانَ
رَسُولُ اللَّهِ لَا يَعْرِفُهُ ، وَلَعَلَّهُ لِهَذَا لَمْ يَلْجَأْ كَعْبٌ إِلَى أَخِيهِ بِجَيْرٍ وَهُوَ مِنْ
الصُّحَابَةِ .

فَقَالَ كَعْبُ : إِنْ كَعْبُ بْنُ زَهِيرٍ جَاءَ لِيَسْتَأْمَنَكَ تَائِبًا مُسْلِمًا فَهَلْ أَنْتَ
قَابِلٌ مِنْهُ إِنْ أَنَا جِئْتُكَ بِهِ ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : نَعَمْ ، قَالَ
: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنَا كَعْبُ بْنُ زَهِيرٍ .

فوثب رجل من الأنصار وقال يا رسول الله دعني وعدو الله أضرب عنقه فمنعه النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقال : جاء تائباً نازعاً عما كان عليه ، فغضب كعب على هذا الحي من الأنصار ، ثم قام كعب وألقى قصيدته اللامية التي يبدأ فيها بوصف محبوبته وناقته والتي أولها:
بَانتْ سَعَادُ فَقَلْبِي الْيَوْمَ مُتَبُولٌ ... مُتِمِّمٌ إِثْرَهَا لَمْ يُفَدْ مَكْبُولٌ^(١).
ولما وصل إلى قوله :

إن الرسول لنور يستضاء به ♦♦ مهند من سيوف الله مسلول
رمى عليه الصلاة والسلام إليه بردة كانت عليه وإن معاوية في أيام حكمه بذل له فيها عشرة آلاف درهم .

فقال: ما كنت لأؤثر بثوب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذي أعطانيه أحداً، فلما مات بعث معاوية إلى ورثته بعشرين ألفاً فأخذها منهم وهي البردة التي كانت عند السلاطين، وكان الخلفاء يلبسونها في الأعياد تبركاً وتفاخراً ، وقيل: إنها فقدت في وقعة التتار.
وقد كان كعب بن زهير من فحول الشعراء، وكذا أبوه زهير وأخوه بجير وابنه عقبة بن كعب وابن ابنه العوام بن عقبة.

ولا أصل للقول باستباحة النبي صلى الله عليه وآله وسلم دماء هؤلاء إنما كان دخوله مكة عيداً ، ونصراً للحق والعدل وإزاحة للظلم.

أما عبد الله بن سعد فهو من أوائل من كتب لرسول الله ، ثم ارتد ورجع إلى مكة وصار يفترى على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، ونزل فيه قوله تعالى ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ﴾^(٢).

(١) سيرة ابن هشام ٥٠٢/٢.

(٢) سورة الأنعام ٩٣.

واختبأ يوم الفتح عند عثمان بن عفان الذي (أتى به إلى النبي صلى الله عليه وسلم بعد أن اطمأن أهل مكة، واستأمن له رسول الله صلى الله عليه وسلم فصمت عليه الصلاة والسلام طويلاً ثم قال : نعم. فلما انصرف عثمان .

قال النبي صلى الله عليه وسلم : ما صمت إلا لتقتلوه ، فقال رجل : هلاً وأمات إلينا يا رسول الله ، فقال : ما كان لنبي أن تكون له خائنة الأعين ، ثم أسلم ذلك اليوم وحسن إسلامه ، ولم يظهر منه بعد ذلك ما ينكر^(١).
أما عكرمة بن أبي جهل واسم أبيه عمرو بن هشام بن المغيرة من بني مخزوم و(كان أبو جهل يكنى أبا الحكم فكناه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أبا جهل فذهبت)^(٢).

وكان عكرمة فارساً مشهوراً ، ويحاكي أباه في شدة عداوته للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم خاصة وأن أباه قتل في معركة بدر ، وتصدى عكرمة للمسلمين يوم الفتح لمنعهم من دخول مكة ، ثم فرّ هارباً ، وأخرج البيهقي : عن عروة قال : فرّ عكرمة بن أبي جهل يوم الفتح ، فركب البحر فأخذته الرياح ، فنادى باللات والعزى.

فقال أصحاب السفينة : لا يجوز ههنا أحد أن يدعو شيئاً إلا الله وحده مخلصاً . فقال عكرمة : والله لئن كان في البحر وحده إنه لفي البر وحده . فأسلم .

وأخرج ابن سعد عن ابن أبي مليكة قال : لما كان يوم الفتح ركب عكرمة بن أبي جهل البحر هارباً ، فخب بهم البحر فجعلت الصراري أي الملاح يدعون الله ويوحدونه .

(١) سمط النجوم ٢٢٩/١.

(٢) الإستيعاب في معرفة الأصحاب ٣٣٣/١.

فقال : ما هذا ، قالوا : هذا مكان لا ينفع فيه إلا الله ، قال : فهذا إليه محمد الذي يدعوننا إليه فارجعوا بنا ، فرجع فأسلم^(١).

ولما أسلم عكرمة شكا قول الصحابة له : عكرمة بن أبي جهل ، فنهاهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يقولوا عكرمة بن أبي جهل وقال : لا تؤذوا الأحياء بسب الأموات^(٢).

وفي معركة أحد كان عكرمة بن أبي جهل على مسيرة قريش ، وخالد بن الوليد على ميمتهم ، وهما أبنا عم ، ليتقابلا في شعب مكة فيما بعد في فتح مكة .

فهزمه خالد وجيش المسلمين (حتى أدخله حيطان مكة ، ثم عاد في الثانية حتى أدخله حيطان مكة ، ثم عاد في الثالثة فهزمه حتى أدخله حيطان مكة ، فأنزل الله ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ﴾^{(٣)(٤)}.

ليبان أن المسلمين لا يريدون قتالاً يوم فتح مكة .

الثانية : إجارة أم هانئ ضحى يوم الفتح لرجل من أحماها ، فأغلقت عليه الباب ، فجاء الإمام علي عليه السلام يطلبه ، فسألته أن يتركه ويعفو عنه فأبى ، فقالت أمهلهني حتى أذهب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأمهلها ، فلما التقت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أخبرته أنها أجات الرجل ، وكانت مسلمة (فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : قد أجرنا من أجرت يا أم هانئ، وذلك ضحى)^(٥).

(١) الدر المنثور ٥/٢٢٥.

(٢) الإستيعاب في معرفة الأصحاب ١/٢٢٢.

(٣) سورة الفتح ٢٤.

(٤) الدر المنثور ٩/٢٢٧.

(٥) تفسير البغوي ٨/٥٧٥.

ولا تدل هذه الواقعة على أن مكة فتحت عنوة ، لأنها قضية شخصية ، ولأن الرجل لم يقتل فقد أمهلها الإمام علي عليه السلام لتذهب الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأجاره الرسول حالما أخبرته أم هانئ ، وحتى في حال الصلح أيضاً قد يحدث استثناء منه ، وقد يقع الصلح بعد مناقشات أو حوادث قتل فردية ، والتأريخ مليئ بالشواهد على صحة تسمية الصلح بخصوص فتح مكة ، مع وقوع حوادث فردية بالإضافة إلى الإمتناع الذاتي لمكة عن مصداق الفتح ، فهي لم ولن تفتح ، إذ أنها شرع عام للناس جميعاً ، ومن مصاديقه قوله تعالى ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾^(١).

ويمكن إنشاء قاعدة وهي لو دار الأمر بين فتح المسلمين لبلدة صلحاً أو عنوة فالأصل هو الأول.

ومن البركة التي تذكرها الآية أعلاه أن النبي لم يدخل مكة فاتحاً إنما دخلها صلحاً ، ويدل عليه حال الخشوع التي كان عليها ساعة الفتح ، لبيان قانون وهو فتح مكة بداية للأمن والسلم وتجلي مبادئ التوحيد . وقال يوم الفتح : إن الله حرم مكة يوم خلق السماوات والأرض ، فهي حرام إلى أن تقوم الساعة ، لم تحل لأحد قبلي ولا تحل لأحد بعدي ولم تحل لي إلا ساعة من نهار ، فلا يعضد شجرها ولا نختلي خلالها ولا نفر صيدها ولا يحل لقطتها إلا المنشد.

فقال العباس : يا رسول الله إلا الإذخر فإنه لقيوتنا وقتورنا وبيوتنا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إلا الإذخر^(٢).

(١) سورة آل عمران ٩٦.

(٢) الكشف والبيان ١٤/١٠٩.

وكون مكة أحلت للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ساعة من نهار لا يعني أنها فتحت عنوة ، لأن هذه الساعة لم تستبح بها الدماء إنما أعطى النبي صلى الله عليه وآله وسلم للناس الأمان ، وأخذها بالأمان وهو شبه الصلح بل أرفع منه مرتبة لأن الصلح يتقوم بأطراف :

الأول : طرفا الصلح.

الثاني : ذات الصلح.

الثالث : بنود ومضامين الصلح.

وليس من طرف قتالي آخر قابل للنبي صلى الله عليه وآله وسلم بخصوص فتح مكة إنما أعطى النبي صلى الله عليه وآله وسلم أهلها الأمان ليكون تقدير الإستباحة أعلاه ولم تحل لي إلا ساعة من نهار ، أي لم تحل لي إلا ساعة من نهار فاعطيت أهلها فيها الأمان.

كما وردت رواية ليس فيها حليتها للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ساعة من نهار كما (عن صفية بنت شيبة قالت : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يخطب عام الفتح فقال : يا أيها الناس إن الله تعالى حرم مكة يوم خلق السموات والأرض وهي حرام إلى يوم القيامة ، لا يعضد شجرها ، ولا ينفر صيدها ، ولا يأخذ لقطتها إلا منشد ، فقال العباس : إلا الإذخر فإنه للبيوت والقبور ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إلا الإذخر^(١)).

وجاءت رواية ببيان علة هذا الإحلال للإخبار عن غضب الله على أهل مكة الذي اختاروا الكفر ونصبوا الأصنام في المسجد ، وحاربوا النبوة والتنزيل ، وساروا ثلاثة آلاف رجل نحو أربعمئة وخمسين كيلو متراً إلى معركة أحد ليطلوا على المدينة ويقتلوا سبعين من الصحابة.

قال أبو شريح الخزاعي (إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما افتتح مكة ، قتلت خزاعة رجلاً من هذيل ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيباً فقال : يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى حَرَّمَ مَكَّةَ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فَهِيَ حَرَامٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، لَا يَحِلُّ لِمَرِيٍّ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يَسْفِكَ فِيهَا دَمًا أَوْ يَعُضِّدُ بِهَا شَجَرًا ، وَأَنَّهَا لَا تَحِلُّ لِأَحَدٍ بَعْدِي وَلَمْ تَحِلَّ لِي إِلَّا هَذِهِ السَّاعَةَ غَضَبًا عَلَى أَهْلِهَا ، أَلَا وَهِيَ قَدْ رَجَعَتْ عَلَى حَالِهَا بِالْأَمْسِ ، أَلَا لِيُبَلِّغَ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ . فَمَنْ قَالَ : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ قَدْ قَتَلَ بِهَا فَقُولُوا : إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ أَحْلَاهَا لِرَسُولِهِ وَلَمْ يُحْلَهَا لَكَ^(١) .

إن عصمة مكة من الإحلال لغير رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وحتى يوم القيامة قانون يضئ على جنابات الأرض بالدعوة إلى الأمن ، والسلامة من الإرهاب والغزو والفتك ، لقد أحب الله عز وجل الإنسان ، ورزقه من بين الخلائق منزلة الخلافة ، فصحيح أن خلافته محصورة بالأرض إلا أنه لم يثبت وجود خليفة لله عز وجل في أي جزء وفلك أو كوكب أو جزء من كوكب من السموات والأرض مع سعتها ، ومن شكر الإنسان لمرتبة الخلافة حسن المعاملة والصلوات بين الناس ، وإجتنب القتل وإشعال الفتن ، فان قيل إنما الخلافة خاصة بالأنبياء .

فالجواب تدل هذه الخلافة على إكرام الله للجنس الإنسان مطلقاً ، وفي التنزيل ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ ﴾^(٢) .

(١) النكت والعيون ٩٢/١ .

(٢) سورة فصلت ٦ .

لقد كان المشركون يخرجون من مكة بالجيوش العظيمة لقتال النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وإرادة قتله وأصحابه.

إذ خرج منها في شهر رمضان من السنة الثانية للهجرة ألف بعد توسلهم بالأصنام فكانت معركة بدر ، ليأتي فتح مكة في السنة الثامنة للهجرة بصيام أهلها لذات الشهر شاكرين أنعمه سبحانه.

وقد أنقذها وأنقذهم الله بالفتح من الأصنام هيئة ووجوداً ، وخرجوا من مكة في أواخر شهر رمضان من السنة الثالثة للهجرة بأكثر من ألف رجل ولتلتحق بهم بعض القبائل الحليفة لهم حتى إذا وصلوا إلى جبل أحد كان عددهم ثلاثة آلاف رجل ، وقد عزموا على قتل النبي صلى الله عليه وآله وسلم فرجعوا خائبين ، قال تعالى بخصوص معركة أحد ﴿لَيَقْطَعَنَّ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتُهُمْ فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ﴾^(١).

لقطع الطريق على الذين كفروا ومنعهم من الشماتة بالمسلمين لسقوط سبعين قتيلاً منهم في معركة أحد ، أي مع هذه المصيبة التي حلت بالمسلمين يومئذ فان المشركين رجعوا بدعوى النصر ظاهراً ، ولكنهم وفي قراءة أنفسهم كانوا خائبين نادمين منكسرين ومدركين لقانون وهو عجزهم عن تحقيق غاياتهم الخبيثة من غزوهم المتكرر للمدينة والمسلمين .

ليكون هذا القانون برزخاً دون الإرهاب ، ومانعاً منه وهل هذا المنع خاص بمكة وأهلها أم أن فتح مكة برزخ ومانع من الإرهاب في الأرض ،

الجواب هو الثاني وهو من عمومات قوله تعالى ﴿وَلْتُنْذِرْ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾^(١).

ليكون تقدير الآية أعلاه بلحاظ المقام وجوه :

الأول : لتنذر مكة والقرى والمدن الأخرى من الإرهاب .

الثاني : لتنذر مكة وأهل الأرض من الإرهاب والقتل وسفك الدماء

بغير حق .

الثالث : لتنذر أم القرى ووفد الحاج في كل عام من الإرهاب والقتل

العشوائي .

ومن مصاديق المعنى الإستغراقي العام لقوله تعالى ﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾

تجدد الإنذار من الإرهاب في كل عام على مستوى أهل الأرض جميعاً ،

وهو من الإعجاز في تجديد حج البيت كل عام ، فان قلت يجب الحج على

المسلم مرة واحدة في العمر والجواب من جهات :

الأولى : في هذه المرة حجة على المكلف ودعوة له للتبليغ بجرمة

الإرهاب وقبحه الذاتي.

الثانية : من خصائص مدرسة الحج تجديد الموعظة واستحضار الحاج

لمناسك الحج في كل عام .

الثالثة : من الإعجاز عدم نسيان الحاج رجلاً أو امرأة مناسك الحج

وتفاصيلها ، وكل حاج له قصة وحكاية في المقام تدل على عشقه للمناسك .

الرابعة : توالي وفود الحاج وجوبا وندبا وهم رسل البيت الحرام للناس

إلى قومهم للهداية ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ

لَلَّذِي بِمَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾^(٢).

(١) سورة الأنعام ٩٢.

(٢) سورة آل عمران ٩٦.

قانون بشارة الجن بنبوّة النبي محمد (ص)

ليس من حصر لأجناس وأعداد وهيئات المخلوقات التي خلقها الله وهو من الشواهد على عظيم قدرته ، وسعة سلطانه ، وبديع صنعه ، ومن عظيم المخلوقات الملائكة .

وتفضل الله عز وجل وخلق الجن وجاء خلقهم قبل خلق آدم ، إذ أن ابليس كان منهم ، وكان حاضراً يوم أمر الله عز وجل الملائكة بالسجود لآدم ، قال تعالى ﴿ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴾ * إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ^(١) .

ولقد أكرم الله عز وجل الإنسان بأن جعله ﴿ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ ^(٢) ، وأعطى الناس من النعم ما لم تكن عند الجن ، نعم رزق الله عز وجل قدرات خاصة منها سرعة التنقل ، والتلبس بهيئات مختلفة ، والتحليق في الجو ولكن على إرتفاعات معينة وورد حكاية عن الجن في التنزيل ﴿ وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجدْنَاهَا مُلِئتَ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴾ * وَأَنَّا كُنَّا نَقُودُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْمَعُ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا ^(٣) .

ومن مصاديق قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ ^(٤) .

(١) سورة ص ٧٣-٧٤ .

(٢) سورة البقرة ٣٠ .

(٣) سورة الجن ٨-٩ .

(٤) سورة الاسراء ٧٠ .

تسخير الله الجن للأنبياء ، كما في ائتمار الجن بأمر النبي سليمان بن داود ، إذ قال تعالى ﴿وَحْشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودَهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾^(١).

وتفضل الله عز وجل وذكر في القرآن قصة الهدهد وكيف أنه أخبر سليمان عن ملك بلقيس ، وعرض عفريت من الجن وهو المارد القوي على سليمان بأن يأتي له بعرش بلقيس ملكة سبأ بسرعة فائقة وقبل أن يغادر مجلسه ، وعن ابن عباس : اسم هذا الجن (صخر الجني)^(٢).

ولكن سليمان أراد أسرع منه فتصدى للأمر وزيره الذي عنده علم من الكتاب لبيان فضل الله عز وجل على الناس ، وعن عبد الله بن شداد قال : كان سليمان عليه السلام إذا أراد أن يسير وضع كرسيه ، فيأتي من أراد من الانس والجن ، أي من أراد سليمان .

ثم يأمر الريح فتحملهم ، ثم يأمر الطير فتظلهم . فبينما هو يسير إذ عطشوا فقال : ما ترون بعد الماء ، قالوا : لا ندري . فتفقد الهدهد وكان له منه منزلة ليس بها طير غيره ، فقال كما في التنزيل ﴿مَا لِي لَا أَرَى الْهُدُودَ أَمْ كَانَتْ مِنَ الْغَائِبِينَ﴾ * لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا^(٣) ، وكان عذابه إذا عذب الطير نتفه ، ثم يحففه في الشمس ﴿أَوَلَاذُبْحَنَهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِي سُلْطَانٌ مُبِينٌ﴾ ، يعني بعذر بين .

فلما جاء الهدهد استقبلته الطير فقالت له : قد أوعدك سليمان فقال لهم : هل استثنى ، فقالوا له : نعم . قد قال : إلا أن يجيء بعذر بين . فجاء

(١) سورة النمل ١٧.

(٢) الدر المنثور ٤٤١/٧.

(٣) سورة النمل ٢٠-٢١.

بخبر صاحبة سبأ ، فكتب معه إليها ﴿يَا سَمُّ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ *الَّا تَعْلَمُوا عَلَيَّ
وَأَتُونِي مُسْلِمِينَ﴿^(١)، فأقبلت بلقيس .

فلما كانت على قدر فرسخ قال سليمان ﴿أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بَعْرُشَهَا قَبْلَ أَنْ
يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ * قَالَ عِفْرِيتُ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ
مَقَامِكَ﴿^(٢)، فقال سليمان : أريد أعجل من ذلك . فقال الذي عنده علم من
الكتاب ﴿أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾^(٣)، { أنا آتيك به قبل أن يرتد
طرفك } .

فأتى بالعرش في نفق في الأرض ، يعني سرب في الأرض قال سليمان :
غيروه . فلما جاءت ﴿قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكَ﴾^(٤)، فاستنكرت السرعة ورأت
العرش { فقالت كأنه هو . . } ، ﴿قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً﴾^(٥)،
لجة ماء ﴿وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِيهَا﴾^(٦)، فإذا هي امرأة شعراء فقال سليمان : ما
يذهب هذا ، فقال بعض الجن : أنا أذهب . وصنعت له النورة . وكان أول
ما صنعت النورة ، وكان اسمها بلقيس^(٧).

فمع أن سليمان استغنى عن الجن في إحضار عرش بلقيس فانه لجأ
اليهم في مسألة إزالة الشعر عن ساقى بلقيس بغير الحلق واستعمال الموس

(١) سورة النمل ٣٠-٣١ .

(٢) سورة النمل ٣٨-٣٩ .

(٣) سورة النمل ٤٠ .

(٤) سورة النمل ٤٢ .

(٥) سورة النمل ٤٤ .

(٦) سورة النمل ٤٤ .

(٧) الدر المنثور ٤٤٧/٧ .

والحديد ، فجاءوا بالنورة ، وليكون مسألة شعر ساقى بلقيس عنوان عفتها وعدم مقارنة الرجال لها.

ولم يسخر سليمان الجن للإيذاء أو الإضرار بالغير ، إنما إتخذهم جنوداً لنشر لواء التوحيد ، والمنع من الظلم والجور ، وسخرهم في دعوة بلقيس وقومها إلى الإيمان .

وعن ابن عباس قال : لِصَاحِبَةِ سُلَيْمَانَ أَلْفُ قَيْلٍ تَحْتَ كُلِّ قَيْلٍ مِائَةُ أَلْفٍ^(١).

وقد لا يخلو هذا العدد من المبالغة إذ يكون مجموع الجنود آنذاك مائة مليون عدا أفراد عوائلهم في ذات المملكة ، ومعنى القيل هو الرئيس والملك الأدنى من بلقيس .

لقد سعى سليمان لمنع الإرهاب ومقدماته ، إذ سخر جنوده للحراسة والأمن والدعوة إلى الله عز وجل .

وقد نزلت سورة كاملة بخصوص الجن وكيف انهم وفدوا على النبي صلى الله عليه وآله وسلم في مكة قبل الهجرة ، وهو في صلاة الصبح واستمعوا للقرآن ، قال تعالى ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾^(٢).

وأخرج ابن سعد عن أبي رجاء العطاردي من بني تميم قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد رعيت على أهلي وكفيت مهنتهم ، فلما بعث النبي صلى الله عليه وسلم خرجنا هراباً فأتينا على فلاة من الأرض ، وكنا إذا أمسينا بمثلها قال شيخنا : إنا نعوذ بعزير هذا الوادي من الجن الليلة ، فقلنا ذاك .

(١) تفسير ابن أبي حاتم ١٠٢/١١.

(٢) سورة الجن ١.

فَقِيلَ لَنَا : إِنَّمَا سَبِيلُ هَذَا الرَّجُلِ شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنْ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ فَمَنْ أَقْرَبُ بِهَا أَمِنْ عَلَى دَمِهِ وَمَالِهِ ، فَرَجَعْنَا فَدَخَلْنَا فِي الْإِسْلَامِ قَالَ أَبُو رَجَاءَ : إِنِّي لَأَرَى هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِيَّ وَفِي أَصْحَابِي ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾^{(١)(٢)}.

وَفِي السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ أَخْبَارٌ تَتَعَلَّقُ بِالْجِنِّ الصَّالِحِ وَغَيْرِهِ ، وَفِيهِ بَيَانٌ تَفْسِيرُ الْقُرْآنِ ، وَعَنْ أَبِي بَنْ كَعْبٍ قَالَ : كُنْتُ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَجَاءَ أَعْرَابِي فَقَالَ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ إِنْ لِي أَخًا وَبِهِ وَجَعٌ قَالَ : وَمَا وَجَعُهُ؟ قَالَ : بِهِ لَمَمٌ^(٣).

قَالَ : فَاتْتَنِي بِهِ .

فَوَضَعَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَعُوِذَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ ، وَأَرْبَعِ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ ، وَهَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ { وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ }^(٤) ، وَآيَةِ الْكَرْسِيِّ ، وَثَلَاثَ آيَاتٍ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ ، وَآيَةٍ مِنْ آلِ عِمْرَانَ { شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ }^(٥) ، وَآيَةٍ مِنَ الْأَعْرَافِ { إِنْ رِيبَكُمْ بِاللَّهِ }^(٦) ، وَآخِرُ سُورَةِ الْمُؤْمِنِينَ { فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ }^(٧) ، وَآيَةٍ مِنْ سُورَةِ الْجِنِّ { وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبْنَا }^(٨) ، وَعَشْرَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ الصَّافَاتِ ، وَثَلَاثَ آيَاتٍ مِنْ آخِرِ سُورَةِ

(١) سورة الجن ٦.

(٢) الدر المنثور ١٠/١١٢.

(٣) به لم : أي مس من الجن.

(٤) سورة البقرة ١٦٣.

(٥) سورة آل عمران ١٨.

(٦) سورة الأعراف ٥٤.

(٧) سورة المؤمنون ١١٦.

(٨) سورة الجن ٣.

الحشر ، و {قل هو الله أحد} و (المعوذتين) فقام الرجل كأنه لم يشك قط^(١). وذكر الواقدي باسناده له قال كان أبو هريرة يحدث أن قوما من خثعم كانوا عند صنم لهم جلوسا وكانوا يتحاكمون إلى أصنامهم فيقال لأبي هريرة هل كنت أنت تفعل ذلك فيقول قد والله فعلت فأكثر فالحمد لله الذي تنقذني بمحمد صلى الله عليه وسلم.

قال أبو هريرة فيينا الخثعميون عند صنمهم إذ سمعوا هاتفا يهتف
يا أيها الناس ذوو الأجسام
ومسندو الحكم إلى الأصنام
أكلكم أوره كالكهام
ألا ترون ما أرى أمامي
من ساطع يجلو دجي الظلام
ذاك نبي سيد الأنام
من هاشم في ذروة السنام
مستعلن بالبلد الحرام
جاء بهدم الكفر بالإسلام
أكرمه الرحمن من إمام
السريع

قال أبو هريرة فأمسكوا ساعة حتى حفظوا ذلك ثم تفرقوا فلم تمض بهم ثلاثة حتى فجأهم خبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قد ظهر بمكة قال فما أسلم الخثعميون حتى استأخر إسلامهم ورأوا عبدا عند صنمهم^(٢). ليكون هذا الهاتف من مصاديق قوله تعالى ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾^(٣)، سواء كان هذا الهاتف من الجن أو غيرها ، لبيان أن نصرة وتصديق النبي

(١) الدر المنثور ١/٢٧.

(٢) الإكتفاء بما تضمنه مغازي رسول الله.

محمد صلى الله عليه وآله وسلم في أيام النبوة الأولى لم تنحصر بأهل مكة وقريش ولا بالإنس وحدهم ، وفيه شاهد على أن الجن كانوا في ضيق وأذى من عبادة الناس للأصنام ، وتوسلهم بها ، وكانوا ينتظرون بعثة النبي صلى الله عليه وآله وسلم لتعزيده ، وفي التنزيل ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾ (١).

وعن ابن عباس : أن رجلاً من بني تميم كان جريئاً على الليل والرجال ، وأنه سار ليلة فنزل في أرض مجنة ، فاستوحش ، فعقل راحلته ، ثم توسد ذراعيها وقال : أعوذ بسيد هذا الوادي من شر أهله ، فأجاره شيخ منهم ، وكان منهم شاب وكان سيداً في الجن ، فغضب الشاب لما أجاره الشيخ ، فأخذ حربة له قد سقاها السم لينحر ناقة الرجل بها فتلقيه الشيخ دون الناقة فقال :

يا مالك بن مهلهل ... مهلاً فذلك محجري وإزاري
عن ناقة الإنسان لا تعرض لها ... واختر إذا ورد المها أثواري
إنني ضمنت له سلامة رحله ... فاكفف يمينك راشداً عن جاري
ولقد أتيت إلى ما لم أحسب ... إلا رعيت قرابتي وجواري
تسعى إليه بحربة مسمومة ... أف لقربك يا أبا اليقطاري
لولا الحياء وإن أهلك جيرة ... لتمزقتك بقوة أظفاري
فقال له الفتى :

أتريد أن تعلو وتحفض ذكرنا ... في غير مزرية أبا العيزار
متحلاً أمراً لغيرك فضله ... فارحل فإن المجد للمرار
من كان منكم سيداً فيما مضى ... إن الخيار هم بنو الأخيار

(١) سورة المدثر ٣١.

(٢) سورة الجن ١.

فاقصد لقصدك يا معيكر إنما ... كان المجير مهلهل بن وبار
فقال الشيخ : صدقت كان أبوك سيدنا وأفضلنا ، دع هذا الرجل لا
أنازعك بعده أحداً ، فتركه ، فأتى الرجل النبي صلى الله عليه وسلم فقص
عليه القصة .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا أصاب أحداً منكم وحشة ،
أو نزل بأرض مجنة فليقل : أعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر
ولا فاجر من شر ما يلج في الأرض ، وما يخرج منها ، وما ينزل من السماء
وما يعرج فيها ، ومن فتن الليل ، ومن طوارق النهار إلا طارقاً يطرق بخير
فأنزل الله في ذلك ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ
الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ (١)(٢).

ردود كريمة على بعض الأجزاء الأخيرة من هذا السفر المبارك

١- خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبد العزيز/ ملك
المملكة العربية السعودية "حفظه الله"

(١) سورة الجن ٦.

(٢) الدر المنثور ١٠/١١٣.

- ٢- صاحب السمو رئيس وزراء دولة الكويت.
- ٣- صاحب السمو الملكي أمير منطقة مكة المكرمة .
- ٤- صاحب السمو الملكي أمير منطقة الرياض
- ٥- صاحب السمو الشيخ وزير خارجية مملكة البحرين.
- ٦- الأمين العام لمنظمة التعاون الإسلامي.
- ٧- الأمين العام لمجلس التعاون الخليجي.
- ٨- سماحة الإمام الأكبر شيخ الأزهر.
- ٩- سماحة العلامة الشيخ أ.د مفتي جمهورية مصر العربية.
- ١٠- سماحة العلامة المفتي العام لسلطنة عمان
- ١١- الأمين العام لإتحاد المؤرخين العرب.
- ١٢- سعادة أ.د. مدير جامعة الملك فيصل / المملكة العربية

السعودية

- ١٣- سعادة أ.د. مدير جامعة كردفان/ الجمهورية السودانية.
- ١٤- سعادة أ.د. مدير الجامعة الإسلامية/ المدينة المنورة .
- ١٥- سعادة أ.د. رئيس الجامعة العراقية /العراق .
- ١٦- سعادة أ.د. رئيس جامعة جدارا/ الأردن.
- ١٧- سعادة أ.د. رئيس جامعة ذي قار / العراق.
- ١٨- سعادة أ.د. مدير جامعة الأمير عبد القادر/ الجزائر.
- ١٩- سعادة أ.د. رئيس جامعة سومر/ العراق



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



المملكة العربية السعودية
وزارة الداخلية
(١٧٢)
إمارة منطقة الرياض
(٠٠١)
مكتب الأمير
إدارة العلاقات العامة

فضيلة الشيخ / صالح الطائي

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته:-

تلقينا خطابكم رقم ٢٢٤ وتاريخ ١٤٣٠/٥/٤هـ .. ومشفوعه نسخة من كتابكم (معالم الإيمان في تفسير القرآن) الجزء (٦٧).

نشكركم على هذا الإهداء متمنين لكم دوام التوفيق.. ولكم تحياتنا. ،،،

أمير منطقة الرياض

سلمان بن عبدالعزيز

The Prime Minister
State of Kuwait



رئيس مجلس الوزراء
دولة الكويت

سماحة الأخ الكريم الشيخ / صالح الطائي المحترم
أستاذ الفقه والأصول والتفسير والأخلاق

تحية طيبة وبعد...

تلقينا مع الشكر تهنتكم الكريمة بمناسبة حلول عيد الأضحى المبارك، مع إهدائكم
الطيب من الجزء الحادي والخمسين من تفسير "معالم الإيمان" والذي تناولتم فيه
تفسير قوله تعالى ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس﴾ الآية ١١٠ من سورة آل عمران.
ويسرنا ان نعرب لكم عن خالص تقديرنا لمبادرتكم الكريمة، مشيدين بجهودكم
الطيبة التي تبذلونها لخدمة الإسلام، وإيضاح معاني الكتاب الشريف، آملي ان
تسهموا بهذا العمل الصادق في تقريب المقاصد الربانية للآيات بما يعود بالخير على
أمتنا الإسلامية.

نكرر الشكر، آملي لكم دوام التوفيق والسداد في خدمة كتاب الله، وان يحفظ أمتنا
العربية والإسلامية، ويجمع كلمة المسلمين ويوحدهم لما فيه خيرهم.
مع أطيب التمنيات.

ناصر المحمد الأحمد الجابر الصباح



رئيس مجلس الوزراء
دولة الكويت

الكويت في : 13 محرم 1429 هـ
الوطني: 22 يناير 2008 م



هَذَا كِتَابُ الْعَزِيْزَةِ السَّجْدَةِ
وَزَارَةِ الدَّاخِلِيَّةِ
إِمَارَةِ مَنَاطِقِ مَكَّةِ الْمُكَرَّمَةِ
الدَّرَاسَاتِ وَالْعِلَاقَاتِ الْعَامَّةِ

المحترم

سعادة الشيخ صالح الطائي

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

إشارة إلى خطابكم رقم ١٦/٧٨١ وتاريخ ٢٠١٦/٢/١٨ م
والمرفق به الجزء الثامن والعشرون بعد المائة من (معالم الإيمان
في تفسير القرآن).

نشكركم على ذلك متمنين التوفيق للجميع، ولكم تحياتنا.
والسلام عليكم.

خالد الفيصل

مستشار خادم الحرمين الشريفين
أمير منطقة مكة المكرمة





سجل ديوان الإمارة (٧٠٠١٥١٩٣٣٣)

بسم الله الرحمن الرحيم



المملكة العربية السعودية
وزارة الداخلية
(٢٧٢)
إمارة منطقة الرياض
(٠٠١)
مكتب الأمير
إدارة العلاقات العامة

فضيلة الشيخ / صالح الطائي

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته... وبعد ،

تلقينا خطابكم رقم ١٦/١٨٥٥ وتاريخ ٢٠١٦/٥/٢٠م ومشفوعه
نسخة من كتابكم بعنوان "معالم الإيمان في تفسير القرآن" الجزء
الثاني والثلاثون بعد المائة.

نشكركم على هذا الإهداء متمنياً لكم دوام التوفيق. ولكم تحياتنا،،،

فيصل بن بندر بن عبدالعزيز

١٠/١٢

امير منطقة الرياض

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مكتب الوزير
Minister's Officeمملكة البحرين
وزارة الخارجية

23 نوفمبر 2016

فضيلة الشيخ محمد الشيخ صالح الطائي المحترم مدير مكتب المرجع الديني الشيخ صالح الطائي

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته،،،
تسلمت بجزيل الشكر نسخة من الجزء الأربعين بعد المائة من
تفسيركم المستنير وتدبركم الحكيم في الآية القرآنية الكريمة [وَلَنْ
مُتَّمَّأَوْ قُلْتُمْ لِلَّهِ تَحْشَرُونَ] مقدراً ما بذلتموه من جهد كبير وما
استنبطتموه من مسائل وقوانين تفيد كافة المسلمين ، مقدراً جهودكم
الدينية والتوعوية الملموسة والدؤوبة، سائلاً الله تعالى لكم موفور
الصحة والعافية ودوام التوفيق والسداد.

وتفضلوا بقبول فائق تحياتي.

أفرح

١١ -

خالد بن أحمد بن محمد آل خليفة

وزير الخارجية

ORGANISATION OF ISLAMIC COOPERATION
GENERAL SECRETARIATORGANISATION DE COOPERATION ISLAMIQUE
SECRÉTARIAT GÉNÉRAL

OIC/CAB-01/2012 001010

جدة في: 23 FEB 2012

سماحة المرجع الديني الشيخ صالح الطائي
صاحب أحسن تفسير للقرآن الكريم
أستاذ الفقه والأصول والتفسير والأخلاق

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته... وبعد،

فقد تسلمنا بيد الشكر والتقدير نسخة من كتاب "معالم الإيمان في تفسير القرآن" الجزء التسعون- الآية ١٣٤ من سورة آل عمران، والذي تفضلتم بإهدائه إلى معالي البروفسور أكمل الدين إحسان أوغلي، الأمين العام لمنظمة التعاون الإسلامي، ويشرفنا أن نتقدم إليكم بجزيل شكرنا على جهودكم المتواصلة لتفسير أي الذكر الحكيم، فجزاكم الله عنا خير الجزاء وبارك فيكم وفيما تقومون به من جهد مبارك خدمة للإسلام والمسلمين.

وتفضلوا بقبول وافر الشكر والتقدير.

احمد القوي
مستشار الأمين العام



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مجلس الشورى والدراسات والبحوث - الأمانة العامة



مكتب الأمين العام

العدد ٢٠٠٧ / ج ١٩٥
الطبعة ١٠ / ج ١٩٥
العدد ١٠ / ج ١٩٥

فضيلة الشيخ الجليل/صالح الطائي المحترم

المرجع الديني _ أستاذ الفقه والأصول والتفسير والأخلاق.

المنامة- مملكة البحرين

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

بوافر التقدير، تلقينا إهداءكم الكريم نسخة من الجزء السابع والأربعين من تفسير "معالم الإيمان في تفسير القرآن".

يطيب لي، بهذه المناسبة، أن أعرب لفضيلتكم عن التقدير والثناء على جهودكم العلمية الحثيثة، وإسهاماتكم الموفقة من خلال تعاهدكم كتاب الله العزيز، وحبله المتين، الذي نزل به الروح الأمين على قلب سيد المرسلين عليه أفضل الصلاة والتسليم.

شاكراً تفضلكم بالإهداء القيم، ومشهداً، على نحو خاص، بما تشتمل عليه إصدارات أجزاء التفسير من البحث العميق والاستقراء الشامل والاستنباط الدقيق الذي يجسد حقيقة الإعجاز الذي تناولتموه فضيلتكم بعمق وشمولية، ويسند ذلك ما توافر لكم من العلم الغزير والفقه المتمكن والمرجعية العريقة.

بارك الله جهودكم، وأمدكم بعونه وتوفيقه، وكتب لكم المثوبة والأجر، وجزاكم خير الجزاء عن الإسلام والمسلمين.

وتفضلوا فضيلتكم بقبول وافر التقدير والاحترام.

عبد الرحمن بن حمد العطية

الأمين العام

بسم الله الرحمن الرحيم

الأزهر
مكتبة الإمام الأكبر
شيخ الأزهر

٢٩ / ٥
٢٨ / ٤ / ٢٠٠٨

السيد صاحب الفضيلة المرجع الديني الشيخ/صالح الطائي
أستاذ الفقه والأصول والتفسير والأخلاق
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته
وبعد.....

فلقد تلقيت بحمد الله رسالتكم الرقيقة وبها الجزء الحادي
والخمسون في تفسير آية واحدة من سورة آل عمران من القرآن الكريم.
نتضرع إلى الله العلي القدير أن يلهمكم العلم النافع وان يجعله
في ميزان حسناتكم.
وشكر الله لكم حسن عملكم
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

شيخ الأزهر
محمطهاوي

(الدكتور/ محمد سيد طنطاوي)

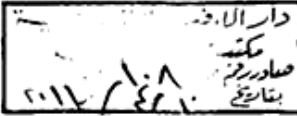
في: ١٣ من صفر ١٤٢٩ هـ

الموافق: ٢٠ من فبراير ٢٠٠٨ م

مصطفى عباس

٦/١٩

بسم الله الرحمن الرحيم



المرجع الديني الشيخ/صالح الطائي

صاحب أحسن تفسير للقرآن وأستاذ الفقه والأصول والتفسير والأخلاق

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته... وبعد،
فإنه ليسعدني أن أتقدم لسيادتكم بخالص الشكر والتقدير والإحترام
على تفضلكم بإهدائنا نسخة من من الجزء الثاني والثمانين.
وأتمنى من الله أن يديم عليكم نعمة الصحة والعافية وأن يسبغ
عليكم نعمه ظاهرة وباطنه وان يوفقنا لما يحبه ويرضاه.
شاكرين لكم، ولكم تحياتي

د. علي جمعة
مفتي جمهورية مصر العربية

Sultanate of Oman
Ministry of Endowments
and Religious Affairs
Al Ifta Office



سُلْطَنَةُ عُومَانِ
 وَزَارَةُ الْأَوْقَافِ وَالشَّيْءُونَ الدِّيْنِيَّةِ
 مَكْتَبُ الْإِفْتَاءِ

No. :

الرقم : ٢٠١١/٩٩/٩٦/٢٢

Date : / / 142

التاريخ : ١٤٢٩ / ١ / ١٤٢٩ هـ

/ / 200

: ٢٠١١ / ١ / ٤

المحترم

فضيلة الشيخ العلامة صالح الطائي

مكتب المرجع الديني

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته... وبعد:

فبإيد الشكر والتقدير تلقيت خطابكم المؤرخ في ٢٠١٠/١١/٢م المرفق به هديتكم المباركة كتاب تفسير القرآن الجزء الثمانون .

شاكراً لكم تواصلكم الدائم معنا، والله يوفقكم لما فيه الخير.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته،،،،

أحمد بن محمد الخليلي
 المفتي العام لسلطنة عمان



Arab League
Union of The Arab
Historians
General Secretary



جامعة الدول العربية
اتحاد المؤرخين العرب
الأمانة العامة

العدد : ت / 132
التاريخ : 15 رجب 1436
الموافق : 4/5/2015

إلى / سماحة المرجع الديني للمسلمين الشيخ صالح الطائي المحترم
صاحب أحسن تفسير للقرآن
أستاذ الفقه والأصول والتفسير والأخلاق
م/شكر وتقدير

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته :

وأسأل الله تعالى ان يوفقكم ويحفظكم ويرعاكم انه سميع مجيب الدعاء.
تسلمنا مع بالغ الشكر والتقدير الجزء الرابع عشر والخامس عشر والسادس عشر
بعد المائة من كتابكم الموسوم (معالم الإيمان في تفسير القرآن) وأقول في هذا الكتاب
بانه يعبر عن جهد كبير مبذول في اثناء الليل واطراف النهار، ويعبر عن تعب كبير، لا
يمكن أن يوصف بعبارة أو جملة معينة، فهو جهد العلماء المخلصين الصابرين
الصادقين مع الله تعالى ومع النفس، ويعبر عن مجرى من التدفق العلمي الموثوق
والمأمون والخالد، الذي يعود بنا الى ذكريات الماضي الخالد لعلماء الأمة في تأريخها
المجيد، فقد عبرتم فيه اصدق تعبير عن سيرة العلماء المسلمين الذين يتميزون بالأمانة
والثقة والثبات في علمهم ومسيرتهم الخالدة، وانني إذ أؤكد اعجابي الكبير في هذه
الأجزاء، وإنني ادعو الله تعالى ان ينعم عليكم بالعافية والصحة التامة، من أجل ان
يستمر هذا التدفق العلمي الكبير في هذا الزمان الذي شح فيه نتاج العلماء والمجتهدين
لخدمة تراث وتأريخ امتنا، وخدمة ديننا الحنيف ان الله تعالى سميع مجيب الدعاء.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

م
اتحاد المؤرخين العرب
الأمانة العامة



الأستاذ الدكتور محمد جاسم المشهداني
الامين العام لاتحاد المؤرخين العرب
العميد/رئيس الهيئة العلمية لمعهد التاريخ العربي
والتراث العلمي للدراسات العليا

KINGDOM OF SAUDI ARABIA
Ministry of Higher Education
KING FAISAL UNIVERSITY
(037)



الجامعة الإسلامية العالمية
وزارة التعليم
جامعة الملك فيصل
(٠٣٧)

الموضوع:

فضيلة الشيخ/ مدير مكتب المرجع الديني للشيخ صالح الطائي
الموقر
ص.ب - ٢١١٦٨ - المنامة - مملكة البحرين

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته وبعد

تلقيت بكل الشناء والتقدير خطاب فضيلتكم رقم ١٦/٢٤٢٠ وتاريخ
١٦/١٠/٢٠١٦م المرفق طيه نسخة من كتاب بعنوان "معالم الإيمان
في تفسير القرآن" الجزء الأربعون بعد المائة.

أشكر فضيلتكم جزيل الشكر على إهتمامكم بتزويد إدارة الجامعة بهذه
النسخة القيمة، وستحال إلى مكتبة الجامعة للإطلاع عليها والاستفادة
منها، سائلاً المولى جلّت قدرته للجميع التوفيق والسداد.

وتقبلوا خالص تحياتي وتقديري،،،

مدير الجامعة

د. عبدالعزيز بن جمال الدين السعاتي



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

جامعة كردفان UNIVERSITY OF KORDOFAN

Our Ref:
Date:

مكتب المدير
Vice Chancellor Office

الرمز: ج ك/م/١٧/٣/١١
التاريخ: ٢٠١٦/٧/١١

السادة/ مكتب المرجع الديني
الشيخ صالح الطائي
صاحب أحسن تفسير للمقرآن

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

تهديكم جامعة كردفان أطيب التحايا، مقرونة بأحر التهاني وأبهى التبريكات بمناسبة عيد الفطر المبارك ، أعاده الله علينا وعليكم والأمة المسلمة بالخير واليمن والبركات، وعطفاً على خطابكم الصادر بتاريخ ٢٠١٦/٥/٢٠ بالرقم ١٦/١٨٥٧، والمرسل معد إصدار الجزء الثاني والثلاثون بعد المائة من (معالم الإيمان في تفسير القرآن) فإن الواجب يقتضي أن نزجي لكم وافر الشكر وفائق التقدير على هذا المدد والفيض العيم من العلم القرآني النافع، ترسيخاً لمعاني التدبر، وتحريكاً للملكة العقل من الجمود، فهي المعرفة ذات الحدود الواسعة، لإكتشاف مكنونات عظمة هذا القرآن ، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تعظيماً لقدرة الله جل وعلا والإعتراف له بالوحدانيه، وهذا ما يقوم به مكتب المرجع الديني لخدمة الإسلام والمسلمين عبر مؤسساتهم الأكاديمية والعلمية والبحثية، وختاماً لا يسعنا إلا أن نقول جزاكم الله خيراً وأن يتقبل منكم هذا العمل المبارك، وكل عام وأنتم بخير .

وتفضلوا بقبول فائق عبارات التقدير والإحترام

أ.د. أحمد عبدالله عجب الدور
مدير الجامعة



الرقم ١١٤٦ / ١٢ / ١٣
التاريخ ١٠ / ٢ / ١٤٣٧ هـ
الملاحظات :
الموضوع :



الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
وزارة التعليم العالي
مكتب النشر
(٠٣٢)

سلمه الله

معالي الشيخ / صالح الطائي

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته... وبعد

فأسأل الله لمعاليتكم العون والتوفيق، ويسرني إفادتكم بأني تلقيت بكل تقدير وإمتنان إهداءكم للجامعة نسخة من الجزء التاسع بعد المائة من (معالم الإيمان في تفسير القرآن).

ولإني إذ أقدم لمعاليتكم بخالص الشكر والعرفان على هذا الإهداء، لأدعو الله العلي القدير أن يمدكم بعونه وتوفيقه، وأن يسدد خطاكم ويكمل أعمالكم بالنجاح إنه سميع مجيب يحفظكم الله ويرعاكم.

ولكم تحياتي وتقديري

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

مدير الجامعة الإسلامية

أ. د / عبدالرحمن بن عبدالله السند

MINISTRY OF HIGHER EDUCATION
& SCIENTIFIC RESEARCH
THE IRAQIA UNIVERSITY
THE PRESIDENT OFFICE OF UNIVERSITY



وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
الجامعة العراقية
مكتب رئيس الجامعة

NO.:

DATE: / / 201

العدد : ٢٩٢ / ١
التاريخ : ٢٠١٦ / ٤ / ١٠
١٤٣٧ / /

المرجع الديني الشيخ صالح الطائي المحترم
صاحب أحسن تفسير للقرآن

تحية طيبة...

نشكر مبادرتكم الطيبة بإهداءكم لنا نسخة من كتابكم الموسوم الجزء
الثلاثون بعد المائة من (معالم الإيمان في تفسير القرآن) سائلين الباري عز
وجل أن يوفقكم في مسيرتكم العلمية والعملية خدمة لبلدنا العزيز.

ومن

الله التوفيق...

أ.د. علي صالح حسين

رئيس الجامعة العراقية

٢٠١٦ / ٤ / ١٠ م

Jadara University

Office of the President



جامعة جدرا

مكتب الرئيس

Ref.

الرقم ١٨١٦٠٨١٤-٧٦٢

Date

التاريخ ٢٦/٥/٢٠١٢ م
الموافق ١٠/٦/١٤٣٤ هـ

سيادة الأخ الشيخ صالح الطائي المحترم

صاحب أحسن تفسير للقرآن الكريم

وأستاذ الفقه والأصول والأخلاق

بكل فخر واعتزاز تلقيت رسالتكم الموقرة التي تحمل العدد (٥٣٢)

تأريخ ٢٦/٥/٢٠١٢ م، ومرفقها الجزء التسعون من التفسير في
الآية (١٣٣) من سورة آل عمران.

وانني إذ أشكركم جزيل الشكر وعظيم الإمتنان على اهدائكم
هذا، سائلاً المولى عز وجل أن يديم عليكم نعمة الصحة والعافية، وأن
يجعلكم سنداً وذخراً للأمة الإسلامية متمنياً لكم كل التقدم
والإزدهار.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

رئيس الجامعة

أ. د محمد الطعامة

Republic of Iraq Ministry of Higher Education and Scientific Research University of Thi- Qar Bureau of University President		جمهورية العراق وزارة التعليم العالي والبحث العلمي جامعة ذي قار مكتب رئيس الجامعة
---	---	--

العدد: ٦٨٩٩ / ٥٤ / ٧

التاريخ: ٢٠١٦ / ٦ / ٨

إلى / مكتب المرجع الديني الشيخ صالح الطائي
صاحب أحسن تفسير للقرآن

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله الذي هدانا لهذا...

باعتراز بالغ واعجاب شديد بالجهود الكبيرة لسماحة آية الله
العظمى الشيخ صالح الطائي (دام ظله) في تفسير كتاب الله
العظيم من خلال تلقينا اهداءكم المبارك للجزء (١٣٢، ١٣٣،
١٣٤) من معالم الإيمان في استظهار كنوز من كتاب الله المجيد ،
سائلين المولى عز وجل ان يوفق الشيخ الجليل لما فيه خير الدنيا
والآخرة وخدمة الإسلام والمسلمين .

والله اعلم
بما نزلنا من القرآن

أ.د. رياض شنته جبر
رئيس جامعة ذي قار
٢٠١٦ / ٦ / ٨

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

وثيقة الجامعة



قسنطينة في: 25/03/2015

جامعة الأمير عبد القادر
للعلوم الإسلامية
قسنطينة
رقم: 2014/م.م.

إلى السيد المحترم/الشيخ صالح الطائي
صاحب أحسن تفسير للقرآن
مكتب المرجع الديني

شكر وتقدير

تحية طيبة وبعد :

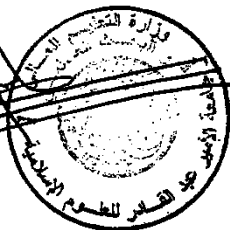
تلقينا نحن أ.د/ عبدالله بو خلخال مدير جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة، هديتكم القيمة المتمثلة في كتاب (معالم الإيمان في تفسير القرآن) الجزء الثالث عشر بعد المائة.

وإذ نعبر لكم عن شكرنا على هذه الإلتفاتة الكريمة، نهديكم نحن بدورنا نسخة من مجلة الجامعة العدد ٣٣ ونسخة من نشرة أخبار الجامعة.

تقبلوا فائق الاحترام والتقدير.

مدير الجامعة

أ.د. عبد الله بوخلخال
مدير الجامعة



Republic of Iraq
Ministry of Higher Education
and Scientific Research
University Of Sumer
Bureau Of University President



جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة سومر
مكتب رئيس الجامعة

Ref :

Date : / /2017

العدد : ٥٦٧ / ٤ / ٦

التاريخ : ٢٠١٧ / ٩ / ٢٠

اعتماد الجودة دليل تقدم جامعتنا

مكتب المرجع الديني الشيخ صالح الطائي

صاحب أحسن تفسير للقرآن

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

تلقينا إهداءكم لنا نسخة من الجزء الخامس والخمسين بعد المائة من "معالم الإيمان في تفسير القرآن" لا يسعنا إلا أن نتقدم لشخصكم الكريم بالشكر الجزيل متمنين لكم دوام الصحة والعافية، وأن يجعلكم سنداً وذخراً للأمة الإسلامية متمنياً لكم كل التقدير والإزدهار.

مع وافر التقدير والاحترام

أ.د. قاسم نايف علوان المحياوي
رئيس الجامعة وكالة
٢٠١٧/٩/٢٠



الفهرس

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٣	المقدمة	١١٤	الحج عرفة
٢٠	بحث منطقي	١٢٥	قانون تعدد البشارة بالنبي محمد ص سلام ورحمة
٢٣	قانون إختيار النبي الصلح بعث للنفرة من الإرهاب	١٣٠	قانون سنن الملائكة تأديب للناس
٢٩	بحث لغوي	١٤٤	قانون معجزة بركة رضاعة النبي محمد (ص) مقدمة للتصديق برسائه
٣٤	قانون الإعجاز في مقدمات بعث النبي محمد	١٥٥	قانون الأشهر الحرم حرب على الإرهاب
٧٦	قانون سرايا السلام لواء السلام	١٦٧	قانون التباين الكمي والكيفي في كل صفة بين الخالق والمخلوقين
٩١	قانون تصنيف معجزات النبي (ص)	١٧٠	قانون كتابة الآيات أوان نزولها ومنافعها
٩٣	قانون الصبر على أذى قريش في بداية الدعوة	١٨٢	أصل المنهج المقارن من أيام آدم
١٠٠	قانون التداخل بين الذكر والتلاوة	١٨٤	قانون إحصاء الله لأقوال الناس
١٠٥	قانون الصراط المستقيم طارد للإرهاب	١٨٩	قانون إحصاء الأقوال في القرآن

الفهرس

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٣	المقدمة	١١٤	الحج عرفة
٢٠	بحث منطقي	١٢٥	قانون تعدد البشارة بالنبي محمد ص سلام ورحمة
٢٣	قانون إختيار النبي الصلح بعث للنفرة من الإرهاب	١٣٠	قانون سنن الملائكة تأديب للناس
٢٩	بحث لغوي	١٤٤	قانون معجزة بركة رضاعة النبي محمد (ص) مقدمة للتصديق برسائه
٣٤	قانون الإعجاز في مقدمات بعث النبي محمد	١٥٥	قانون الأشهر الحرم حرب على الإرهاب
٧٦	قانون سرايا الإسلام لواء الإسلام	١٦٧	قانون التباين الكمي والكمي في كل صفة بين الخالق والمخلوقين
٩١	قانون تصنيف معجزات النبي (ص)	١٧٠	قانون كتابة الآيات أوان نزولها ومنافعها
٩٣	قانون الصبر على أذى قريش في بداية الدعوة	١٨٢	أصل المنهج المقارن من أيام آدم
١٠٠	قانون التداخل بين الذكر والتلاوة	١٨٤	قانون إحصاء الله لأقوال الناس

١٠٥	قانون الصراط المستقيم طارد للإرهاب	١٨٩	قانون إحصاء الأقوال في القرآن
-----	---------------------------------------	-----	-------------------------------

الفهرس

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
١٩٨	بحث كلامي	٢٥٦	علة تسمية قريش
٢٠٧	قانون علة جعل الناس أغنياء وفقراء	٢٦٠	قانون أمن مكة مقدمة لبعث النبي محمد ص
٢٢٣	قانون كتابة الأفعال	٢٦٤	قانون إقامة النبي (ص) في المسجد دفع للإرهاب
٢٢٩	قانون شرائط الصلاة احتراز من الإرهاب	٢٧٩	قانون الملازمة بين الإيمان والرحمة
٢٣٤	حكم القصاص زاجر عن الإرهاب	٢٨١	أخذت مكة صلحاً وليس عنوة
٢٤٤	قانون موعدة أبي سفيان لبدر الموعد إرهاب	٢٩٥	قانون بشارة الجن نبوة النبي محمد
٢٥٠	قانون التفكير في الآيات الكونية حرز من الإرهاب	٣٠٣	ردود كريمة
٢٥٣	قانون إقتران دخول النبي المدينة ببناء مسجد	٣٢٠	الفهرس

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد

٣٩٥١ لسنة ٢٠١٩